# بسقولك

# نظرية داروين

## في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة

د. ماهر خليل

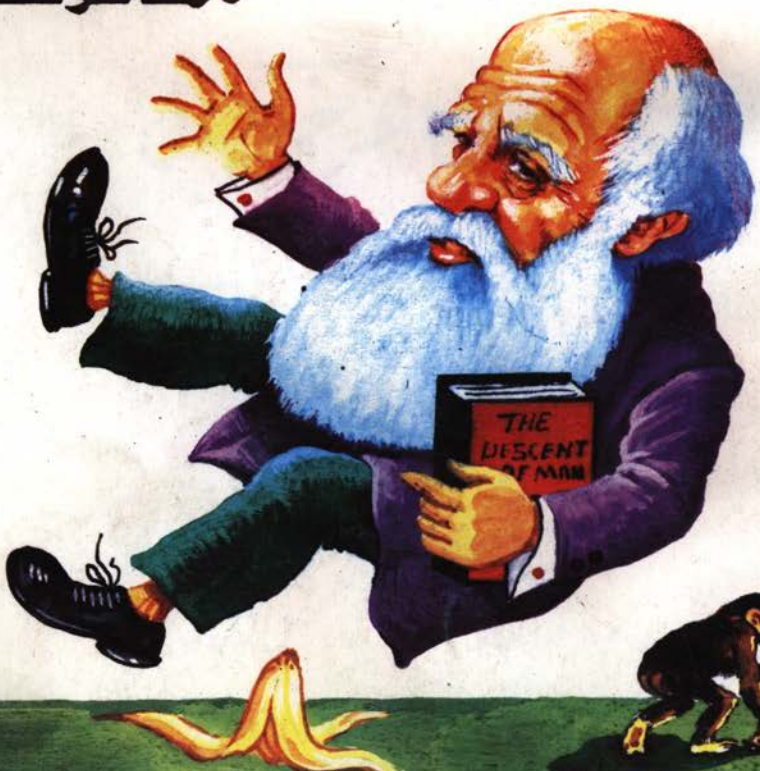


المركز العربي للنشر والتوزيع

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

# سقوط
# نظرية داروين
## في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة

تأليف
ماهر خليل

المركز العربي للنشر والتوزيع

http://al-maktabeh.com

التوزيع بالقاهرة
المركز العربي الحديث
١٠٣ شارع الإمام علي - سيدي الاسماعيلية - مصر الجديدة
تليفون : ٦٧٠٠١٨

http://al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من عَلَق ، اقرأ وربك الأكرم الذى عَلَّم بالقلم ، عَلَّم الإنسانَ ما لَم يعلم ﴾

العلق ( ١ - ٥ ) .

صدق الله العظيم



http://al-maktabeh.com

## إهـــداء

- إلى من كـرمه القرآن وأعـلى شـأنه .
- إلى مـن شرفـه ربـه فخـلقه وسـواه بيده ونفـخ فيه من روحـه .
- إلى كـل إنسـان يحـترم ذاتـه ويعـرف قـدره .

أهـدى هـذا العمـل المتواضـع .

ماهـر خـليل

## شـكر وتقـدير

يقـول الحـق تبارك وتعـالى فى الحـديث القدسـى :

« عبـدى لم تشـكرنى إذ لم تشـكر من أجـريت لك النعـمة على يـديه » .

ومن هـذا المنطلق يسرنى أن أتقـدم بخـالص شـكرى ، وعميق تقـديرى إلى كل من سـاهم فى إخـراج هـذا الكتاب ، سـواء بالرأى الهـادف ، أو النقـد البناء ، وكان لتشجيعـهم إياى أكـبر الأثـر ، وأعـظم الفـضل فى إتمام هـذا العمل ، وأخـص بالشـكر الأسـتاذ الدكتور/ محمد بلتاجى عبد المقصود بكلية العلوم ــ جـامعة طنطا ، والباحث الإسـلامى الكبير الأستاذ/ أنـور الجنـدى مؤسس معـلمة الإسـلام .

مع أطيب تحـياتى لهـم بموفور الصحـة ، وعـظيم السعادة ، وأن يثيبهم الله على ما قـدموا ، ويقـدمون للإسـلام والمسلمين والإنسانية كلها عظيم الثواب ، وأن يجـزيهم خـير الجـزاء .

http://al-maktabeh.com

# تقـديم

## بقـلم الأستاذ/ أنـور الجنـدى

## « مؤسـس معلمـة الإسـلام »

يجب أن تكون حركة اليقظة الإسلامية قد تجاوزت ـــ فى العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى ـــ مرحلة الدفاع عن الشبهات المثارة فى وجه الفكر الإسلامى ، وانتقلت إلى مرحلة بناء القواعد فى مواجهة سموم الفكر الغربى ، ومن هذا المنطلق نستطيع أن ننظر إلى كل الكتابات العلمية الجادة التى تظهر هذه الأيام على طريق أسلمة العلوم والمعارف والمناهج ، وتقديم التصور الإسلامى لها ، ومن هنا يجيىء هذا العمل القيم المثمر الذى نقدمه اليوم للباحث الأستاذ/ ماهر خليل فى مجالٍ من أخطر هذه المجالات وأكثرها اتصالًا بالعقيدة الإسلامية والقيم التى أرساها القرآن الكريم ، وهى مسألة نشأة الكون وخلق الإنسان ، وكشف زيف النظرية المسمومة التى سيطرت على الفكر الغربى خلال أكثر من مائة عام ، والتى تسربت إلى مناهج الدراسة فى معاهد المسلمين والعرب ومدارسهم وجامعاتهم ، واحدثت بلبلةً خطيرة من حيث تقديم القرآن هذا المنهج على صورته الصحيحة ، وما تزال دراسات العلوم تزاحمه بتقديم نظرية قال عنها صاحبها فى الأساس : إنها ناقصة ، وإن فيها حلقة مفقودة لم يستطع العلماء التوصل إليها حتى الآن ، ولذلك فقد كان ضرورياً أن يقوم باحثٌ مسلم له خلفية إسلاميه إيماناً وفهماً ، وهو فى نفس الوقت دارسٌ متخصص فى العلوم والجيولوجيا ليكشف زيف هذه النظرية ، ويحلل علمياً كل ماظنوه عِلْماً وخدعوا به المسلمين سنين طويلة ، وهو ما أحدث تلك الازدواجية الخطيرة فى نفوس شبابنا وأبنائنا ، ولقد آن الوقت أن تتكشف هذه الخلفيات التى دفعت أعداء الإسلام إلى تبنى هذه النظرية وترويجها من أجل هدم كرامة الإنسان التى جاء الإسلام ليعليها ويضعها فى مكانٍ أمين ، ومن أجل دفع الإنسانية كلها إلى أن تحتقر وجودها ، وترتبط من حيث تدرى أو لا تدرى بعالم القرد والحيوان ، وتلك مؤامرةٌ طويلة فعلها الباحثون حول الدور الذى تقوم به بروتوكولات صهيون فى هدم الإنسان بعامة ، والإنسان المسلم بخاصة .

ولقد شهدت فى محاكم الغرب قضايا مثارة تطالب برد هذه النظرية ، وسحبها من مناهج التعليم لأبناء الغرب ، وكنا نحن المسلمين أولى بهذا الموقف .

http://al-maktabeh.com

كذلك فقد كشفت حفريات الآثار عن حقائق زاهية ، تؤكد أن الإنسان منذ ثلاثة ملايين سنة ويزيد كان يمشى مستقيم القامة كما يمشى الآن ، وأنه جنسٌ منفردٌ غير متصل بالأجناس الأخرى ، وهذا ما قرره القرآن الكريم من أربعة عشر قرناً ، وجاءت حفريات الآثار التى ظهرت فى كينيا وغيرها من بلاد أفريقيا صدق ما جاء به الكتاب العزيز : « لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد »[1] .

ومن أجل هذا سعدت بأن اختارنى الأستاذ/ ماهر خليل وهو من النماذج الطيبة الكريمة من الباحثين خلقاً وفضلًا أن أقدم لدراسته وإن لم أكن من أهل هذا المجال ـــ ولكنى أكتب هذه الكلمات بوصفى أحد المشتغلين بالدراسات الإسلامية فى الجامعة التى تعتبر العلوم جزءاً منها لا ينفصل ؛ إيماناً بأن الإسلام هو الذى أنشأ العلم ، ودفعه إلى الأمام حين قال تبارك وتعالى :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا »[2] .

والله أسأل أن يوفق هذا الباحث الكريم إلى هذا الطريق الذى بدأه حسبةً لله تبارك وتعالى ، وإيماناً برسالة الإسلام فى هداية الناس إلى طريق الله ....

هذا وبالله التوفيق .

**أنور الجندى**

---

(١) سورة فصلت ( ٤٢ )

(٢) سورة النمل (٦٩)

http://al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إنه ليسعدنى أن أقدم إلى قراء المكتبة العربية والإسلامية فى مصر والعالم العربى هذا المؤلَّف الجديد من نوعه ، الفريد فى تناوله لموضوعٍ على درجةٍ كبيرة من الأهمية ، وكثيراً ما شغل أذهان طلاب العلم والباحثين فى كل مكانٍ من العالم ، ألَا وهو موضوع نشوء الكائنات الحية وإرتقائها ، ونظرية التطور عند داروين على وجه الخصوص .

وذلك لِما صاحب تلك النظرية من جدلٍ علمي كثير ، وما أحدثته أراؤها من مناقشاتٍ مثيرة ، فاختلف الناس فى ذلك اختلافاً عظيماً ، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً ما بين مؤيدٍ ومعارضٍ حتى وصل الأمر إلى ساحات المحاكم بأمريكا ، فأجهد كل فريق نفسه فى البحث والدراسة محاولًا أن يكسب الجولة من الآخر ، فهذا فريقٌ يحاول بما عنده من أدلة ، وما اجتمعت لديه من قرائن مادية ، وبما وصل إليه العلم من إمكانيات تعينه على تحقيق بغيته ، وتعضيد نظريته ، وتقوية وجهة نظره للوصول إلى إثبات التطور ، والتعامل مع مفاهيمه على أنها أصبحت حقيقةً علميةً ثابتة ومؤكدة ، وذاك آخر يؤمن بالخلق المستقل ، وله فى ذلك الكثير من الأدلة القوية والبراهين الثابتة ، والتى لا تُنْكَر ، ولم يقتنع فريق الباحثين فى كل حزب بهذا وكفى ، بل استعان كل منهم بما ورد من أدلةٍ نقلية عن الكتب السماوية والفلسفية أيضاً لإثبات رأيه ، وإلغاء وجهة نظر الآخرين وإسقاطها .

ولقد حرصت فى كتابتى وتناولى لموضوع هذا الكتاب أن ألتزم بالحيدة التامة من الناحية العلمية شكلًا وموضوعاً كى أهتدى إلى الصواب فى أمر تلك النظرية ، وأصل إلى الحقيقة التى هى بغية كل باحث وهدف كل محقق ، فجعلت ذلك أمامى هدفاً أرنو إليه دائماً ، وأملًا أصبو إلى تحقيقه فى هذا البحث العلمى الذى به أرجو أن يكون الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع .

وأحب أن أقرر فى جلاءٍ أمرين هامين كان كل منهما الدافع لمناقشة تلك المسألة ، والبحث والاستقصاء فى فروضها ، وما قامت عليه من أدلةٍ واهية وبراهين غير مكتملة وهما :

**الأمر الأول** : اهتمامى الشخصى بدراسة تلك النظرية منذ يفوعتى ، محاولًا الوصول إلى رأيٍ قاطعٍ ونهائى فى أمرها ، ولقد كان أول لقاء فكرى وعلمى بينى وبين نظرية التطور هذه فى مقتبل عمرى ، وأنا طالب أدرس فى التعليم الثانوى ، وتعرفت على بعض محتوياتها من خلال دراستى للجزء المتعلق بنشأة الحياة على ظهر الأرض ، وتطور الكائنات المختلفة

http://al-maktabeh.com

بكتاب الأحياء والجيولوجيا . فى ذلك الوقت ، وسرعان ما أثار انتباهى واستحوذ على تفكيرى ، وملك كل جوانب عقلى ، فأخذت أتفحص كل كلمة ، وأتفهم مدلولاتها وأسأل مدرسى بالمدرسة عن كيفية ذلك ، وما هو معنى الأزمنة الجيولوجية ؟ وكيفية تحديد العمر النسبى لكل كائن قديم ؟ وهل تلك الآراء هى الفيصل فى موضوع تلك النظرية ؟

أهو الحق الذى لا يشوبه شائبة ؟ إلى آخر تلك التساؤلات التى وجدتها تتبادر إلى ذهنى وبطريقة تلقائية ، وتفرض نفسها على فكرى كقضيةٍ ضروريةٍ وهامة .

منذ ذلك الحين ، وأنا أحرص على اقتناء كل جديد من الكتب والمراجع العلمية والفلسفية ، والمثير من المجلات العلمية والفكرية التى تناقش موضوعنا من قريبٍ أو بعيد .

نعم .. استهوتنى تلك الدراسة المثيرة ، فشمرت عن ساعد الجد ، فجمعت مادتها العلمية بجد وإخلاص ، وأخذت أناقش الأمر بينى وبين عقلى تارةً ، وبين إخوانى وأساتذتى بالجامعة تارةً أخرى ، عسى أن أهتدى إلى ما يشفى نفسى ، ويريح عقلى ، برأيٍ قاطعٍ ونهائي فى هذا الأمر .

**الأمر الثانى** : التعارض الواضح بين آراء تلك النظرية ومفاهيمها والأسس التى قامت عليها وما نتج عنها من نتائج استغلت أسوأ ما يكون الاستغلال ، وبين القيم الإنسانية والمفاهيم الدينية عامة والإسلامية بصفةٍ خاصة من قرآنٍ وسنةٍ وإجماع ، وخاصة الجزء المتعلق بنشأة الإنسان وتطوره عن كائناتٍ أصغر وأدق .

فأخذت أسأل نفسى : هل الإيمان بالله مسألة نظرية ، بحيث تدخل فى نطاق العلوم البشرية ، أم هى اقتناعٌ وجدانىٌ خالصٌ يعلو على كل الآراء والقضايا الفلسفية والعلمية والأدبية والتاريخية والشخصية ؟

وبعد بحثٍ واستقصاءٍ دام عامين وهما ما استغرقته تلك الدراسة من عمر الزمن كتابةً وتعليقاً تبين لى أنه ليس كذلك .

ولقد علمونا فى الصغر فى كتب العلوم التى درست لنا وطولبنا للأسف بحفظها لا بفهمها ــ أن الأرض تطورت ببطءٍ شديدٍ من سديمٍ غازى أو ما أشبه ذلك ، وأن النباتات والحيوانات لم تُخلق ، وإنما نشأت وحدها تلقائياً من المادة الميتة ، وأن ذلك قد تم فى ملايين السنين ... وأن البشر قد تطوروا من أحد أنواع الثدييات الشبيهة بالقرد ، فاحتاجوا أيضاً إلى مئات الآلاف من السنين ، أخذت أسائل نفسى :

تُرى ما هى الحقيقة ؟

هل العالَمُ هو خَلْقُ الله أم أنه وليدُ التطور ؟

http://al-maktabeh.com

هل أنا كإنسانٍ نسخةٌ مُحسَّنةٌ من بعض القرود ، أم أننى مخلوقٌ أصيلٌ من صَنعَة الله ؟

وبماذا يجب أن نعتقد : أبنظرية النشوء التى هى وليدة التفكير البشرى غير المدعمة بالحقائق ، أم بالقرآن الكريم الذى أعطى الكلمة التامة والقول الفصل فى تكوين الإنسان ونشأته والمنزَّل من لَدُن حكيمٍ خبير ؟

وبمعنى أكثر وضوحاً ، بل أكثر صراحة أيهما هو الصحيح فى وجود الإنسان ، الخلق أم النشوء ؟ ومن هنا كان علىّ أن أبحث وأقارن بين كل ما تقع عليه عينى من كتاباتٍ علميةٍ أو فلسفيةٍ ، وما تصل إليه يدى من مراجع وبحوث ، بل إننى أستطيع أن أقول بكل إعزاز وفخر : إنه بالإضافة إلى ما سبق فلقد كان الباعث الخفى . والدافع الحقيقى لالتحاق بكلية العلوم واتجاهى لدراسة الجيولوجيا ــ على وجه الخصوص ــ هو هذا الموضوع ، أعنى موضوع هذا الكتاب .

ولقد حرصت عند كتابتى للموضوع ، أن أكتب بلغةٍ علميةٍ بسيطة وسهلة وخالية من التعقيدات العلمية ، وأن تكون كل الحقائق الواردة فيه علميةً ومنتقاه من مصادر ومراجع علمية موثوق بها ؛ أملًا فى أن تنتهى حيرة الحائرين ، وأن يُزال كل لبس أو شك فى عقول أبنائنا فى العالم العربى والإسلامى ، فيقبلوا على دراسة كل جديد ومستحدث من نظريات العلم واكتشافاته دون خوفٍ أو وجل ، ويثبت أيمانهم بعقيدتهم ، فلا يتزعزع ، وليتعلموا أسس البحث العلمى الجاد والفكر المستنير .

والله يشهدُ كَمْ عانيت فى سنى دراستى المبكرة بالتعليم الثانوى من جراء بحثى فى نظرية التطور ، واستيعاب الانتخاب الطبيعى ، وقوانين الوراثة ، ومحاولة فهم كيفية التكيف فى الكائنات الحية ، ومدى قربه أو بعده عن واقع الحياة ، ودراسة ما يسمى بأشباه الإنسان والحلقات المفقودة ، وهل هى وهمٌ أم حقيقة ، وكيف توصلوا إلى ذلك ، أى كونها وهماً وليست حقيقة ، وماذا كان سلاح الباحثين فى هذا الأمر . وكنت أسأل ولا مجيب وإن كانت هناك من إجابة ، فهى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وأنا لا أدرى حقيقة :

لماذا أهمل القائمون على وضع المناهج العلمية الخاصة بتدريس مادة العلوم فى مدارسنا الجانبَ الآخر والمتعلق بالرد على آراء نظرية التطور وفروضها ؟

لماذا لم يبينوا ما فيها من مثالب أو نقائص حتى من باب ما تفرضه عليهم الأمانة العلمية ، وما تمليه عليهم ضمائرهم ؟

لقد كان من الخطورة بمكانٍ أن يعرضوا لوجهة نظرٍ واحدة دون محاولةٍ للنقد ــ أى نقد مذهب داروين ومؤيديه ــ وأقول : إن ذلك كان من الأهمية بمكانٍ حتى لايُتْرك

http://al-maktabeh.com

الشباب مرة أخرى حائراً يسير خبط عشواء فى حياته العلمية ، أو يمضى على غير هدى فلا يهتز إيمانه بربه عز وجل ، ولا يتشكك فى عقيدته الإسلامية وتتذبذب نظرته للأمور والمفاهيم الدينية من ناحية ، وكانت فرصة عظيمة على ما أرى كى يعرف الشباب معنى أو مفهوم الأمانة العلمية ، ولنغرس فيه منذ الصغر ما تمليه تلك الصفة على الباحث من فروض ، وما تفرض عليه من واجباتٍ ، ولنؤصل ذلك فى منهجة تفكيره العلمى مستقبلًا من ناحيةٍ أخرى .

وكان من الطبيعى أن أقدم لتلك الدراسة بالباب الأول عارضاً لكل نظريات النشوء والارتقاء ونظرية التطور لدى داروين بصفةٍ خاصة ، ثم كان علىَّ بعد ذلك أن أعرض لها بالنقد متتبعاً لمواضع الضعف بها وأوجه القصور فيها ــ آخذاً فى الاعتبار أهمية علم الجيولوجيا والحفريات فى هذه القضية ــ

فكان الباب الثانى موضحاً تلك المفاهيم ومدلولات ألفاظها وما خلفته من تساؤلات حائرة تبحث عن إجابة واعية وواضحة ، ثم أوضحت فى الأبواب التالية موقف الإنسان المعاصر من تلك النظرية ــ أعنى نظرية التطور ــ وتأرجحه بين الاعتقاد فى صحتها والتكذيب بها ، ضارباً المثل بضلالات البعض من علمائنا ، ومحاولتهم السير فى ركاب الغربِ ــ إما بالحق أو بالباطل ــ وذلك لأنهم جُبِلوا على التصفيق لكل ما هو مستوردٌ من العلم أو مستغْرَبٌ من القيم ؛ وذلك للشعور بالانتقاص الدائم ، والسير تجاه الغرب ، وكأننا أمة لا هوية لها ولا شخصية لعلمائها تميزهم عن غيرهم .

وكان ولا بد لى من التدليل على فساد الاعتقاد بالحلقات المفقودة فى نسب الإنسان ، والبرهنة على أنها من نسج خيال الواهمين ، وعلى أنها لم تكن سوى شيىء من زيف باطلهم وعبثه ليس إلا ، ولأوضح كيفية الوصول إلى الحقيقة والطريق الصحيح إلى ذلك ، ثم عرضت لموقف العلماء والمفكرين من آراء ذاروين وفروضه ومشاهداته ، من خلال التعرف على آراء علماء الغرب وكذلك علماء العرب والمسلمين ، ثم كان الحديث عن نشأة الإنسان بين نظرية التطور بما حوته من مفاهيم باطلة يعوزها الدليل القوى والبرهان المادى الملموس ، وبين القرآن الكريم ما حوى من تصورات سامية تدل على عناية فائقة وإبداع عظيم ، بل حرصت على إظهار الإبداع فى خلق الإنسان كدليل على تفرده بين الكائنات ، وليعلم كل باحث أن البحث العلمى لا يقف عقبةً أمام الإيمان الحقيقى ، إنما يقف إلى جانبه فى كل وقائعه ، ومنه يستمد العون والتوجيه الصحيح . وحتى تتضح الأمور ، ويزول كل غموضٍ ، ويذهب كل لبسٍ كان علينا أن نوضح المفهوم الصحيح للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، وكيف أنه ككتاب ربانى أو علوى لم يتعرض لتفصيلات المسائل العلمية ، بل ذكرها جملةً لا تفصيلًا ، وذلك لِيُعْمل الإنسان عقله ، وليشحذ فكره فيما يراه أمامه من إبداعٍ يفوق كل وصف ، وكمالٍ فى الخلق والإيجاد يكبر

http://al-maktabeh.com

بل يعظم عن كل تصور ، ثم إن حكمة الله البالغة وسابق علمه الأزلى اقتضيا ألا يذكر فى كتاب الله كل حقيقة علمية إيمانية بتفصيلاتها الدقيقة حتى يتماشى ذلك مع كل عصر وأوان ، لأن الحق تبارك وتعالى لو فرض أنه ذَكَرَ أية حقيقة من الحقائق مفصلةً وبكل وقائعها وقرأها أى إنسانٍ فى أى عصرٍ من العصور التى لم يتيسر له فيه وسائل إدراكها وطرق اكتشافها لَمَا صدقها أحد ، بل ربما ازداد الناس كفراً على كفرهم أو ضلالًا بعد إيمانهم ، فكان أن سار الأمر على هذا المنوال ....

ثم رأينا أنه من الأهمية بمكانٍ أن أبين فى جلاءٍ ووضوحٍ معنى التطور والمفهوم الحقيقى له ؛ لندرس فى عنايةٍ الأثر السيىء الذى تركته آراء داروين وما خلفته هذه النظرية فى مختلف العلوم الأخرى من علوم سياسية واجتماعية ، فلقد اتخذت ذريعة لاستعمار الشعوب واستعبادها ، وكانت معبراً لتثبيت مفاهيم الإلحاد وتعميقها والعمل على نشرها بين شعوب العالم .

ثم أحببت أن أبين مدى الضرر الواقع فى عقول أبنائنا حينما نبث أفكار داروين ومؤيديه ، وأن أعرض لهم الجوانب النقدية فيها ، وما بها من نقائص موجَّهة بدعوة علمائنا ، فكان الباب الأخير ختاماً لهذا الكتاب ، فدعوتهم كى يستيقظوا ، ويهبوا لتدارك هذا الخطر ، وإصلاح هذا الخطأ ، ناصحاً إياهم ألا يغفلوا عن مدارسة كتاب ربهم ، واستيعاب ما به من آياتٍ بيناتٍ واضحات بجانب علمهم الدنيوى ، حتى تشرق أنوارها فى قلوبهم وتهديهم إلى الحقيقة ... نعم الحقيقة التى هى بغية كل باحثٍ وطلبة كل عالمٍ ... وصَدَق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :

**﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيءٍ عليم ﴾**(١)

ولم يَفُتْنى أن أضع فى نهاية هذا الكتاب قائمةً بأسماء الكتب والمراجع العلمية والدينية التى استعنت بها فى إتمام تلك الدراسة ؛ كى يرجع إليها كل من لديه الرغبةُ فى الاستزادة ، ومن يريد أن يشبع نهمه فى ذلك الموضوع ...

وأرجوا بهذا العمل المتواضع أن أكون قد وفقت فى عرض الموضوع ، وما أردت به من عموم نفعٍ ، ودوام فائدة ، وإضافة شيء جديد ـــ ولو بالقدر القليل ـــ إلى المكتبة العربية الإسلامية .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

**ماهـر خـليل**

**٢٦ ربيـع الثانـى ١٤٠٧**

**الموافق ٢٧ ديسـمبر ١٩٨٦ م**

---

(١) سورة البقرة (٢٨٢)

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

# البـــاب الأول

## حيـاة داروينـــن بين العـلم والديـــن

أولاً : نشأة داروين ..... وطفولته .

ثانياً : داروين بين الكيمياء ... والطب ... واللاهوت .

ثالثاً : داروين ... والطواف حول العـالم .

رابعاً : داروين وارثا ... وليس خـالقا .

http://al-maktabeh.com

# الباب الأول

## حياة داروين بين العلم والدين

اعتاد الدارسون المنصفون والعالمون المتخصصون فى شتى أنواع المعرفة ، ومختلف ضروب العلم أن يربطوا دائماً ــ وبصورة قوية ومتكررة ــ بين المذهب والشخص ، وأن يجعلوهما وحدةً واحدة أو كلًا لا يتجزأ ، وذلك إنما يكون بصفةٍ خاصة فى الرجال الذين وضعوا المذاهب الفكرية والعلمية فى تاريخ الحضارة الإنسانية ؛ وذلك حتى يكونوا للناس بمثابة القدوة التى يُهْتَدى بها ، وحافزاً لأن يتمثل العامة خطاهم ، وحتى لا يفقد الناس الثقة فيما يقدمونه لهم من علم أو فلسفة .[1] .

أما بالنسبة للمخترعين والرواد فقد يختلف الأمر عن ذلك بعض الشيىء ، وذلك بأن القَدَر قد يكون له من الأثر فى حياة هؤلاء أكثر مما فى حياة أولئك ، فكثيراً ما يحدث أن يكون واحدٌ من المخترعين مهتماً بمحاولة الوصول إلى حلٍ لمشكلةٍ معينة ، ويقضى ليله ساهراً عله يهتدى إلى ما يريح عقله ويطمئن إليه باله ، فإذا به يخترع شيئاً جديداً ، أو يكتشف عالماً جديداً لم يخطر له ببال .

فالحقيقة العلمية وحدةٌ تتكون أجزاؤها على مدى الزمن ، وتتجمع أساسياتها درجةً بعد درجةٍ ، حتى تتضح على صورة كاملة تلابس الفكر بمقتضى الحقائق أو الوقائع التى تكون أكثر وضوحاً للأذهان فى عصرٍ من العصور ..

نعم فالفاتح أو المخترع أو القائد العظيم قد تهبط عليه الفرص هبوطَ الوحى ــ وحى إلهام ــ لا يدرى لها باعثاً ، أو يواتيه الحظ بفكرةٍ معينة أو اتجاهٍ خاص لا علاقة له بما رسب فى أذهان الناس من مفاهيم سادت فترةً معينة من الزمن .

أما فى حالة عالِمنا الذى نحن بصدد الحديث عن نظريته المعروفة بالتطور ــ تشارلس روبرت داروين ــ فقد قضى سنوات عمره يحاول التدليل على صحة ما يعتقد من حدوث التطور عبر ملايين السنين ، باذلًا كل جهده فى سبيل تصوير نظريته على أنها حقيقة علمية ، وكوحدة متماسكة الأطراف ، متكاملة الصورة ، متناسقة الجوهر .

وبناءً على ما سبق ، فلقد كان من الضرورى ــ بدايةً وقبل كل شيىء أن نتعرض لحياة داروين ــ وخاصة الجوانب العلمية منها ــ آملين أن توضح لنا ذلك الرباط القوى بين حياة العالم ونظريته ، وإلى أى مدى قامت نظريته هذه على دعائم قوية وركائز معينة ، أم أنها بنيت على حجج واهية وأدلة مردودة .

---

(١) نظريات الغرب وخصومه فى ميزان الإسلام ــ ماهر حسين

http://al-maktabeh.com

ولكن على ما أرى ، فإنه من الأهمية بمكانٍ ــ قبل هذا وذاك ــ أن نتعرض لمسألةٍ هامة يجب أن توضع فى الحسبان عند استعراضنا لحياة هذا العالِم الذى أحدث هزةً كبيرة وبلبلةً خطيرة فى فكر البشر كليةً بآرائه المتعلقة بالتطور ، للكائنات عامة ونشأة الإنسان بصفة خاصة ، ألا وهى الحياة التى كانت سائدة فى أوروبا قبل خروجه على العالَم بنظريته تلك وأثناء ذلك أيضاً . لقد عاشت أوربا فترة طويلة تعانى من موروثاتٍ قديمة ، وأفكار باطلة دعمتها الكنيسة ، وعملت على نشرها ، وحرصت على محاربة كل فكر وثّاب ، أو اكتشاف جديد يهدم معتقداتهم ، ويتعارض مع ما يؤمنون به من نظرياتٍ علمية أو افتراضاتٍ جدلية اتفق عليها باباوات الكنيسة وقساوستها .

وكان من ضمن تلك الموروثات الموئل الأسمى لسلوك الإنسان وتصوره فى أصل الكون ، ولقد قبل الناس هذه الموروثات على علاتها ، وعلى أنها حقائق مسلَّم بها لا تقبل تعاكساً ولا تحتمل جدلًا .

ولكن بمضى الوقت شيئاً فشيئاً بدأ الشك يغزو تلك الموروثات ، ومضى الريب يزداد فيها ، ويقوى مع كل كشفٍ جديدٍ من كشوف العلم ، وراحت الحقائق الثابتة الجديدة تمعن فيها نقضاً وتقويضاً ، حتى استحال على المفكرين أن يظلوا غافلين عنها ، مقفولة عيونهم دونها .

وعبثاً حاولت الكنيسة فى بادىء الأمر أن تحارب الجديد فى العلم جهاراً نهاراً ، وهذا ما كان منها إزاء العالِم الإيطالى جاليليو جاليلى ، عندما قال : إنه يؤيد كوبرنيكس فيما ذهب إليه من دوران الأرض حول الشمس ، وأن الشمس هى مركز المجموعة الشمسية وليست الأرض ، بل الأرض تابع لها ، فلم يفد ذلك من الأمر شيئاً ، إذ كيف ينكر ضوء الشمس فى وضح النهار إلا من كان بعينه رمد ؟

وعبثاً أيضاً حاول البعض أن يوفقوا بين المأثورات الواردة فى كتبهم المقدسة والكشوف العلمية دون انتظارٍ لأن تتحول تلك الكشوف أو النظريات إلى حقائق علمية ثابتة ، وذلك حتى لا يتهموا بأنهم يحاربون العلم ، ويظهروا للناس أنهم لا يعادونه ، بل يتفقون مع الجديد فيه ، فما أغنى عنهم تعسفهم فى التأويل شيئاً أمام القوة الجارفة التى سلطها منطق العقل على مذاهبهم ، فعلم الفلك بما توصل إليه المخترعون من تلسكوبات ومناظر فلكية وأجهزة رصد دقيقة ، وعلم الجيولوجيا ( علم طبقات الأرض ) ، ومعه علم الأحياء قد غيرت كثيراً من المفاهيم ، بل طوحت بالعديد من الأفكار والمعتقدات القديمة ، مثل وضع الأرض بالنسبة للشمس ــ كما قلنا آنفاً ــ وقصص الأساطير ، والحكايات الخاصة بنشأة الإنسان وعمره التقريبى فى الحياة ، فراح البعض يقيسون الروايات المنقولة بمجموعاتٍ متفرقة من معززات المعرفة انتزعوها من الإنكباب على درس الإنسان البدائى ، بينما مضى آخرون فى الكشف عن المنابع التى استقيت منها تلك القصص

http://al-maktabeh.com

والروايات ، فنشأ بذلك علمُ موازنة المأثورات أو المقدسات .

فى هذا الجو ومع بدء الصحوة العلمية ، عاش داروين يشجع ما يعتقد به من إمكانية إثبات تطور الإنسان عن غيره من الكائنات .

## أولا : نشأة داروين وطفولته

فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩ فى شروز بارى ولد تشارلس داروين ، خامس أولاد روبرت وارنج داروين ، وثانى أبنائه من زوجته سوزانه ود جوود ، وكان أبوه طبيباً نابهاً ، فعاش فى رغدٍ مكفى الحاجة .[١]

توفيت أمه وهو فى الثامنة من عمره ، فكان من الطبيعى ألا يتذكرها إلا لماماً ، وهى ابنة جوسيا ود جوود « صاحب مصانع الخزف المعروفة فى إترووريا» وكان مستقيم الأخلاق ، واسع الأفق ، نابه الذكر ، فلا عجب إذن أن تنقل سوزانه إلى أحفاده كثيراً من صفاته الخلقية والمعنوية ، مِنْ ذكر ما ذكر أحد أقربائه من أن داروين ذهب إلى المدرسة يوماً وبيده زهرة ، وأخبره أن أمه قد علمته كيف أنه إذا نظر فى داخلها استطاع أن يعرف صفة النبات .

والحقيقة ان لى وقفة يسيرة هنا حول تلك الرواية التى ذكرها الأستاذ مظهر فى مقدمته لكتاب أصل الأنواع لداروين نقلًا عن كتاب « تشارلس دارون حياته ورسائله »[٢] ، حيث أن الأستاذ مظهر قد ذكر بدايةً أن تشارلس داروين لم يكن يعى شيئاً كثيراً عن أمه ، بل لم يكن يتذكرها إلا لماماً فكيف يتفق ذلك مع رواية الزهرة هـذه ؟

ولكن على ما يبدو فإن الأستاذ إسماعيل مظهر لشدة إعجابه بنظرية التطور عند داروين ، وعميق إيمانه بآرائه فى نشوء الكائنات المختلفة وارتقائها ، قد غالى كثيراً فى سرده لحياة داروين ، وتتبعه لأسرار حياته فيقول :

فى أوائل القرن التاسع عشر ذاع مذهبٌ بين علماء الوراثة يقول : بأن صفات العباقرة تنتقل إليهم عن طريق الأم ، غير أن هذا المذهب ـــ حتى إن صح فى بعض الحالات فإنه ولا شك ـــ لا يمكن أن ينطبق على داروين لانحداره من أسلافٍ فيهم عبقريةٌ ذهنية . وبالرغم من أن أباه دكتور روبرت داروين على ما اتصف به من استقلال الشخصية ، وقوة الملاحظة ، ودقة النظر ، لم يكن ذا عقلية علمية فيكفى أن نعرف أنه كان عملى الذهن ، فلم يمر به شيىء يغمض عليه ، من غير أن يحاول تحليله بنظريةٍ يضعها ابتغاء حل

---

(١) مقدمة أصل الأنواع للأستاذ/ إسماعيل مظهر

(٢) تأليف فرنسيس داروين



http://al-maktabeh.com

مغمضه ، وإلى هذه الصفة يعزو ابنه تشارلس نزعته إلى تربيب النظريات التى يعلل بها غوامض ما يعرض له من مسائل العلم .

ويهمنا هنا أن نذكر ــ نقلًا عن المرجع السابق ــ أيضاً أن نظرية التطور التى وضعها ده ميليه ، وغيره من الباحثين فى ذلك العصر ، وجدت فى دكتور أراسموس داروين مؤيداً وظهيراً دافع عن تحول الأنواع ، وكانت تمهيداً لظهور مذهب لامارك .

وأراسموس هذا هو جد تشارلس داروين ، معنى ذلك : أن الفكرة لم تكن جديدة ، بل كانت قديمة ومعروفة ، ومن هنا كان دور تشارلس داروين ــ فى محاولاته الدائبة والمستمرة ــ لإثبات ذلك ، بما اعتقد أنه دالة ثابتة وحجج قوية أى أن داروين لم ينهج فى دارسته لتلك الفكرة المنهج العلمى السليم ، وهو أن يجمع الأدلة والقرائن ثم يستنتج حتى يصل إلى الحقيقة العلمية ، وتتبلور لديه كاملةً وتامةً من غير نقصان ، ولكن العكس من ذلك تماماً هو الذى حدث ، فالفكرة مبيتة أو النظرية مرسومة المعالم واضحة الخطوط ، ولكن ينقصها التلفيق المتقن المدعوم بما يشبه الدلائل والقرائن .

إن طفولة داروين وشبابه لم يدلا على أنه سيكون شيئاً فوق الأوساط من الناس ، غير أن هناك حقيقة لا ينبغى أن نهمل ذكرها هى : أن المؤثرات التربوية التى عرضتْ له فى ذلك الدور فى حياته لم تكن مواتيةً لتنمية ملكاته الخاصة بالبحث والاطلاع . وكثيراً ما يحدث ذلك ، أو يعرض لناشئين كثيرين ، فيعمل على إطفاء مواهبهم ــ تلك الشعلة القدسية ــ نظامٌ تعليمىٌ قاسٍ ، أو معلمٌ فاسدُ الذوق أو بيتٌ يجهل أربابُه كيف يُساس الناشىء ؛ لكى يحتفظ بما وهبه الله ، ولا نقول الطبيعة ــ كما قال الأستاذ مظهر ــ من ملكاتٍ خاصة أو كامن الصفات .

ولقد كان من طبع دارون التأمل والبحث ، وكان لا يحب أن ينظر إلى مشاكل العلم ومسائله من زاويةٍ واحدة ، وكان مثابراً ومحباً وشغوفاً بدراسة الكيمياء مع أخيه الأكبر ، ولقد بالغ الأستاذ/ مظهر فى ذلك مبالغة عظيمة ، وإن كان السبب لا يخفى عليك أيها القارىء اللبيب .

التحق داروين بمدرسة شروزبرى ، فدرس التاريخ والأدب القديم والقليل من الجغرافيا ، أما الرياضة فلم يكن لها كبيرُ شأنٍ فى تلك المدرسة إلا شيىء من هندسة إقليدس ، استعان داروين على تحصيله بمدرسٍ خاص ، وحتى نعلم مدى التخلف الذى كان سائداً فى ذلك الوقت ، والذى حدا بداروين أن يعتقد ما يشاء ، ولم يرسخ فيه معنى المنهجية العلمية أن حدث يوماً أن ثار مدير المدرسة على الصبى داروين ، وعنفه بشدة ؛ لأنه كثيراً ما ينفق وقته فى تحليل مادة تافهة كالكيمياء ، أما الأدب واللغات الحديثة والجغرافيا الحديثة والتاريخ الحديث فموضوعات لم تكن بأسعد حظاً من الكيمياء عند

http://al-maktabeh.com

القائمين على ذلك المعهد[1]

وأمضى داروين في تلك الدراسة سبع سنين طوالًا ، لم يحصل فيها من العلم إلا ما اضُّطُرَّ إلى حفظه عن ظهر قلبه عن الأدب القديم ، وبعض مقطوعات من الشعر ، بل كان من نظامها أن كل ما يدرس الطلبة ينبغى أن يحفظ ، وأن يعاد تسميعه غيباً .

لقد كانت سنوه المدرسية غفلًا من كل فائدة ، يمكن أن يحصلها فتىً يتهيأ لمواجهة الدنيا ، خرج من المدرسة وليس له من علمٍ بشيىء مما يحتاج أن يكون عالِماً به ، كل ذلك كان سبباً فى امتعاضه وصرفِ لاستعداداته العلمية ، فانصرف بكليته إلى الصيد والألعاب الرياضية ، واستغرق فى ذلك الوقت استغراقاً ، حتى قال فيه أبوه : إنه لايصلح لشيىء اللهم إلا لصيد الكلاب واقتناص الفئران .[2]

## ثانياً : داروين بين الكيمياء والطب ... واللاهـوت

وفى سنة ١٨٢٥ صح عند دكتور روبرت داروين أن ابنه تشارلس لن يستفيد بشيىء من بقائه فى مدرسة شروزبرى ، فأرسل به إلى أدنبرة ، وكان بها شقيقه أراسموس ؛ لكى يدرس الطب ، ويصبح فى النهاية طبيباً معالِجاً ، ولكن كان الأخوان فى فكرة واحدة ــ أو كانا على الأقل ــ مدركين أن ميراثهما كافٍ لأن يعفيهما من العمل على الكفاح فى سبيل الحياة ، ذلك الكفاح الذى هو من نصيب أصحاب المهن العلمية أو الفنية ، ومن ثَمَّ أطلقا لميولهما العنان ، منصرفين إلى ما يرضى ذوقيهما أكثر من انصرافهما إلى الانكباب على تحصيل برنامج الطب .

ولم يكن له اطلاعٌ واسعٌ فى العلوم البيولوجية أو كبير اهتمام بها ، ولكن صداقته لكولد ستريم وجرانت ــ وقد أصبحا فيما بعد علماء الحيوان المعروفين ، ومن مؤيدى مذهب لامارك فى تحول الأحياء ــ كانت السبب ــ فيما يعتقد البعض ــ من توجه داروين إلى دراسة الأحياء المائية ، فاتصل بالعلَّامة مكجيلنغازى ــ الأنثروبولوجى المعروف ــ وكذلك اتصل بالعالِم أوزوبولد ، الذى هام بحياة الطيور ، ورسمها مصوِّراً مختلف تصرفاتها أدق تصوير .

ما من شك فى أن داروين قد حصل كثيراً من أطراف المعرفة فى أثناء العامين اللذين أقامهما فى ايقوسيا غير أن جميع ما حصل عليه فى تلك الأثناء لم يكن ذا علاقة بالتعليم الأكاديمى ، بل يعتقد البعض أن هيئة الأساتذة فى أدنبرة كانت إلى السلب لا إلى الإيجاب فى حياته التعليمية ، فلقد كانت السبب فى كراهيته لقائمة المحاضرات ، بل إنها غرست فى

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

http://al-maktabeh.com

نفسه كراهيةً شديدةً لمواد العلم ، حتى ولدت فيه التبرم بهاوالضجر منها ، فلم يستثنِ من هيئة الأساتذة غير دكتور هوب أستاذ الكيمياء ، أما البقية فكانوا لديه من الخمول بحيث يتعذر احتمالهم ، ولم يستطع أن يتخلص من ذلك الأثر النفسى برهةً طويلةً من حياته .

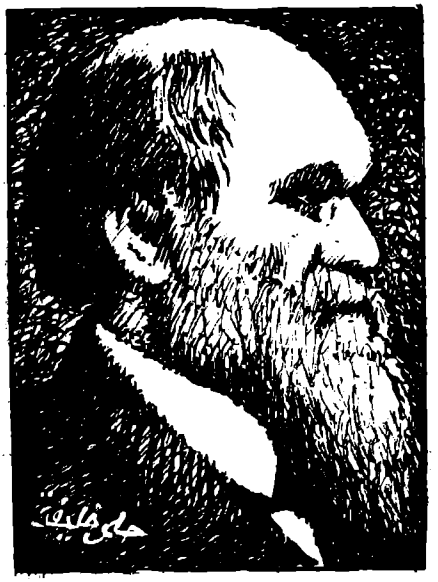

( شكل ١ ) تشارلز داروين

وبعد أربعين سنة طاف بخياله محاضرات أستاذ « المادة الطبية » فى أدنبرة فوصفها : بأنها ذكرى مخيفة ، أما أستاذ التشريح فكان فى محاضراته من الخمول ما يعبر أفصح تعبير عن خموله ، ذلك كان من وجهة نظر داروين ، وكذلك كان موقفه من أستاذى الجيولوجيا والحيوان ، فلم يتحرج أن يقول فيهما : إنهما بلغا من بلادة الذهن مَبْلغاً يبعد تصديقه حتى أن سامعيها قد تتولد فيهم نزعة خطيرة بأن يعاهدوا أنفسهم على ألا يقرأوا كتاباتٍ فى الجيولوجية أو يجازفوا بدراسة هذا العلم ما امتدت بهم الحياة .

ومن العجيب أن يستدل بعضُ مَنْ كتبوا عن حياة داروين الشخصية والعلمية بما سبق عن نبوغه المبكر ، وعلى ما بلغ نباهة الذكر وبسطة العلم .

فهل معنى ذلك أنه لم يستوعب تلك العلوم ، أو لم يسترح إلى من قاموا بتدريسها ، أو لم يجد قبولًا فى نفسه لتلك العلوم أو قل ذلك جميعه ، أم هل معناه أنه باحثاً عظيماً وعالماً جليلًا أو شاباً متفرداً فى ملكاته لمجرد أنه رأى أن علم التشريح مخيف . أو لم تعجبه

http://al-maktabeh.com

الطريقة التى كانت تدرس بها علوم الجيولوجيا والحيوان ؟
ولِمَ لا يكون ذلك نوعاً من الإسقاط النفسى ؟ .

أليس من الممكن أن يقوم كل هذا دليلًا أو يعقد احتمالًا لمثل هذا المفهوم ؟ أم أن الإيمان بالنشوء والارتقاء كان قد أعمى الكثيرين عن رؤية الحق ، بل حمسهم أيضاً للمغالاة فى شخص داروين وبهذه الصورة ؟

ولقد ذكر داروين فى سيرته الشخصية أنه كان يميل إلى دارسة الطب وممارسة المهنة ، كما تؤيد أعماله العلمية أن به استعداداً للتشريح ، رغم مقته الشديد له ولعلم الجراحة عامة ، وكان من المحتمل جداً ألا يكتب شيئاً فى أصل الأنواع .

بعد عامين قضاهما فى أدنبره أدرك أبوه ــ بما اتصف به من حصانةٍ وحدة ذهن ــ أن شاباً لايجد فى محاضرات الأساتذة إلا البرم والضجر ، ولا يقوى على أن يدخل قاعة التشريح ، ويهرب من النظر إلى العمليات الجراحية ، ويرى أنه فى غير حاجة إلى مهنةٍ تكفيه حاجة العيش ، مستحيلٌ عليه أن يكون طالب طبٍ ، وهداه تفكيره أن يحول تشارلس إلى جامعة إنجليزية ، وأن يوجهه نحو الكنيسة ، ورأى الشاب أن الفكرة حسنة ، بالرغم من أن رجل الدين ــ وفى بيئة ريفية ــ لا يجمل به أن ينصرف إلى هوايةٍ من الهوايات ، والصيد فى الغابات والمروج ، وبعد تفكيرٍ وبحثٍ وَافَقَ على مقترح أبيه .

وقع اختيار أبيه على جامعة كمبردج ، ولكن هناك عقبة بأن داروين فى خلال أيامه بجامعة أدنبره كان قد نسى كل الأدب القديم الذى حصله فى حياته ، ولم يعد يذكر منها شيئاً ، اللهم إلا بضعة أحرف من الأبجدية اليونانية ، غير أنه فى خلال ثلاثة أشهر ، وبإشراف أستاذ استطاع أن يترجم عن هوميروس وعن الأصل اليونانى للعهد الجديد ( الإنجيل ) بسهولة ، وبذلك بدأ تشارلس داروين شوطه الثالث فى مرحلة التعليم ، والتحق بكلية اللاهوت بكمبردج فى شهر أكتوبر سنة ١٨٢٧ ، غير أن الجامعة الإنجليزية لم تكن أنجح من الجامعة الإيقوسية فى توجيهه .

قال فى سيرته الشخصية :

« كان وقتى فى خلال الثلاث سنوات التى قضيتها فى كمبردج ضياعاً من حيث التحصيل الأكاديمى ، شأنها فى ذلك شأن السنين السوالف فى أدنبرة فى المدرسة » .
هكذا يقول داروين بنفسه عن نفسه وبكل صراحة ، ولكن هذه الصراحة لاتعجب الأستاذ مظهر فيسارع يقول :

« إلا أن داروين لم يكن خاملًا ولا بليداً ولا متلافاً مضيعاً لوقته وعمره ، وذلك بأنه وجد فى كتاب بالى فلسفة المعنويات وكتاب شواهد النصرانية غنى عن هواياته ، فأكب عليهما ، لأنه وجد فى منطق الكتابين لذةً وفائدةً لم ير فيهما إلا اللذة والفائدة التى آنسهما

http://al-maktabeh.com

فى كتاب إقليدس .

وأنا بدورى ــ عزيزى القارىء ــ أدعوك لقراءة هذين الكتابين ، وخبرنى بربك أى لذة تلك ــ إن وجدت فى ذلك لذة ؟ ــ إن لم تعثر عليهما ، فأحب أن أسألك : هل تقوم النصرانية الحالية على شواهد صحيحة ، وأدلة واضحة قوية ، حتى يعجب بها داروين وينكب على دارستها ؟[1] .

وبالرغم مما قال به الأستاذ مظهر فى مقدمته لترجمة كتاب داروين[2] ، وما ذكرناه سابقاً من أنه لا يجمل برجل الدين أن ينصرف إلى هوايةٍ من الهوايات ، وبخاصة جمع نماذج من الأحياء لدارسة التاريخ الطبيعى ، ورغم ذلك اختار داروين بأن يدرس المسيحية ، ويتجه نحو الكنيسة نراه يقاضى نفسه فيقول متداركاً الموقف :

إن غريزة جمع نماذج الأحياء التى ظهرت فى داروين منذ نعومة أظفاره ــ وهى غريزةٌ ثابتة فى طبيعة علماء المواليد[3] جميعاً ــ قد انصرفت فى أثناء مقامه بجامعة كمبردج إلى جمع نماذج من الحشرات ...

ولقد عز على الأستاذ المترجم أن يتحدث عن بطلٍ من أبطال علم الجيولوجيا ، ورائدٍ من رواد علم التطور ولا يتحدث عن موهبته المبكرة ، كما هو الحال مع علماء الأحياء الآخرين إنك تحس ــ عزيزى القارىء ــ أن المترجم بمقدمته تلك يريد الإيعاز ــ وبصفةٍ مستمرة وبمحاولاتٍ متكررة ــ إلى أن داروين كان أسطورياً وعبقرياً منذ الصغر كيف ؟ لا نعلم فيقول :

اهتم داروين بجمع نماذج الحشرات ، منافساً فى ذلك أختاً له أيهما يحصل على عددٍ أكبر ، وأكب على الخنافس جميعها من غير أن يأبه بما وراء ذلك من بحثٍ علمى ، بل إنه لم يهتم حتى بمعرفة أسمائها .

ولكن لا يلبث المترجم أن يقول : ولكن ذلك ولا شك يشير إلى اتجاهٍ عقلي ذى دلالةٍ واضحة . كيف ذلك ؟ لانعلم . وهل يتفق ذلك مع ذكر نبوغ داروين المبكر ؟

وكم كان يسعد داروين ركوب الخيل ، فيجوب النواحى الريفية على ظهر جواد ! فيمضى فى ذلك الساعات غير ملق بالا بذى شيىء إلا آن يتخذ من ذلك تسليةً ، ولم يَفُتْ المترجم أن يبرز الدور العظيم لداروين فى علم الموسيقى والفن الرفيع ، ليبدو لكل دارس لنظرية التطور أن صاحبها كان رجلًا موسوعياً إلى حدٍ كبير فيقول :

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جينيبر ترجمة د . عبد الحليم محمود .

(٢) أصل الأنواع .

(٣) يعنى علم التاريخ الطبيعى .



http://al-maktabeh.com

لم يكن ذا أذنٍ موسيقية ، وكان ضعيف الذاكرة فى استعادة الأنغام ، ولكنه بالرغم من هذا كان شديد التعلق بالموسيقى ، فالتحق عضواً بجمعيةٍ موسيقية ، ولم يكن ناقداً لأعمال الفن ، وبخاصة الرسم ، غير أنه كان يبدى على بعض اللوحات انتقادات هى فى صميم ذلك الفن الرفيع .

**ثالثاً : داروين بين الدراسة والطواف حول العالم :**

لقد ولج داروين أبواب كمبردج ، وفى نفسه غضاضة من علم الجيولوجيا ، ورثه عن مُقامه فى أدنبرة ، غير أن الأساتذة ــ الذين شغلوا كثيراً من كراسى الأستاذية فى كمبردج ، وبخاصة فى علمى النبات والجيولوجيا ــ كانوا من طابعٍ باينَ طابع أساتذة أدنبرة مباينةً تامة ، فكان ذلك سبباً فى أن يعزف داروين عن محاضرات الأستاذ سد جويك الجيولوجى المعروف ، غير أنه انتمى إلى شعبة النبات ، ولم يبدِ بالنبات كبير اهتمام ، ولكنه شغف بالرحلات العلمية التى كان يضفى عليها هنسلو أستاذ علم النبات كثيراً من المرح والاستفادة العلمية .

كان داروين قد قطع على نفسه عهداً ألا يعالج علم النبات ، ولا يقرأ الجيولوجيا ، ولكن هنسلو استطاع أن يدفعه إلى الحنث بعهده ، وسعى عند الأستاذ/ سد جويك أن يصطحب داروين فى رحلةٍ من رحلاته الجيولوجية فى مقاطعة ويلز ، ويعلق الأستاذ مظهر على ذلك قائلًا : بذلك استطاع ( أى داروين ) أن يعلم بالكثير من العلم العملى بالجيولوجيا وكان ذلك عاملًا على نجاحه فى مقتبل أيامه .

وإننى لفى عجبٍ من هذا القول إذ كيف يكون ذلك ؟ إننى ــ كواحد من المتخصصين فى علم الجيولوجيا ــ أقول وبكل ثقة : إن الواحد منا لايستطيع أن يتعلم كل شيىء من زيارةٍ واحدة أو رحلة جيولوجية واحدة لمنطقة معينة ، وأن يلم بالكثير عنها ، ولكن يبدو أن هذا جائزٌ من وجهة نظر الأستاذ المترجم طالما أن الذى قام بالرحلة هو داروين ولا أحد سواه .

لقد وجه هنسلو تلميذه فيما بعد إلى قراءة الجزء الأول من كتاب مبادىء الجيولوجيا[1] ، وكان هنسلو من أنصار مذهب النكبات الجيولوجية ، وهو مذهب يقول : بأن الأرض كان ينتابها بين آنٍ وآخر نكباتٌ[2] تمحو ما عليها ، ثم تتجدد .

ولكن لايل كان يرى غير هذا ، فكان من الضرورى أن يحذر هنسلو تلميذه من أخذ نظريات لايل قضيةً مسلمةً ، ولكن داروين رأى فى لايل الصواب ، بل إنه قد بنى أعماله

---

(١) تشارلس لايل

(٢) تشارلس داروين حياته ورسائله ــ لفرنسيس داروين .

http://al-maktabeh.com

فى علم الأحياء ( البيولوجيا ) على فكراتٍ أوحت بها المبادىء العلمية التى بثها سير لايل فى كتابه مبادىء الجيولوجيا ، ولقد اقترح هنسلو على داروين أن يلتحق بالبعثة العملية التى أزمعت السفر على متن « البيجل » فى رحلةٍ حول الأرض باحثاً فى التاريخ الطبيعى .

يدل على ذلك ما ننقله عن داروين قوله :

عند عودتى إلى انجلترا ، وضح لى أن اتباع الخطة التى رسمها لايل فى الجيولوجيا واستجماع الحقائق ذوات الصلة بتحول الحيوان والنبات سواء فى حالة الإيلاف أم فى الحالة الطبيعية ، قد يكون مجدياً فى تبصيرنا بالموضوع كله ، أى بأصل الأنواع .

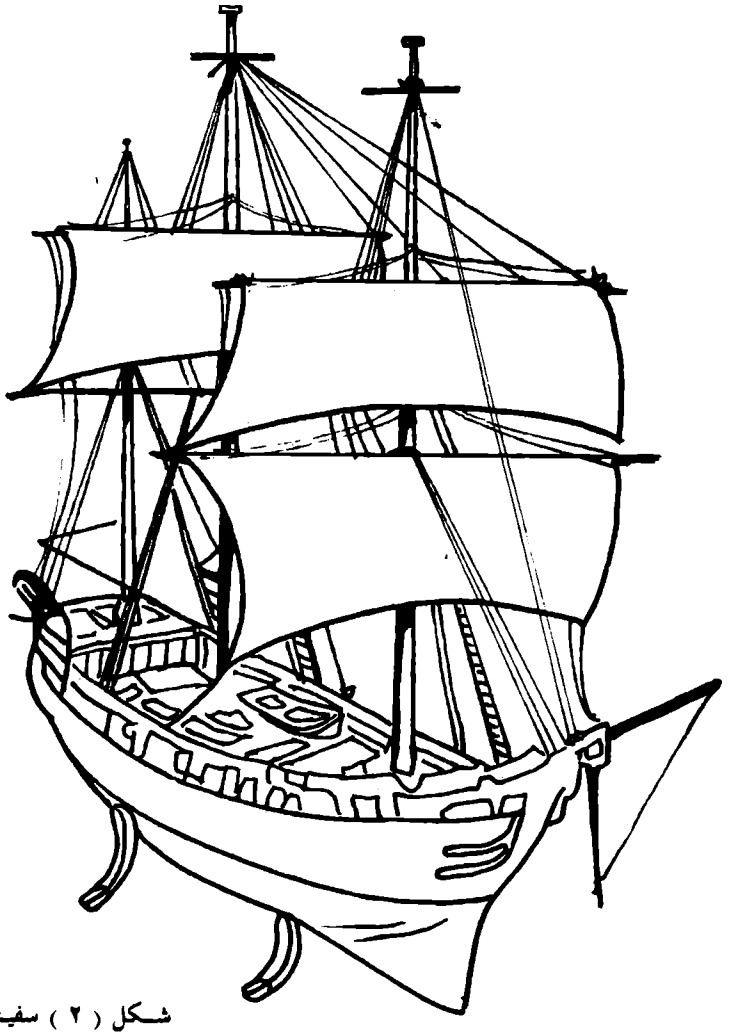

شكل ( ٢ ) سفينة البيجل

http://al-maktabeh.com

وفى ٢٤ أغسطس ١٨٣١ كتب الأستاذ هنسلو إلى داروين :

لقد قام عندى أنك أليق شخص أعرفه ، فأوصى به لهذا المركز ( أى مرافقة الرحلة ) لا لأنك عالمٌ طبيعى تام التأهيل ، وإنما لأنك صبورٌ على الجمع والمشاهدة وتدوين المذكرات عن كل ما يلفتك من أشياء التاريخ الطبيعى ، وسوف تستغرق رحلة السفينة عامين كاملين ، فإذا أخذت معك جملةً من الكتب فسوف تحصل على كل ما يرضيك .

ولقد كان داروين عارفاً بحقيقة كفاياته ، فلم تتعدَ مطامعه سوى أن يعود إلى بلاده بجملةٍ من مادة العلم الأولية ، ينفع بها علماء وطنه ، بحيث يكون ما يجمع وما يدون محلًا لثقتهم ، ولا يجعلهم فى شك من أمر ما يزودهم به منها .

كان هذا بدء المرحلة الرابعة فى حياة داروين التعليمية ، وعلى ما أعتقد ، فلقد كانت المرحلة التى كونت جوانبه العلمية ، وصرفته ناحية التاريخ الطبيعى .

على أن الحياة على ظهر سفينة حربية صغيرة لاتتجاوز ٢٤٢ طناً قلّما تكون مواتيةً أو مريحةً لباحثٍ طبيعى يحاول أن يتفقه فى العلم بالطبيعة ، ينتزعه من مجاليها الواقعية لا من الكتب فحسْب زِدْ على ذلك أن داروين لم يكن له فى السفينة خلوةٌ خاصة ، ناهيك عن حياة البحار وما فيها من منغصات السفر والمرض ، لاسيما لمن لم يعتد تلك الحياة .

أقول ذلك لعلمى بمدى أهمية الرحلات العملية للباحثين ــ خاصةً فى علوم الجيولوجيا والبيولوجيا ــ إذ أن هذا الجانب الذى يعتمد أول مايعتمد على قوة الملاحظة ، والصبر الشديد على جمع العينات المختلفة ، وكيفية التدوين ويشمل كل ما يقابلهم من معلوماتٍ هامة أو غير هامة له من الأهمية بمكانٍ بحيث يعتبر العمود الفقرى لأى عملٍ علمى هام ــ إن لم يكن العمل كله ــ وصدَقَ العلامة كريس موريسون حينما قال بأهمية ذلك لمختلف العلوم العملية .

ولذا قال داروين : « لقد شعرت بأني مدين لهذه الرحلة ، باول ماحزت من مرانٍ عقلي أو تحصيلٍ علمي » ، ومن حسن حظه أن شوطه التعليمي على ظهر «البيجل» قد استمر خمسة أعوام بدلًا من عامين ، زودته بشواهد طبيعية ، استعان بها فى التدليل على صحة ما يعتقد .

شغل داروين ، وهو على ظهر السفينة ، بدراسة المجموعة النباتية التى تعيش أفرادها على سطح الماء ، وسجل ما رأى مدونةً طويلة ، لَمَّا كان غير ذى مران فى التشريح كان عاجزاً عن رسم النماذج جاهلًا بكل ما يتعلق بالتشريح المقارن . فلم ينتج جهده ذلك غير ركام من الأوراق المكتوبة ، لا فائدة منها ولا غناء فيها ، اللهم إلا بعد حقائق ذات بال تتعلق بالقشريات وجنسين آخرين هما الأسطيخ[1] والسيهوم[2] ( من الديدان السهمية ) .

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٦١



http://al-maktabeh.com

وعلى العكس من ذلك كانت ممارساته من فوق اليابسة ، فقد ظهر له مراراً أن علم الجيولوجيا قد استطاع أن ينقش فى ذهنه صورة أخرى غير الصورة التى نقشها تعلمه لهذا العلم فى جامعة أدنبرة .

وإن هذ ليذكرنى بكلمة قالها واحدٌ من علماء الجيولوجيا فى مصر ، والمهتمين بدراسة صخور الركيزة المعقدة فى صحرائها الشرقية فى إحدى محاضراته عن هذا الموضوع ، عندما كنت طالباً بكلية العلوم ، وهو الدكتور عبد الحميد نوير قال :

أحياناً ، بل كثيراً ما يختلف الأمر فى دراسة موضوعنا هذا من الناحية النظرية ، عما سوف ترونه فى الطبيعة ، فما عليكم إلا أن تغلقوا كتبكم ، وتذهبوا إلى الجبل حيث ترون الحقيقة واضحة وكاملة ، فما الكون بما فيه من جبالٍ ووديان وصخور وهضاب سوى كتابٍ كبير يحتاج إلى فهمٍ وتفسير .

لم يمض على إبحار السفينة ثلاث أسابيع ، حتى ألقت مراسيها فى ميناء « سان ياجو » فى جزر الرأس الأخضر ، ولم تكد قدما داروين تطأ أرضها حتى بهرته جبالها البركانية ، وظواهر التطريح[1] التى آنسها فى أديمها الصخرى . ولقد كان لدراسته الجيولوجية ، برغم ما شعر من كراهيةٍ ، لها أثرٌ كبير فى توجيهه ، بحيث أيقن أنه يستطيع أن يؤلف كتاباً فى هذا المجال ، وخاصة ما يصادفه فى رحلته الطويلة ، وكان أول ماساوره هذا الاتجاه ، عندما أوى إلى صخرةٍ من الحمم البركانية المتصلبة ليستريح فى ظلها . يقول داروين :

لقد اصطحبت الجزء الأول من كتاب مبادىء الجيولوجيا لسير لايل ، عكفت على درسه بانتباه .. ولقد استفدت من هذا الكتاب أكبر فائدة من نواحٍ مختلفة ، ولقد ظهر لى بجلاء من أول مكان زرته فى رحلتى سان ياجو فى جزر الرأس الأخضر ــ تفوق الطريقة التى عالج بها عالم الجيولوجيا على كل الطرق التى عالجه بها غيرهُ من المؤلفين ، ممن قرأت لهم إن عاجلًا أو آجلًا .

وطبيعى أن يحدث ذلك ؛ إذ أنه كان من أنصار سير لايل والمؤيدين لمذهبه فى تطور بناء الأرض الجيولوجى ، دون مذهب القائلين بالنكبات الذى سبق أن أشرنا إليه .

وقَلَّما تضمنت رسائله التى أرسلها إلى انجلترا من جنوب أمريكا شيئاً غير مشاهداته الجيولوجية . يقول :

لم يختص عملٌ من الأعمال بروح استقرائية أكثر مما اختص به عملى هنا ، فإن نظريتى بجملتها قد طفرت إلى ذهنى ذات يوم على الشاطىء الغربى من أمريكا الجنوبية قبل أن يقع بصرى على شعب مرجانى ، ولم يبقَ أمامى إلا أن أتحقق من وجهة نظرى ، وأطبقها ، بأن

(١) التطريح : النتؤ أو البروز الذى يصيب قشر الأرض بفعل طبيعى وقد يسمى التقبب .

http://al-maktabeh.com

شكل ( ٣ ) تشارلس لايل

أعكف على دراسة الشعاب أو الرياف الحية[1] .

إن هذا إنما يدل على أن فكرةً تسوقه إلى استنتاج لها أو استنباطٍ لقوانينها .

ولقد كتب داروين فى إحدى رسائله إلى صديقه « و . د فوكس » يحض على دراسة الجيولوجيا قائلًا : كانت ممارستى للجيولوجيا فى جنوب أمريكا قد شجعتنى على أن أذهب فى بعض نواحى هذا العلم لأبعد مما ذهب ( يعنى سير لايل ) إن الجيولوجيا علمٌ أصيل ، فضلًا عن سهولة استيعابه ، إذ أنه لا يحتاج لغير قليلٍ من القراءة والتفكير والدقّ بمعول .

ولكننا نستطيع القول : بأن التقدم الذى بلغه علم الجيولوجيا بعد ذلك جعل حكم داروين فى سهولة استيعابه أمراً جدلياً صرفاً ، ذلك بأن علم الجيولوجيا قدامتدت فروعه وتشعبت إلى نواحٍ علومٍ أخر ، جعلت استيعابه يحتاج إلى أكثر من قليلٍ من القراءة والتفكير والدق بمعول ، ولعل الدارسين لهذا العلم يعلمون ــ أكثر من غيرهم ــ ذلك تماماً .

ومهما يكن من أمرِ ذلك فأنه فى ختام رسالته إلى صديقه فوكس يتساءل : إذا كان العكوف على دراسة علم الحيوان قد يكون أجدى . يدلنا على هذا التردد عبارات

(١) الرياف الحية : هى التى لاتزال فى طور التكوين بفعل الموالب المرجانية .

http://al-maktabeh.com

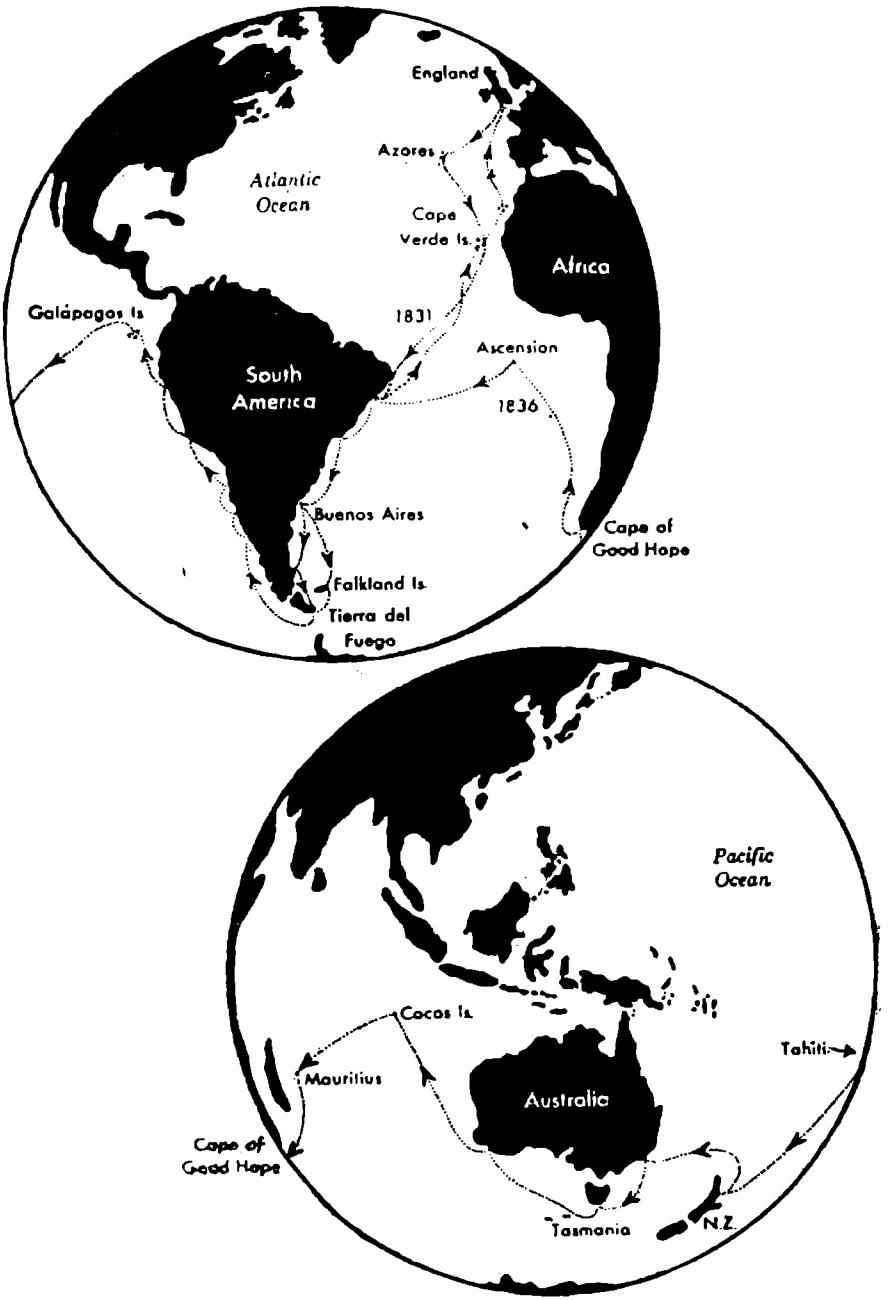


شكل (٤) رحلة السفينة البيجل

http://al-maktabeh.com

دارت فى سيرته الشخصية ننقلها هنا ، لِما لها من شأنٍ فى إظهار حقيقةٍ معينة نود إبرازها لاحقاً .

فى أثناء رحلتى على البيجل أخذت بكثير من العجب ، إذ كشفت فى تكونات البداح ( أى الباماس ) عن بقايا حيوانات حفرية ذوات دروع تشبه دروع الأرمديل الذى يعيش اليوم . وثانياً : بالأسلوب الذى تتدرج فيه الحيوانات المتآصرة ( أى ذوات الآصرة الطبيعية ) ، إذ يمثل أحدهما مكان الآخر فى خلال تقدمنا نحو الجنوب فى تلك القارة . وثالثاً : بصفات أكثر الكائنات فى جنوبى أمريكا من حيث مشابهتها لتلك التى تعيش فى جزر جلابا جوس ، وبخاصةٍ تباين الأحياء تبايناً تافهاً فى كل جزيزة من جزر تلك المجموعة ، وبعض هذه الجزر تلوح كما لو أنها ذات عمر جيولوجى موغل فى القدم ، ثم يقول :

ومن الظاهر أن هذه الحقائق ــ وكثيراً غيرها ــ لايمكن تحليها إلا بأن نفرض أن الأنواع قد تحولت تدرجاً ... إن هذه الفكرة تساورنى ، غير أنه مما يقارب ذلك وضوحاً أن لا يمكن أن نرجعه إلى تأثير الظروف المحيطة بالأحياء أو إرادة الكائن العضوى ذاته وبخاصة النبات ....

أرأيت ــ عزيزى القارىء ــ أسلوباً علمياً مثل هذا الأسلوب ؟ وهل بإمكاننا أن نعتبره علمياً ، أو نعتبره أساساً لتكوين حقيقة علمية ثابتة عن طريق الفرض والشكوك التى تساور الإنسان ؟

ولهذا فإن الحقائق التى أشار اليها داروين خلال رحلته تلك من شأنها ولاشك ان تثير فضول اى انسان غير أنها ولاشك تظل أساساً غير سليم للتأمل والاستقراء الصحيح ، مالم تستغل ــ بقدرٍ كافٍ من الضبط والدقة ــ حقيقة العلاقة الكائنة بين مختلف العلاقات الكائنة بين الأنواع الموجودة والأنواع المفترضة وكذلك العلاقات الكائنة بين مختلف الأنواع التى تقطن بقاعاً جغرافية متباينة ، ولكن لم يتسنَ له ذلك قبل عودة البيجل إلى أرض الوطن ، فحاول فيما بعد أن يستفيد مما شاهد فى تحقيق وجهة نظره .

ففى يوليو ١٨٣٧ كتب إلى دكتور أوتورا خارياس ما يلى :

لمَّا كنت على ظهر البيجل مضيت أعتقد فى ثبات الأنواع ، ولكن على قدرَ ما تعى ذاكرتى كانت تساورنى شكوك غامضة إزاء ذلك بين آونة وأخرى ، ولَمَّا عدت إلى الوطن فى خريف سنة ١٨٣٦ عكفتُ بلا زادٍ على إعداد مذكرتى العلمية لتنشر ، فآنست إذ ذاك كثيراً من الحقائق ( الواقع أنها لم تكن حقائق بعد التى تؤيد تحول الأنواع وتسلسلها بعضها من بعض ) وبدأت فى شهر يوليو ١٨٣٧ فى تدوين ما قد يكون له صلة بهذا الموضوع ولكنى لم أقتنع بأن الأنواع كائنات متحولة قبل مضى مابين عامين أو ثلاثة أعوام



http://al-maktabeh.com

على ما أتذكر .

أخذ داروين يفكر كيف يستطيع أن يفلت من ذلك الاتجاه الآخذ بطرق البيولوجيا والجيولوجيا ، وقد صورت فى ذهنه فرضية تؤيدها دلائل معينة بين يديه رأى فيها أنها المفتاح إلى سر الأسرار ، كما يقول فى مقدمة كتابه أصل الأنواع .

ولقد كان الباحثون قبل عصر داروين يقولون : بأن الحيوانات والنباتات قد خُلِقَتْ على ما هى عليه وكما تقع عليها أعيننا فى هذا الكون ، وأن استيطانها الحالى إنما يرجع إلى هجرات واسعة النطاق أَقْدَمَ عليها أسلافُها الأقدمون بعد أن فيض ماءُ الطوفان ، واستوتْ سفينة نوح على اليابس .

وبالرغم من أن كثيراً من الجيولوجيين قد عملوا جاهدين على إثباتِ أن الطوفان لم يعم وجه الأرض فى عصر من العصور السابقة ، وأن الأرض إن كانت قد أصابها الطوفان ، فإنها كانت موضعية صرفة ، فإن كثيراً منهم ــ وعلى رأسهم سير لايل ــ كانوا يعتقدون بنظرية الخلق المستقل الصور للحيوان والنبات .

وذاعت قبل داروين مذاهبُ فى تعليل تطور الأنواع والاعتقاد بها منها : مذهب ده ميلين وجده أراسموس داروين ، غير أنه كان أشهرها فى ذلك الوقت مذهب العالِم الفرنسى لامارك ، وكانت وجهة نظرهم من قبل عدم الإعتقاد بالخلق المستقل وهروباً من الإيمان لا أكثر ، وفى ذلك يقول داروين نفسه فى رسالة إلى سير لايل فى مارس ١٩٦٣ :

« إن أفلاطون وبافون وجدى أراسموس قد ذهبوا من قبل لامارك مذهبَ : أن الأنواع إذا لم تكن قد خُلِقَتْ مستقلة بعضها عن بعض فلا تناهى من القول : بأنها قد تحولت عن الأنواع الأخرى . »

لما يئس داروين من أن يجد فى بحوث الذين سبقوه تعليلًا مقبولًا لنشوء الأنواع بطريق التحول العضوى مضى يربب مذهبه مستقلًا عنهم ، ولم يلبث غير قليل حتى رأى الانتخاب هو حجر الزاوية فى نجاح الإنسان فى توليد السلالات النافعة حيواناً كانت أو نباتاً . وكانت هذه أول خطوة خطاها فى سبيل الاهتداء إلى الحقيقة ، غير أنه ما لبث أن اصطدم بمشكلةٍ ، وفى ذلك يقول :

« أما كيف يمكن أن يؤثر الانتخاب فى الكائنات العضوية فى حالتها الطبيعية فقد استغلق علىَّ أمره تماماً » .

ولكنه وقع على مقالةٍ كتبها مالتوس ــ عن التعداد وتكاثر السكان ، وكان ذلك فى خريف ١٨٣٦ ، استعان بها فى فهم الانتخاب الطبيعى ــ كما أسماه ــ فقد ظهر له من هذه المقالة أن تزايد الأفراد غير المحدود ، يقتضى حدوث ما سماه بالتنافس على وسائل البقاء أو الصراع ، وأن نجاح جانبٍ من المتنافسين معناه خيبة الآخرين وأن ذلك معناه

http://al-maktabeh.com

الانقراض ، هكذا تصور داروين أن الانتخاب ـــ أى انتخاب المتفوقين فى معركة التنافس ـــ إنما يرجع إلى أنهم أكثر تكيفاً مع الوسائل والحالات التى يقتضيها التنافس ، وفهم أن التكاثر غير المحدود يقتضى تنافس الضروب المختلفة ، وأن ذلك التنافس لابد من أن ينتهى بانتخاب الأكثر تكيفاً مع مختلف حالات الحياة .

وقد أثبت داروين فى محلق تاريخى لتدرج الحقول فى فكرة أصل الأنواع نشره فى أول كتابه ، أن شيئاً من ذلك ذكره دكتور ولز فى سنة ١٨١٣ ، وتوسع فيه باتريك ماتيو سنة ١٨٣١ ، ولكن الآراء لم تكن تلقى اهتماماً أو قبولًا من علماء هذا العصر ، حتى قال بها داروين من جديد .

لقد جعل داروين من صور التكيف ـــ حتى أكثرها تعقيداً أو رُقِيًّا ـــ من الممكن أن يكون نتيجة منظومة طويلة من التحولات النافعة تُستَجْمَع على مدى الزمن ، ويعترف داروين فى مذكراته الأولى ـــ التى أخذ يصور فيها نظريته ـــ أنه أعمل النظر فى مشكلةٍ من أدق المشكلات الهامة ، ويعترف بأنه لم يوفق إلى تعليل ظواهرها بصورةٍ مرضية . قال :

« هذه المشكلة هى نزوع الكائنات الحية المنحدرة من فترة معينة أن تنحرف صفاتها إذا ما شرعت تتكيف ، لأن نظرية الانتخاب الطبيعى على الصورة التى ظهرت فى كتاب أصل الأنواع كانت قد اكتملت فى عقل داروين فى سنة ١٨٤٤ ، إذ كتبها بعد أن ظلت تحوم فى تفكيره خمس عشرة سنة .. باذلًا جهده فى جمع كل ما يعتقد أنه من الممكن أن يقوم دليلًا على تأيدها ، وما يتوسم فيه من كونه شيئاً ينتفع به فى إثبات طرف من أطرافها . ففى هذا العام أيضاً نَشَر كتابه الذى ضمن ما جمع من ظواهر الجزر البركانية فى رحلته ، وفى عام ١٨٤٦ نشر كتاب المشاهدات الجيولوجية فى جنوب أمريكا » .

وعكف بعد ذلك على دارسة الحيوانات السلكية أو السلكيات ، واضعاً نصب عينيه استجماع الأدلة التى تثبت مذهبه فى التطور ، ولقد عانى حقيقة فى سبيل تصنيف السلكيات أشد معاناةً ، ولقد عقد فى كتابه جزءا كبيراً من فصلٍ فيما سماه الأنواع المتحيرة أى التى لا تستطيع أن تقطع فى أمرها بحكم ، أهى أنواع صحيحة أم ضروب ؟ .

وما هى الصفات التى تلحق صورة بمكانة النوع ؟ وما هى الصفات التى تلحق صورة بمكان الضرب ( VARIETY ) ؟

لقد وصف داروين حيرته إزاء هذه الصورة أى الصور المتحيرة التى لا هى أنواع ولا ضروب فقال : « بعد أن ألحقت جملةً من الصور بمكانة الأنواع المعينة ، مزقت تلك الأوراق ، وجعلتها نوعاً واحداً ، ثم مزقت أوراق ثانية وفصلتها أنواعاً ، ثم عدت فجعلتها نوعاً واحداً ، وكثيراً ما كنت أجز بنواجذى غيظاً وألعن الأنواع ، ثم أتساءل أية خطيئة

http://al-maktabeh.com

ازتكبت حتى أُبتلى بهذه المحنة [1] .

وفى سنة ١٨٥٥ شرع يستولد ضروب الحمام ، ويتأمل فى تأثير استعمال الأعضاء وإعفالها ، ويجرى التجارب على البذور محاولًا التثبت من وجهة نظره ، وفى ذلك يقول داروين :

« لأرى إلى أى حدٍ هل تؤيد أو تناقض نظرية أن الأنواع كائناتٌ متحولة أو ثابتة ، صارفاً أقصى الجهد فى أن أحصل على أكبر عدد من الحقائق والبراهين المؤيدة أو النافية . ولقد كان لى فى ذلك أعوان أمدونى بكل مساعدة مستطاعة ، ولكن كثيراً ماساورنى الشك بأنى قد أغلب على أمرى إزاء ذلك » .

وفى بداية عام ١٨٥٦ بدأ داروين — بتوجيه من سير لايل — يدون آراءه فى أصل الأنواع ، وأعد كتابه فى معالجة كيف وبأية وسيلة تتباين الأنواع والضروب بعضها بعضا ليكون صالحاً للنشر ، ونشره فى عام ١٨٥٩ ، وكان فى شهر يونيو ١٨٥١ حدث أن وصلته رسال من الفرد روسل وولاس ، وكان فى أرخبيل الملايو يدرس التاريخ الطبيعى لتلك الأنحاء ، عنوانها : بحث فى نزعة الضروب العضوية إلى الانحراف كلياً عن طرازها الأصلى ، ولقد وصف داروين هذه الرسالة فقال :

( ٥ ) الفريد رسل ولاس

إن وولاس لو اطلع على الخلاصة التى كتبتها فى سنة ١٨٤٢ ، لما استطاع أن يستخلص منها أكثر مما جاء فى رسالته إن كثيراً من اصطلاحاته التى استعملها قد دخلت كتابى عناوين لبعض فصوله .

« ولقد أخذ داروين رسالة وولاس مشفوعة بمختاراتٍ مما كتب هو فى سنة ١٨٤٤

---

( ١ ) فرنسيس داروين — حياته ورسائله ص ٤٠ جـ ٢

http://al-maktabeh.com

ومن كتابه إلى اساجراى ، وأرسل كل ذلك إلى جمعية لينيه وألقاه على الجميع ، ونشر بعنوان نزعة الأنواع إلى تكوين الضروب ، واستمرار نشوء الأنواع والضروب بوسائل الانتخاب الطبيعى ، ثم ظهر كتاب أصل الأنواع مطبوعاً فى نوفمبر سنة ١٨٥٩ .

ولكنه لم يكن مجرد بحثٍ علمى يحاول أن يثبت أن الأنواع متأصل بعضها عن بعض ، وأن الإنسان حيوانٌ متطور ، بل تعدى ذلك إلى مناحى الفكر أو التفكير في كثيرٍ من مجالاته الأخرى ، فكان له أثرٌ كبيرٌ فى تحويل تيار الفكر الاجتماعى الفلسفى ، ولكن بصورة سيئة ، كما سنرى فيما بعد على صفحات هذا الكتاب .

ولقد أثار كتاب أصل الأنواع عاصفةً كانت ذات طابع خاص ، إذ عَادَى مضمونَ هذا الكتاب ومحتواه أصدقاء داروين وأعداؤه على حدٍ سواء ، كلاهما تولى عنه ، وانصرف عنه رجالُ العلم ، وكذلك رجالُ اللاهوت فى نفس الوقت ، وبعد تلك العاصفة وثورتها بدأت فى الهدوء رويداً رويداً خلال قرن كامل ( ١٨٥٩ - ١٩٥٩ ) بعض الشيىء حتى كادت ان تصمت بتقدم العلوم الجيولوجية والبيولوجية ، وتزايد الاكتشافات العلمية ، والتوصل إلى كل جديدٍ وحديثٍ من الأجهزة المعملية والشواهد الحقلية .

ولكن باستطاعتنا القول : بأننا ــ وإن كنا نحمد لتشارلس داروين طويل بحثه وجميل صبره وعظيم مثابرته سنين طويلة إلا أننا ــ نأخذ عليه إصراره أمرا واتخاذه قراراً بشأن قضيةٍ علميةٍ معينة ، والتعامل مع فرضياتٍ على أنها حقائق علمية ثابتة ، وبأنه قد دخل التاريخ من أوسع أبوابه على مايبدو ، ولن يطل المكوث فيه كثيراً بل سيخرج خلسة مع هدوء نظريته واضمحلال أثرها .

فكثيرٌ من الناس يدخلون التاريخ ، لكن للتاريخ بابين باباً أمامياً وباباً خلفياً ، الأكثرون يدخلون التاريخ من الباب الخلفى ، ولكنهم لا يلبثون غير قليل حتى تغمرهم موجات الزمن ، فهناك فلاسفة أمثال : فرنسيس بيكون الذى عشق حب الذات ، وكان وصولياً إلى أبعد الحدود ، حتى عض اليد التى امتدت إليه بالمساعدة يوماً ما ، حتى وصل بها إلى المشنقة ، وإنَّ قصته مع اللورد إسكس معزوفة لمن تتبعوا حياته الذاتية والعملية[1] ومَلَكَ عليه النفاق شغاف قلبه فحرص على أن يكسب ود ملكة انجلترا ( اليصابات ) ، وكذلك من جاء بعدها ، فيسمعهم آيات الإجلال والإكبار والعظمة والانبهار ، حتى رفع الملك جيمس الأول إلى مصاف محرك الكون الأول أو الإله ، ثم نجده يسجل على أنه من كبار فلاسفة وعظماء المفكرين .

بالإضافة إلى الكثيرين من قادة الأمم والشعوب ــ الذين عاشت شعوبهم تصبح

---

(١) نظريات الغرب وحضارته فى ميزان الإسلام ــ ماهر خليل



http://al-maktabeh.com

يخلدهم وتهتف بأسمائهم وداعيةً لهم بطول العمر ــ ويفتح لهم التاريخ صفحاته بل ذراعاته ، وما أن ينقضى عمرهم ، وتطول الأيام وتتابع الأزمنة ، حتى تكتشف تلك الشعوب ما كانوا فيه من خداع ، وما عاشوا فيه من زيف وأوهام ، والأمثلة على ذلك كثيرة ونحن في غنى عن سردها أو تحديدها .

لقد كان السبب فيما أصاب هذا الكتاب ــ أصل الأنواع ــ من شهرةٍ كبيرةٍ ، وما أفضى إليه من جدلٍ واسعٍ عريض اتصال بعض نواحيه أو انتهاء بعض استنتاجاته إلى مُسَلَّماتٍ تتعارض ومسائل فلسفية ولاهوتية ، بل حقائق ثابتة إسلامية لها فى أذهان الأذكياء وأهل الكياسة من الناس إما كثيرٌ من الاحترام أو كثيرٌ من القداسة .

ويُعجب البعض بأسلوب الكتاب ، والحقيقة إن أسلوب داروين فى أصل الأنواع بالذات أسلوبٌ امتاز بالليونة والهدوء اللذين يحاولان بتبسيط الأمور وتيسير الفهم على كل باحث ، لأن يفهم تحول الأنواع المختلفة للكائنات وتقلبها طوراً بعد آخر ، لقد عبر عن ذلك بأسلوب سلس هو أشبه شيىء بلين الرمال التى من الممكن أن تغرك ليونتها ، ولا تلبث أن تبتلعك ، ولكنها لايمكن أن تبتلع باحثاً متمكناً لبيباً فى عصرنا هذا ....

ولقد بنى داروين فهمه فى تأصيل التحولات وحدوث الانتخاب الطبيعى ، وربط بينهما فنجده يقول :

« مالم تتولد التحولات المفيدة ... يعجز الانتخاب الطبيعى أن يأتى بشيىء » وقال أيضاً : « ما من شيىءٍ يمكن حدوثه فى الأحياء مالم تظهر التحولات المفيدة » ومحصلة هذا كله : أن أصل الأنواع إنما يقوم فى جملته على نشوء التحولات ، ولكن هذا فى حالة ثبوت ذلك والتيقن من حدوثه .

ولقد أدى ذلك إلى فهم الكثيرين لفعل الأسباب الطبيعية التى من الممكن أن تولد التحولات والانتخاب الطبيعى حسب دعوة داروين مشيرين إلى ذلك بما سموه المصادفة ، وبالتالى أدى إلى الدعاية للفكر المادى القائل : بعمل الصدفة في إنشاء هذا الكون بما فيه من كائنات متنوعة أو متباينة ، ونشر الإلحاد فى شعوب العالم .

ولقد ظل داروين محتفظاً بصحته فى النصف الأول من حياته ، إلى أن جاء عام ١٨٣٤ فأصابه اضطرابٌ جسمانى عامّ ، وأثناء إقامته بمدينة لندن كانت تعاوده نوباتٌ من الغثيان مصحوبةٌ بانحطاطٍ كبيرٍ فى قواه ، وكانت هذه النوبات تتولاه فى دوراتٍ متقاربة ، وَلمَّا تقدم به السن كان يقضى الشطر الأكبر من يومه ــ حتى فى أحسن أوقاته ــ صريع الألم ممسوساً بكثيرٍ من الشعور بالتعاسة ، وغالباً ما يمضى شهراً فى ألمٍ متصلٍ عاجزاً عن تأدية أى عملٍ أو التفكير الهادىء الذى تتطلبه اتجاهات العلمية .

وفى باكورة سنة ١٨٤٢ ساءت حالته الصحية ، وعاش بقية عمره فى مقاطعة كِنْت ،

http://al-maktabeh.com

وفى سنة ١٨٦٥ بدأ داروين شوطا طويلًا من البحث عما لِلهُجْنة من أثرٍ فى الأحياء ، ونَشر بحوثه تلك سنة ١٨٧٦ ، وذلك من منظور فهمه وإيمانه بنظريته نشوء الأنواع وتحولها .

ويظهر لنا جلياً من تاريخ داروين الفكرى أنه منذ سنة ١٨٥٩ تراءت له فكرة تطبيق مذهبه على النوع الإنسانى ، ويتضح ذلك من عبارةٍ وردتْ فى الطبعة الأولى من أصل الأنواع بانياً كلامه ومؤسساً فكره هذا على آمال وأحلام لم تكن ولم تتحقق بعد ، نجده يقول :

« فى المستقبل سوف يُفْتح أمامنا مجالاتٌ واسعة لبحوثٍ أكثر أهمية من هذه ، فسوف يقوم علم النفس على قواعد جديدة مواردها أن تحصل مختلف القدرات الذهنية على مكتسباتها الضرورية ومؤهلاتها بطريق التدريج ، وكذلك سوف يُنار السبيلُ إلى أصلِ الإنسان وتاريخه الطبيعى .

فى الأشهر الأولى من سنة ١٨٨٢ ساءت حالة داروين الصحية ، فساورته نوبات من الدوار والغيبوبة ، وتوفى فى ١٩ من إبريل سنة ١٨٨٢ ، ودُفِن جثمانه فى الرابع والعشرين من ذلك الشهر .

## رابعاً : تشارلس داروين مؤمناً :

ولا يفوتنا فى هذا الباب أن نثير أمراً هاماً ــ كنا قد تعرضنا لقليل منه آنفاً ــ الا وهو مسألة الايمان عند داروين وهل كان مؤمناً حقاً أم أنه كان لا يؤمن بالله أو الأديان عامة وإذا كان الأمر كذلك فهل كانت هناك علاقة بين هذا وإعلانه نظريته تلك أو شجعه ذلك على الدعوة لمفهومه للتطور وتطبيقه على كل الكائنات حتى الإنسان ، مع العلم ــ كما قلنا سابقاً ــ أنه كان قد درس اللاهوت لمدة ثلاث سنوات في جامع كامبردج ، بعد أن خفق فى دراسة الطب فى جامعة أدنبرة ، ثم إنه دُفِن فى كنيسة وستمنستر ، ولم يكن هو نفسه يطمع فى مثل ذلك التشريف والتكريم على الإطلاق ، وأقصى ما كان يصبو إليه من مظاهر التكريم حين يموت هو أن يُدْفن فى فناء الكنيسة المحلية فى بلدته ، فكيف حدث ذلك ؟

أقول : قد يعجب الكثيرون من دراسى نظرية التطور ، إذا ما عرفوا أن داروين فى ختام حياته نبذ هذه النظرية ، ورجع إلى الإيمان بالكتاب المقدس .

وكثيرون عندما يقتربون من ختام رحلة الحياة ، وبالتالى من مواجهة الله والحياة الخالدة الأبدية مراراً ما يندمون على مبادىء تمسكوا بها ، وتصرفاتٍ كانت لهم فى شرخ الشباب وأيام الصبا

http://al-maktabeh.com

إن قصة خاتمة حياته أسوقها لكل ذى عينين علَّه يُقال من عثرته ويستنفذ من وحلته ... ترويها لنا أمرأةٌ فاضلةٌ مؤمنة ، هى السيدة هوب من نورثفيلد بانجلترا ... وقد لازمته كثيراً فى أيام مرضه الأخيرة ، وقد كتبت هذه القصة بخط يدها ـــ وعلى ما أعتقد ليس هناك ما هو أصدق أو أحرى بالتصديق من ذلك ـــ وهى علاوة على أنها جذابة وفاضلة ، فقد كانت إنسانة مؤمنة ، ثم إن ارتضاء داروين برفقتها له فى الأيام الأخيرة ـــ فعلى ما أعتقد ـــ إنما يثير تساؤلاً هاماً فكيف يتجمع الاثنان ، وهما على طرفى نقيض ، إلا إذا كان أحدهما قد نجح فى أن يؤثر فى الآخر ، ويجعله إن لم يؤمن تماماً بما يقول فعلى الأقل يميل بعض الشيىء إلى ذلك ولكن ماذا تقول القصة ؟ ونحن ننقلها هنا بالنص للأمانة لا أكثر ...

« كان ذلك فى يومٍ من أيام الخريف الصافية التى نستمتع بها فى انجلترا ، عندما دعيت بعد الظهر ؛ لكى أدخل إلى حجرة العالِم الكبير تشارلس داروين ، لقد ألزمه المرض فراشه فترةً قبل وفاته ، وكنت أشعر كلما تطلعت إليه أن طلعته المهيبة تعكس صورة فخمة لأكاديمية العلوم الملكية عندنا ، لكن لم يحدث أن أحسست بعمق هذا الشعور بقوة قبل هذه المرة فى عصر ذلك اليوم ...

كان جالساً فى سريره يرتدى جلبابَ نومٍ مطرزاً أرجوانى اللون ، ويستند بظهره إلى بعض الوسائد ، ويرمى ببصره من خلال النافذة إلى منظر الغابة الممتدة مسافةً بعيدة ، وإلى حقول القمح التى تتموج فيها أشعة الشمس الغاربة ، وخيل إلىَّ وأنا أدخل الحجرة ، أن السعادة تغمر تلك الطلعة المهيبة وملامح ذلك الوجه الوقور .

ولما دخلت لَوحَّ بيده تجاه النافذة إلى ذلك المنظر الرائع ، بينما كان فى يده الأخرى الكتاب المقدس مفتوحاً ، والذى كان يحرص دائماً على قراءته طوال تلك الفترة ، وقلت له : ماذا تقرأ الأن ؟

فقـال : العبرانيين ـــ لم أزل أقرأ رسالة العبرانيين ، وأنا أسميها السفر الملكى ، ثم مر بإصبعه على بعض السطور ، وعلق عليها ببعض الملاحظات .

فألمحت إلى الأفكار والتفسيرات القوية التى طرحها كثيرون حول تاريخ الخليقة وعظمتها ، وما ذُكِر عنها فى الإصحاحات الأولى من سفر التكوين ، وحينئذ بدتْ عليه أماراتُ الأسف وعدم الأرتياح ، وفرك أصابعه بعصبية ، وقال وقد غطت وجهة مسحة من الحزن :

« كنت شاباً له أفكار غير كاملة التكوين وغير واضحة المعالم ، وقد طرحت مسائل وآراء وأعملت الفكر كثيراً فى كل شيىء تقريباً ، وكانت دهشتى أن تلك الأفكار والآراء

http://al-maktabeh.com

سرت كما تسرى النار فى الخشب ، واتخذ الناس منها ديناً » .

ثم سكت ، وبعد كلماتٍ قليلة عن قداسة الله وعن عظمة الكتاب المقدس ، وكانت يده تحمله بمنتهى العناية قال :

« لى فى الحديقة استراحة تتسع لنحو ثلاثين شخصاً ، وأشار عليها بإصبعه ، ثم قال . أود كثيراً أن تتكلمى عنهم ، وأنا أعرف أنك تقرئين الكتاب المقدس على أهالى القرى المجاورة ، وبعد ظهر الغد أحب أن يذهب إلى هناك خدم البيت للاجتماع مع العائلات القليلة المجاورة فهل تأخذين الكلمة بينهم ؟ »

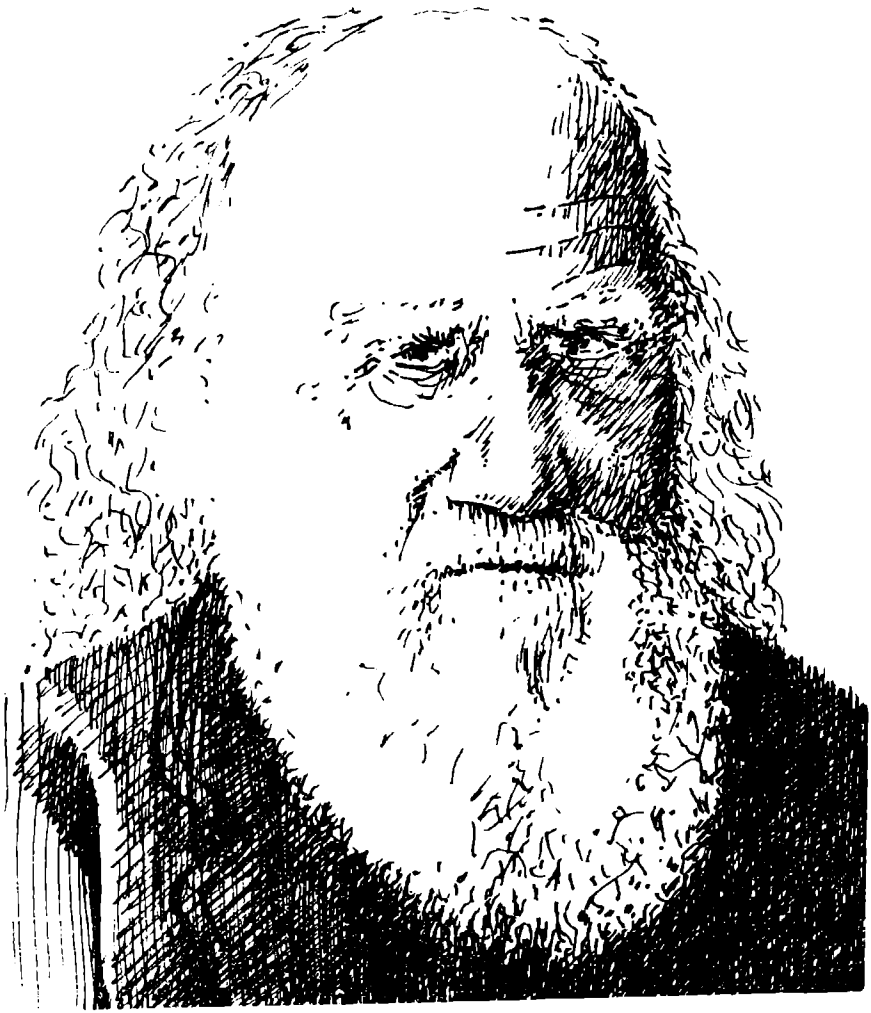

شكل (٦) تشارلس داروين في شيخوخته .

http://al-maktabeh.com

قلت له

« وعما تريدني أن أتكلم ؟ » .

فقال على الفور :

« عن يسوع المسيح وعن خصاله ، أليس هذا هو الموضوع الأفضل ؟؟ ثم بعد خدمة الكهنة أريدك أن ترنمي معهم بعض الترنيمات » .

ولست أنسى علامات الابتهاج التي أشرق بها وجهه عندما قال هذا ، ثم أضاف قائلا : لو أنك بدأت الاجتماع فى الساعة الثالثة وهذه النافذة ستكون مفتوحة ، ولسوف تعرفين أنى مشترك معكم في الترنيم » .

وكم كنت أود لو التقطت ـ فى ذلك اليوم الذى لا يُنْسى ـ صورةً لهذا الرجل الشيخ المهذب ، وللبقعة الجميلة التى يسكنها . كان مشهداً مؤثراً فإن هذا الرجل نفسه الذى كان يمثل مأساة هوذا ، الآن نراه داروين بعينه غيوراً على الإنجيل ومتحمساً لعظمة الكتاب المقدس .

هذا الرجل الذى أحدثت آرائه وأفكاره ثورةً بين اللاهوتية ، وكانت مصيبة على كل الكنائس ، وحطمت مبادىء الإيمان عند كثيرين داروين نفسه ـ بنظرة أسف واكتئاب ـ يندم على كل ذلك ويقول :

« إنه كان شاباً له أفكار غي متكاملة التكوين وغير واضحة المعالم » .

وعلى ما أعتقد فإن هذه الصورة الرائعة لداروين تتحدى العصريين اليوم ، أو الذين كثيراً ما يحلو لهم أن يظهروا بمظهر العصرية ، أو ينادوا أن هيا للانضمام تحت لواء المدنية الحديثة والأفكار الجديدة .

ويالها من مباراةٍ فيها كل معانى النقد للأفكار العصرية ، إذ يقول داروين : إن أفكاره عن نظرية التطور كانت غير كاملة التكوين وغير واضحة المعالم .

وربما استطعنا الآن أن نفهم السر فى السماح له أن يدفن فى كنيسة وستمنستر ، رغم موقف رجال الدين المسيحى منه ومن نظريته .

## خامساً : داروين وارثاً وليس خالقاً :

يرتبط اسم داروين على الأقل فى أذهان العامة المثقفين فى العالم بأنه الرجل الذى نادى بنظرية التطور متحدياً فكرة الخلق ، وذهب فى ذلك إلى حد القول : بانحدار البشر من القردة العليا ، ولكن الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك حسب تعبير الأستاذ كريستومر بوكر ،

http://al-maktabeh.com

فلم يكن داروين هو مؤسس تلك النظرية ، إذ سبقه إليها عددٌ كبيرٌ من العلماء الطبيين ، الذين كانوا يرون أن صور الحياة المختلفة تطورت كلها عن شكلٍ واحدٍ بسيط ، وأن هذه الأشكال لم تُخْلَق خلقاً مستقلاً ومتميزاً كل منهما من الأخرى ، بل الأغرب من ذلك أن هناك قلة من بحاثة العرب قديماً من قالوا بها وبالانتخاب الطبيعى أيضاً أمثال : ابن مسكويه وابن بشرون وقال أيضا أبو العلاء شعراً يتضمن هذا المعنى ، وسوف نعرض له فى حينه ، عندما نتحدث عن موقف العلماء العرب المسلمين من آراء داروين ونظريته .

كذلك كان علماء الجيولوجيا يؤكدون أن عصر الصخور وعمر الحفريات أكبر وأقدم بكثيرٍ من الفكرة العامة التى كانت سائدةً لدى معظم الناس فى القرن التاسع عشر ، والتى كانت تَرُد عمر الأرض إلى ما لايزيد على ستة آلاف سنة ، وقد انتشرت هذه الأفكار قبل ظهور كتاب داروين عن أصل الأنواع بسبعين سنةً على الأقل ، وكل ما فعله داروين هو أنه قام بتجميع تلك الأفكار والآراء المبعثرة المتناثرة ، وتحليلها بطريقة منهجية فيها قدرٌ كبيرٌ من محاولة الفهم والتعمق ..

ولكننا نستطيع أن نجزم أن كتاب أصل الأنواع قد ساعد كثيراً على توطيد فكرة التطور وترسيخها .

ورغم ما أحدث هذا الكتاب من ثورةٍ وضجةٍ كبرى فى حينه ، وما بذل داروين من جهدٍ كبيرٍ فى محاولاته لإثبات نظريته من خلال رحلاته على ظهر السفينة البيجل ، وما تلا ذلك من ظهورٍ لكتابات كثيرة : تتناول أصل اللغة وأصل الحضارة وأصل المجتمع العائلة وأصل الدين وما إلى ذلك بنفس الطريقة التى تناول بها داروين مشكلة أصل الأنواع .

ومع ذلك فإن داروين يعتبر فى نظر الكثيرين من العلماء وارثاً ، وليس خالقاً لمشكلة الأهتمام العام بالتطور ؛ نظراً لأن هذا الأهتمام كان أقدم بكثيرٍ من ظهور كتاب أصل الأنواع على ما ذكرنا .

ولكن لابد من الأعتراف طوال الوقت بأنه على الرغم من أن داروين لم يكن هو أول من ذهب إلى القول بتطور الإنسان من حالة حيوانية دنيا ومتواضعة ، فإن فكرة التطور كانت مجرد فكرة نظرية بحتة ، فأصبحت على يديه وبعد ظهور كتاب أصل الأنواع نظرية علمية متعارف عليها ، ولو لفترة من الزمان ، ولا أقول مبدأً علمياً أو حقيقة علمية كما قال البعض ...

نعم هذا ما يجب أن نقوله كمنصفين رغم كل الشكوك والانتقادات والمآخذ التى وجهت ، والتى لا تزال تُوجَّه إلى هذه النظرية .

لقد انقضى قرنٌ كامل وخمسة أعوام على وفاة تشارلز داروين ، فقد توفى فى العاشر

http://al-maktabeh.com

عشر من إبريل عام ١٨٨٢ من ثلاثة وسبعين عاماً ، وخلال السنوات المائة التى مرت منذ وفاته ظهرت عشراتُ الآلاف من الكتب والمقالات التى تتناول بالدراسة والتحليل حياته ، ونظريته فى التطور ، والتى تعتبر تلك النظرية إحدى المنجزات الرئيسية الهامة فى تاريخ العلم ، كما ظهرت فى الوقت ذاته آلافٌ أخرى من الكتب والمقالات التى تهاجم النظرية وصاحبها ، وتوجه إليهما الكثير من الانتقادات التى تحاول إدخال بعض التعديلات الهامة على تلك النظرية ....

ومن هنا كان من الواجب علينا بدايةً أن نعرض لنظريات النشوء والارتقاء عامةً ولنظرية داروين خاصةً ، وهذا ما سنحاوله إن شاء الله ... فى الباب القادم ...

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

# البـــاب الثانـــى

## نظريات النشوء والارتقاء بين الافتراض والانتقاد

أولاً : العرض العام لنظريات النشوء والارتقاء .

أ ــ نظرية الكوارث لكوفييه .

ب ــ نظرية التطور العام للامارك .

جـ ــ نظرية التطور العام عند داروين .

د ــ نظرية الطفـــرة .

ثانياً : النقـد العام لنظريات التطور .

أ ــ نقد نظرية التطور العضوى .

ب ــ نقد نظرية الكـوارث .

جـ ــ نقد نظرية التطور للامارك .

http://al-maktabeh.com

## أولا : الغرض العام لنظريات النشوء والارتقاء

إنه يمكننا إطلاق اصطلاح التطور العضوى على جميع النظريات التى نتناولها فى هذا الباب ، تلك النظريات التى اقترنت بأسماء قالوها ، فاجتهدوا فى دائرتها ، وسبحوا فى مدارها دون أن يخترقوا ، أو ينفلتوا من فلكها .

ولعلنا نستطيع القول أيضاً : إن جميع هذه النظريات تشترك معاً فى تأكيد أن كل نوع من تلك الكائنات الحية قد نشأ من نوع سابق له فى الوجود ، وأبسط منه فى التركيب ، فى سلسلةٍ متصلةٍ تصل بداية حلقاتها إلى تلك الكائنات وحيدة الخلية . لقد أختلفت آراء العلماء فى الأسباب التى أدت إلى حدوث التطور فى الكائنات الحية ، وكيفية حدوثه ، ولكنها فى مجملها تشترك فى المفهوم السابق .

ولكننا بمشيئة الله سوف نتعرض لأهم وأبرز هذه النظريات : وهى نظرية الكوارث لكوفييه ، ونظرية التطور العام للامارك ، ونظرية التطور العام لداروين ، ونظرية الطفرة لدى فريز .

### ا ــ نظرية الكوارث :

صاحب هذه النظرية هو جورج كوفييه ، وكانت فى الفترة ما بين ١٧٦٩ ــ ١٨٣٢ ، وقرر فيها ذلك العالم : أنه فى كل مرة كانت تحدث كارثة كانت تُباد وتُنفى بعض أنواع الأحياء لتظهر بدلاً منها أنواعٌ جديدة ، وهكذا يتكرر خلق الكائنات الحية فى كل مرة بتكرار الحوادث .

### ب ــ نظرية التطور العام للامارك :

إن هذه النظرية انتسبت إلى ذلك العالِم الفرنسى البيولوجى جان باتيست لامارك ، الذى توفى عام ١٨٢٩ م ، وتفيد بأن الكائنات قد نشأت عن غيرها من أخرى غير مشابهة لها فى عملية تطورٍ متعددة عبر أزمان طويلة ، كان التغيير فيها أو فى بعض أعضائها وفقاً لظروف البيئة الخارجية ، ثم انتقلت هذه التغيرات المكتسبة إلى الجيل التالى له بالوراثة إستند لامارك فى تفسيره لهذه النظرية على قانونين هما :



http://al-maktabeh.com

**القانون الأول : قانون الإهمال والاستعمال :ـ**

ذلك الذى قرر أن بعض أعضاء الكائن الحى تتغير بالضمور أو الزيادة أو الضعف أو القوة ، نتيجة لإهمال أو لكثرة استعماله .

**القانون الثانى : الصفات المكتسبة وتوريثها :ـ**

لقد انبثق هذا القانون كنتيجة لقانون الاستعمال والإهمال ، حيث قرر : أنه بعد ظهور تلك التغيرات الجديدة التى اكتسبها الأفراد يتم توريثها للجيل الجديد .

مما سبق تبين لنا أن مارك كان يرى أن صفات الفرد ما هى إلا نتيجة فعل البيئة فيه منذ العصور الأولى لخلق الحياة ... وأن استعمال العضو أو إهماله ومدى الحاجة إليه هى التى تسبب وجود ذلك العضو أو انقراضه . أى أن لامارك يعزى التطور إلى أثر البيئة التى يعيش فيها الكائن الحى ، وبذلك فهو ينادى بأن التغير الذى يحدث فى الكائنات أثناء تطورها إنما يحدث بتأثير البيئة الخارجية المحيطة بالكائن ، فيتم التغير فى الاتجاه الملائم لهذه البيئة ، ويكون هذا التغيير بطيئاً ، ولكنه مستمرّ ، فيؤدى من وجهة نظرة إلى ظهور صفات جديدة تورث إلى إنتاج أو سلالات جديدة .

نعـم ... يفترض لامارك أنه إذا تطلبت الظروف البيئية التى يعيش تحتها الكائن الحى من عضو ما أن يعمل أكثر من غيره فإن هذا العضو لابد من أن يكبر وينمو نمواً غير طبيعى ، وبذلك يقوى كثيراً عن ذى قبل أى قبل أن يخضع لتأثير تلك الظروف البيئية .. وعكس ذلك صحيحٌ أيضاً ، أى أنه إذا لم تتطلب هذه الظروف البيئية المحيطة بالكائن الحى من عضوٍ من أعضاء الجسم مزيداً من العمل والنشاط فإن هذا العضو سرعان ما يصغر فى الحجم ويضمر ... وبذلك يكون هناك فى الحالة الأولى قانون الأستعمال ، وفى الثانية يتضح فيها قانون الإهمال . ولهذا يفترض لامارك أن نتيجة ذلك الأستعمال الزيادة فى الجسم أو القوة لهذا العضو المستعمل أو الإهمال أو الضمور أو الصغر فى الحجم ، كذلك فهو يفترض أن تلك الصفات الجديدة المكتسبة تنتقل من جيل إلى آخر ، أى تورث ، وبذلك ينتـج نوعٌ جديدٌ من الكائنات الحية . (١)

وسوف نرد على ذلك بالنقد والتحليل بموضوعية أكثر فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

ولعل من أشهر الأمثلة التى أعطاها لامارك تأييداً لرأيه ، مثال عنق الزرافة ، فيعزى الطول الغير عادى لرقبة الزرافة إلى أنها كانت تمد عنقها فى سبيل الحصول على أوراق

---

(١) نظرية التطور بين العلم والدين ـ أحمد الشحات.



http://al-maktabeh.com

الأشجار العالية ، فحدث ازدياد فى طول فقارات العنق تدريجياً ، ثم ورث زراف الأجيال التالية هذا الطول ، حيث وصل جنس الزراف كله إلى ما هو عليه الآن من أعناق طويلة ...

**وضرب لامارك أمثلةً أخرى يعزز بها نظريته منها :ـ**

١ ـ الحيوانات العمياء ، والتى تعيش فى الكهوف فى ظلامٍ دامس ، نجد أنه فى هذه البيئة لا تكون هناك حاجةٌ إلى الأعين ، وبذلك تفقد هذه الأعين وظيفتها نتيجة لعدم استعمالها .

٢ ـ بمأن الحوت حيوانٌ ولا يعيش على اليابسة ، بذلك فإنه لا يستعمل قدمه ؛ لذا فإن تلك القدم ضمرت وأصبحت زائدة عظمية .

٣ ـ ضمرت أجنحة الطيور التى لا تطير مثل : طائر الكزوار وطائر الكيوى وغيرهما ؛ وذلك نتيجة عدم استعمال تلك الأجنحة فى الطيران .

ومن ناحيةٍ أخرى يزداد نمو العضو باستعماله ، وذَكَر لامارك الأمثلة التالية ، وذلك علاوة على مثال عنق الزرافة :

١ ـ يرجع شكل الثعابين الخاص بها إلى محاولتها الدائمة للزحف خلال الممرات الضيقة ؛ هرباً من الأعداء ، أو سعياً وراء الغذاء ....

٢ ـ من الملاحظ أن الحيوانات التى تعيش فى المناطق الباردة لها فراءٌ سميكٌ ، فطبقاً لنظرية لامارك يكون ظهور هذا الفراء نتيجة لتأثير الجو البارد فى ازدياد نمو الشعر ، حتى تأصَّل ذلك النمو فى حيوانات تلك المناطق ، ثم تناقل من جيلٍ إلى آخر .

٣ ـ تعزى قوة عضلات أجنحة الطيور الدائمة الطيران إلى تحريكها المستمر ، ثم انتقلت هذه الصفة إلى الأجيال المتتالية بتأثير الوراثة .

**جـ ـ نظرية التطور العام لداروين :ـ**

صاحب هذه النظرية تشارلس روبرت داروين ( ١٨٠٩ ـ ١٨٨٢ ) ، وصديقه رسل ولاس ( ١٨٢٣ ـ ١٩١٣ ) ، حيث توصل كلٌّ منهما على انفراد إلى نتائج ومشاهدات تشرح نظرية التطور وأصل الأنواع ، وتقررها من وجهة نظرهم ، وذلك من خلال الرحلة التى قام بها داروين على ظهر السفينة البيجل فى ٢٧ ديسمبر عام ١٨٣١ ولكنها انتسبت تلك النظرية عامةً إلى داروين ، واقترنت باسمه ، ويطلق عليها البعض قانون الانتخاب الطبيعى أو قانون البقاء للأصلح ، وتفيد فى مجملها :

http://al-maktabeh.com

أن الأفراد الضعيفة تنقرض بسبب عدم استطاعتها مقاومة البيئة أو الوقوف أمام أعدائها ، فتبقى منها القوية التى تمتلك صفاتٍ جسديةً تساعدها على البقاء أمام أى ظروف صعبة ، ثم بعد ذلك تورث صفاتها ، التى مكنتها من البقاء ، وتسلمها من بعدها ، وباستمرار تلك العملية تظهر أنواعٌ جديدة تختلف عن سابقتها .

**إن مذهب داروين فى التطور إنما يعتمد على النقاط التالية :ـــ**

**أولاً : تنازع البقاء :ـــ**

١ ـــ إن الأنواع الموجودة على سطح الأرض من الكائنات الحية تتزايد طبقاً لمتواليةٍ هندسية ، كما أن معظم الكائنات الحية تنتج ذرية كثيرة تقدَّر بالملايين على مر الأجيال . ولو فرض أن نسل تلك الكائنات قد عاش كله ، بل لو أن ذرية النوع الواحد قد عاشت كلها لَمَا كان هناك متسعٌ على ظهر كوكب الأرض للحياة .... وَأُغْفِل تماماً التوازن الطبيعى الربانى الحادث بالكون عن طريق التوالد والموت ... والنسبة بين مايولد وما يموت وفعلها فى الوجود .

٢ ـــ لاحظ داروين كذلك أن عدد أفراد النوع الواحد من الكائنات يظل ـــ كما هو ـــ ثابتاً تقريباً لفترةٍ طويلة من وجهة نظره ، وهذا بطبيعة الحال محالٌ من وجهة نظرنا نحن وبديهىٌ .

٣ ـــ بذلك استنتج تشارلس داروين ـــ مما سبق ـــ أن هناك تنافساً بين أفراد النوع الواحد من أجل البقاء ، وقاده تفكيره إلى أن هناك فى الطبيعة صراعاً من أجل البقاء .

**ثانياً : الأنتخاب الطبيعى :ـــ**

١ ـــ من الحقائق الأخرى التى اعتمد عليها مذهب داروين وأولها تأويلات خاصة لتخدم مصلحتهم ومعتقداتهم أن هناك كائنات حية تختلف بعضها عن بعض ، حتى أن أفراد النوع الواحد تختلف أيضاً فيما بينها ، فقالوا : بأن هذا الاختلاف يضفى على بعض الأفراد ميزة على غيرهم ، وذلك فى طريق الصراع من أجل البقاء ، وبذلك تكون لديهم فرصة للتناسل والبقاء .
وتلك الكائنات بطبيعة الحال هى التى تتلاءم وبيئتها الجديدة التى تعيش فيها .

٢ ـــ مما سبق يقول داروين وولاس : بأن ببعض السلالات أو الكائنات من الصفات ما يجعلها أكثر مواءمة لظروف البيئة المحيطة بها ، والتى تعيش فيها أو تهاجر إليها ، وهذه الكائنات هى التى تتفوق على غيرها فى التنازع على البقاء .

http://al-maktabeh.com

« وهذا ما عبر عنه داروين بالبقاء للأصلح أو بالانتخاب الطبيعى » .

٣ ــ ويمكننا إيضاح ما سبق من حيث أن التطور يحدث نتيجةً للاختيار الطبيعى ، فنقول : إن التغير فى الأنواع يحدث بانقراض الأفراد الضعيفة والتى لا تلائم البيئة التى تعيش فيها وتحيط بها ، وبذلك تنقرض ولا تورث صفاتها .

ومن أمثلة ذلك : [١]

( أ ) فى المناطق الباردة لا تستطيع الحياة هناك إلا الحيوانات ذات الفراء السميك ، وأما الحيوانات الأخرى فتضعف تدريجيا وتموت ، وبذلك تنقرض .

(ب) فى الغابات تنقرض الحيوانات التى لا يمكنها الجرى السريع والهرب من أعدائها ، بينما تبقى الأفراد التى يمكنها الحياة فى مثل هذه البيئة .

(جـ) إذا فرض أن قطيعاً هاجمته الذئاب ، فإن الخيل البطيئة الجرى تستطيع أن تصل إليها الذئاب وتفترسها ، وبذلك تنقرض قبل أن تتكاثر وتنتج نسلاً ضعيفاً بطيئاً ، بينما الخيل القوية السريعة لا تستطيع أن تلحق بها الذئاب ، وبذلك تهرب منها وتبقى وتتناسل وتنتج نسلاً قوياً سريعاً .

( د ) إذاً ، فظاهرة الانتخاب الطبيعى التى اعتد بها داروين تعنى أن الطبيعة اختارت كائناتٍ معينةً لتعيش وتتناسل وتتكاثر ولتبقى ، وهذه الكائنات هى التى تتلاءم مع بيئتها ، أما الكائنات الضعيفة فإنها تموت وتنقرض ، أى أن البقاء للأصلح ــ سبحان الله ... وكأن الطبيعة هذه تعقل أو تفهم فهى التى تختار وهى التى تنتقى .

## ثالثاً : توارث الصفات المكتسبة :ــ

وتلك هى الظاهرة التالية التى تضمنها مذهب داروين ، وهى أن النتاج يحمل صفات والديه . وحيث أن تلك الصفات المميزة التى ساعدت الآباء على البقاء والتكاثر موجودة فى التراكيب الوراثية لهذه الآباء ، فإن تلك الصفات تنتقل من جيل الآباء إلى الجيل التالى عن طريق الوراثة ، ومن ثم يكون لجيل الأبناء فرصة التكاثر والبقاء .[٢]

فعلى سبيل المثال : رأى داروين أن الزراف ذوات العنق الطويل هى التى استطاعت فقط الوصول إلى أوراق الأشجار التى على الغصون المرتفعة ، وبذلك تهيأت لها فرصة الحصول على غذائها من تلك الأشجار المرتفعة ، بذلك كانت لها المقدرة على البقاء

---

(١) مرجع سابق

(٢) أصل الأنواع لداروين



http://al-maktabeh.com

والتناسل وهذا أدى فى النهاية مع مرور ملايين السنين إلى وجود نوع من الزراف المميز بعنقه الطويل ، وهو الموجود فى عصرنا هذا ، أما الزراف الآخر ذات العنق القصير فإنه لم يستطيع أن يحصل على غذائه من الأشجار المرتفعة ، أى أنه لم يتلاءم مع البيئة التى عاش فيها ، وبذلك فإن تلك الأفراد ماتت جوعاً ، وبموتها انقرضت هذه السلالات ذات الرقاب القصيرة .

وقد يظهر بين الزراف ذوات العنق الطويل سلالاتٌ أخرى أطول عنقاً من أسلافها ، وهذه السلالات هى بدورها التى تبقى وتعيش ، بينما تموت وتنقرض الأسلاف وهكذا . ومُجْمَل هذا القول أو الفهم أن صفة طول العنق فى الزراف بقيت وسادت عن طريق عملية الانتخاب الطبيعى أو البقاء للأصلح .

## نظريــة الطفــرة

اكتشف ظاهرة الطفرة عالِمُ النبات الهولندى صوجو دى فريز ( ١٨٤٨ ــ ١٩٣٥ ) ، وذلك خلال أبحاثه لاستنباط أنواع جديدة من الأزهار . [١]

وتُعْرف الطفرة بأنها التغير الفجائى فى طبيعة العامل الوراثى الذى ينشأ عنه تغييرٌ فى ظهور الصفة الوراثية .. وقد درس كثيرٌ من العلماء ظاهرة الطفرة وكيفية حدوثها أمثال : إستادلر وإيمرسون ومولر وغيرهم .. ويمكننا أن نلخص نتائج أبحاثهم فى النقاط التالية ..

١ ــ تنشأ الأنواع الجديدة من الكائنات الحية فجأة ، وذلك عن طريق الطفرة .. وهى التنوع أو التغير الفجائى الذى يختلف به النتاج عن الأصل .

٢ ــ ليس هناك ثمة علاقة بين الطفرة وبين الأختلافات الظاهرة فى الصفات بين أفراد النوع الواحد .

٣ ــ هذه الطفرات تــورث .

٤ ــ مقدرة الكائن الحى على الطفرة توجد كامنةً فى الأصل .

٥ ــ الطفرة قد تكون مفيدة للكائن الحى ، ولكن غالباً ما تكون الطفرات بتلك الكائنات .

٦ ــ نسبة ظهور الطفرات فى الطبيعة تنخفض جداً .

٧ ــ قد يحدث للعامل الوراثى أكثر من طفرةٍ واحدة .

---

(١) عصر التصور من العلم والدين



http://al-maktabeh.com

٨ ــ تحدث الطفرة فى أى فترة من فترات حياة الفرد .
٩ ــ قد تتغير بسبه الطفرة نتيجة ظهور طفرةٍ أخرى .
١٠ ــ الطفرات غالباً ما تكون متنحيةً بالنسبة للعامل الطبيعى .

وعلى أساس من هذه النظرية فسَّر البعض طول عنق الزرافة بأنه نتيجة لتراكم الطفرات على مر الأجيال المتعاقبة .. أى أن ظهور الطفرات بين قلةٍ من الأفراد ، فأمكن تلك الأفراد من الحصول على غذائها المكون من أوراق الأشجار المرتفعة ، وبذلك تمكنت من البقاء والتكاثر .

ولقد استغلت نظرية الطفرة استغلالاً عظيماً فى نظرية التطور ، ومحاولة الوصول إلى كل ما يريدون من إثباتاتٍ وتبرير ما يرونه من ظواهر طبيعية أو مشاهدات معملية ... فاستغلت فى شرح قانون الانتخاب الطبيعى ، حيث أن الطفرة من وجهة نظرهم تزود الكائن الحى بالتغيرات الوراثية اللازمة لعملية الانتخاب الطبيعى .. أى أنها عملية تصفية لاختيار الصفات الوراثية التى تتلاءم مع البيئة المحيطة بالكائن .

http://al-maktabeh.com

## ثانياً : النقـد العـام لنظريات التطور

فى هذا الفصل بمشيئة الله تعالى سوف نتعرض لنظريات التطور على اختلافها وتعدد مذاهبها بالنقد العام ، لنبين فساد ما ذهبوا إليه ، وليتضح لنا فى جلاء أن ما تمخض عن عقول أصحاب هذه النظريات ما هو إلا خرافات أو انحرافات فكرية قد انطبعت أو أطياف خيال قد مرت فى خواطر قائليها فاختمرت ثم فاحت رائحتها وانتشرت .

ومن ثَمَّ فلا مانع مطلقاً أن نسمعها ، أو تصغى إلى ما يرددون من أقوال ؛ لأننا لا نخشى أن نعلمها ــ طالما وإن لدينا القدرة على تفنيد أباطيلهم ودحض افتراءاتهم ــ بل أرجو أن يكون هذا دافعاً لأن يجعل كُتَّابنا من أذناب الغرب يرجعون عن غيهم ويثبون إلى رشدهم ، بعد أن فشلت تلك النظريات ، وظهرت حقيقتها ، وانكشف أمرها ، ولعل هذا يعطيهم درساً أنه ليس كل ما يلمع ذهباً ، فلا يجرون وراء كل وافدٍ من الغرب ويهللون له ، بل كان أجدى بهم أن يتريثوا قليلاً ، فيدرسونه بعناية و إتقان على قدر ما أتيح لهم من علمٍ دنيوى ، ويستصبحون معهم كتاب ربهم فى ذلك ، فسوف تظل الغلبة دائماً وأبداً للحقائق الإيجابية العلمية ، ولا يضر اصطدام النظريات العلمية بها ، فهذا يظهر عظمة الآيات القرآنية ودلالتها الكونية ، ولكن من يفهم ومن يعتبر ؟ ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ** ﴾ [1] ولقد كتب الأستاذ سعد عوض جزاه الله كل خير مقالاً مستفيضاً ونافعاً بعنوان : القرآن وما قيل عن نشوء الإنسان وإرتقائه فخص تلك النظريات ، وكَشَف زيفها وأباطيلها ؛ وسوف نجمل بعضاً منه .

### (١) نقد نظريـة التطـور العضـوى :

لقد توهم أرباب هذه النظرية وعبيدها أن التسلسل التطورى للكائنات الحية قد بدأ من خليةٍ وحيدةٍ هبطت من السماء ، وأن هذه الكائنات التى تعيش بيننا الآن قد نشأت جميعها عن أنواع سابقة لها فى الوجود وأقل منها فى الترقى ؛ لهذا كان لابد لنا من أن نقول لهم : إن كان هذا الذى قلتم به واعتقدتم فيه حقاً .. فمن ذا الذى خلق هذه الخلية الوحيدة ثم أوجدها على ظهر هذا الكوكب ؟

ثم لماذا لم تصبح هذه الكائنات التى نراها اليوم فى صورةٍ واحدةٍ متشابهةً متناظرةً متجانسةً ؟ خاصة وأنها نشأت جميعها من خلية واحدة ، ثم مرت بظروف واحدة ، واحتلت تاريخاً واحداً على جبين هذا الزمان ، ومن ثَمَّ كان من الواجب ألَّا نرى هذا التنوع الهائل لتلك الأحياء إذا تماشينا مع نظريات التطور هذه .

---

(١) ق . (٣٧) .



http://al-maktabeh.com

## ٢ ــ نقد نظرية الكوارث لكوفيه :

لقد تصور العالم كوفييه كيف ينشأ أفراد أو أنواع أخرى من ذلك الحطام أو تلك الرمم أو هذه العظام التى كانت جميعها أحساما تتحرك من قبل أن تدهمها أو تهدمها تلك الكارثة التى سحقتها سحقاً.

ونود أن نتساءل : حتى لو افترضنا أن هذه الفجيعة وتلكم الكارثة تركتهم أحياء فما هى القدرة الذاتية التى استطاع بها هؤلاء أن يقاوموا دون غيرهم ممن ماتوا ؟

اللهم إلا عوامل خارجية لادخل لهم فيها ، وحتى لو افترضنا أنهم قد اكتسبوا بعض صفاتٍ من هذه الكوارث فهل سيورثونها لأحفادهم من بعدهم ؟

لقد سمعنا عن كوارث حدثت هنا وهناك فى كل أرجاء العالم منذ آلاف ومئات السنين فأبادت الناس دون أن نرى بعد ذلك أى أثر لحدوث أى نشوء أو ارتقاء لتلك الأنفس التى هلكت سواء أكانت حيواناً أم إنساناً .

وما يحدث فى اليابان من زلازل ، وكذلك فى جنوب شرق آسيا ، وما يجرى فى الهند فى فترات متقاربة من كوارث وسيول وفى الملايو ومناطق أخرى فى العالم خيرُ شاهدٍ على بطلان نظرية الكوارث لكوفييه .

## ٣ ــ نقد نظرية التطور للامارك :

لقد اعتمد لامارك فى نظريته على قانونى الاستعمال والإهمال وتوريث التغيرات المكتسبة ، ولقد كفانا العالِم النمساوى جريجور مندل ( ١٨٢ ــ ١٨٨٤ ) ــ بما توصل إليه ــ الردَّ على ما جاءت به هذه النظرية اللاماركية التى ادعت إمكانية توريث الأجيال التالية لتلك الصفات التى اكتسبها أسلافهم ، وكذلك العالِمان توماس مورجان ودى فريس الفرنسى ، رغم ما يُقال عن ذلك المستنقع التجميعى المشترك لجينات الجماعة ، كما لا ننسى أيضاً تلك الأطواق التى تمسكت بها نساء بورما لإطالة أعناقهن ، وكذلك أحذية نساء الصين ، وختان أبناء المسلمين واليهود ، فما رأينا طائفةً منهم ــ حتى ولو واحدة فقط ــ قد ورثت لنسلها أى مظهر مكتسب ، فلم تستطل أعناق النساء فى بورما من بعد ، ولم تصغر أقدام النساء فى الصين ، إذ أنه لم تورث صفة طول العنق ، ولا صغر القدم فى الأجيال التالية .

وقام العلماء فى مجال الإنتاج الحيوانى بإجراء عمليات قطع ذيول الضأن وبتر قرون الماشية ، وذلك لأغراض اقتصادية ، ومع ذلك لم تؤثر العمليات المتتالية فى وراثة هاتين الصفتين

http://al-maktabeh.com

نعم ... إن لنظرية لامارك معارضين كثيرين ، حيث أنهم لا يقتنعون بتوارث الصفات المكتسبة .

ومن أقوى الضربات التى وُجِّهَتْ إلى نظرية العالِم الفرنسى ، بالإضافة إلى ما سبق ، تلك التجارب التى أجراها العالِم الألمانى أوجست فيزمان ، وذلك فى عام ١٨٨٧ .

نعم لقد قام فيزمان بإجراء عملية بتر فى أذناب الفئران لمدة تسعة عشر جيلًا متتالياً بدون أن يحصل على فأرٍ واحدٍ بدون ذنب .

ولقد خرج فيزمان بنتائج هامة ، وذلك من خلال تجاربه تلك ، نوجزها فيما يلى :

١ ــ أثبت أن الصفات الوراثية تنتقل إلى الأجيال التالية عن طريق الخلايا الجرثومية .

٢ ــ توجد تلك الخلايا فى نسيج آخر جسمي وهو سوماتوبلازم .

٣ ــ أى تأثير فى النسيج الجسمى دون التأثير على الخلايا الجرثومية لا ينتقل إلى الأجيال التاليـة .

وبذلك بَيَّنَ فيزمان أن الصفات التى يرثها الكائن الحى عن أبويه تأتى عن طريق الخلايا الجرثومية ، ولا دخل للخلايا الجسمية فيها ، ومن المعروف أن الخلايا الجرثومية لا تخضع للمؤثرات والظروف البيئية التى تتطلب عضواً إهمالاً أو استعمالاً .

وهناك أيضا تجربة فى هذا المجال أجراها كلٌّ من كاسل وفيليبس عام ١٩٠٠ ، حيث أنهما أزالا مبيض خنزيرة بيضاء اللون ، وغرسا مكانه مبيض أنثى سوداء اللون عمرها خمسة أشهر ، ثم لقحت من ذكر أبيض ، فكان النسل الناتج منها لونه أسود ، هذا يدل على أن المبيضين هما المسئولان عن الوراثة ، وليس لون الجسم الحامل لهما .

وعندما لقحت إحدى الإناث السوداء من أبيها الأبيض كان الناتج عبارة عن فردين : واحد أبيض وواحد أسود ، وذلك هو النسل المُنْتَظَر من تلقيح ذَكَر أبيض مع أنثى سوداء خليطة خليط ... وهذا يثبت أيضاً : أن الوراثة تنتقل من جيل لآخر مستقلة تماماً عن الخلايا الجسمية .

وهناك نقطة أخرى نود أن نلقى عليها بعض الضوء وهى قانون الاستعمال ، حتى يتبين لنا وجه الصواب فى تلك المسألة .

إن ما قالوه عن طول أعناق الزرافات بسبب علو ثمار وأوراق الأشجار لا نستطيع أن نطمئن له أو نقوله ، بل نكتفى بأن نلوح بعدم عقلانية مؤيدوها لأنهم قد أخطأوا حين توهموا أن الطبيعة قد أبصرت ثم تنحت جانباً ، فانحنت لتضم بين أحضانها هذا المنتخب لأنه الأقوى والأفضل والأحسن ، بل القادر على مجاراتها ومداعبتها ، ثم نتساءل : لماذا إذاً لم تَمُتْ إناث الزرافات ذات الرقاب القصيرة وقت فناء الزرافات قصيرة الأعناق

http://al-maktabeh.com

بسبب جوعها نتيجة لأرتفاع مأكلها عن متناول أفواهها ؟
هل نسمع منهم أنها قد ماتت أيضاً ؟
بالطبع لا .. لأن هذا النوع من الكائنات لايزال موجوداً بيننا . ولاتزال إناثه تحمل رقاباً قصيرة .

نعم . مازالت موجودة وستظل إلى ماشاء الله تعالى دليلاً حياً شاهداً على كذب ادعاءاتهم ، وفشل معتقداتهم .

كذلك لا ننسى أن نذكر بأن صغار الزراف تبقى قصيرة الرقاب بعد مرحلة العظام لمدة طويلة لا تتمكن من الوصول إلى تلك الفروع العالية ، فلماذا إذاً لم تمت تلك الصغار ؟ وبالتالى يختفى هذا النوع من الحيوانات على وجه الإطلاق ؟

كذلك يجب ألا يغيب عن بالنا أن تلك الغابات لابد وأن تكون مليئة بالأشجار ذات الأطوال القصيرة أو حتى تلك الطويلة التى تنمو على مدار السنة ( فتبدأ بالنمو ــ بالطبع ــ قصيرة ) ، ومن ثم تختلف أطوالها باختلاف أزمنة تثبيت بذورها .

http://al-maktabeh.com

الباب الثالث

## بطلان نظرية التطور العام لداروين

أولاً : هذه النظرية لا تخضع لتجربة أو مشاهدة .
ثانياً : الحلقة المفقودة وكيف إختفت يا أنصار داروين ؟
ثالثاً : لماذا وقف التطور عند الشكل الإنسانى ؟
رابعاً : نظرية داروين والحفريات .
خامساً : المشاهدات الإنسانية لم ترصد أى إرتقاء أو أدنى إعتلاء .
سادساً : الوراثة تهدم نظرية داروين .
سابعاً : فماذا هذه اللمسة الجمالية فى المخلوقات ؟
ثامناً : التنوع الهائل فى الخلق ليس له تفسير عند داروين .
تاسعاً : وحدة الخلق تنطق بواحدانية الخالق .

http://al-maktabeh.com

فى هذا الباب يهمنا بمشيئة الله تعالى أن نقدم الأدلة الدامغة والقرائن الواضحة على بطلان نظرية التطور العام عند داروين وزيف ادعاءاتها ؛ حتى تخرس هذه الألسنة ، وتبطل تلك الأصوات التى تطلع علينا من حين إلى آخر تذكر بها كنظرية ناجحة وهامة فى الحديث عن أصل الإنسان ونشأته ؛ وذلك لأغراض دنيئة فى نفس أصحاب من يهود العالم وأذنابهم فى العالم العربى والإسلامى .

نعم .. فإنه من الملاحظ فى عصرنا هذا أو فى تلك الفترة التى نعيشها أن تلك الأصوات التى كانت تتعالى فى الماضى وتتصايح أن الحقوا بركب الغرب وسايروا ركب التقدم وآمنوا بالجديد فى العلم سلموا بصحة تلك النظرية التى أتت بما لم يأت به الأوائل ، فانخدع الكثيرون من فاقدى الإيمان بالله تعالى وقاصرى الفهم لكتابه الكريم ومراهقى الفكر ، فجرفهم التيار وغيرهم ممن حاول الربط بين تلك النظرية وحقائق الدين العظيم بمحاولات التقريب بين وجهتى النظر المتناقضتين ، فكانوا من الذين نُخِدعوا وجذبهم البريق الزائف للعلم الواهى الذى لا يقوم على دليل واضح أو حجة دامغة وأُخِذ بظاهر من القول ، فتاهوا وتاه الخلق معهم فى غياهب الحيرة والضلال .

ولندخل الآن إلى صلب الموضوع فنعرض لمجموعة الأدلة والقرائن التى تثبت عدم صحة النظرية وبطلانها ، ونستطيع أن نجملها كالآتى :

## أولاً : هذه النظرية لا تخضع لتجربةٍ أو مشاهدةٍ

إن ما أسماه داروين بتطور الكائنات من نوع إلى آخر ، كتطور البقرة وتحولها إلى حصان أو كتطور القرد إلى إنسان ، عملية خيالية غير واقعية لم تحصل لا بالتجربة ولا فى الحياة العامة ، ولم يُلَاحَظ ذلك على الإطلاق عبر تاريخ البشرية الطويل إلى يومنا هذا .

وبالتالى فلا يمكن اعتبار النظرية علمية ، وفى ذلك قال الأستاذ العلامة / وحيد الدين خان : « هذه النظرية هل لاحظها أحدهم ، أو جربها فى معمله ؟ »
والجواب : لا . فذلك ضَرْبٌ من المستحيل ، حيث أن مزعومة الارتقاء معقدة ، وهى تتعلق بماضٍ بعيدٍ جداً ، حتى أنه لا سؤال عن تجربتها أو ملاحظتها [1].

---

(١) وحيد الدين خان ــ الإسلام يتحدى ص ٦٦ .



http://al-maktabeh.com

واستحالة ملاحظة نظرية داروين يثبت خروجها عن دائرة التجربة والإخضاع للاختبار ، وبالتالى خروجها عن نطاق العلم التجريبى ــ رغم أن أنصاره يحاولون إقحامها على العلم التجريبي ــ وهي التى جعلت العلامة جيمس كونانت الرئيس السابق لجامعة هارفارد يقول : « إن كثيراً من تلك النظريات المتعلقة بأصل الحياة ومَنشأها ، ليست نظرياتٍ علميةً على الإطلاق ، بل مجرد أفكار تأملية لا يمكن إخضاعها للاختبار » [1] .

لقد عرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين بأنها نظريةٌ قائمة على تفسيرٍ بلا برهان ، بل إن هذه النظرية وأخواتها لا تخضع لأساليب العلم الحديثة من ناحية المنهج التجريبى ، فلا يمكن إثباتها حسياً أو مادياً ، أو متابعتها فى الحياة ، كأى قصة خرافية أخذت حظاً من الأهتمام ، لكنها تزيد بأنها حصلت على جانبٍ من التصديق والأعتقاد ، وفى هذا يقول العالِم سوليفان : « من الممكن تماماً أن تكون سائر النظريات العلمية باطلةً ذلك ؛ لأن النظريات التى نعتبرها اليوم حقيقة ليست إلا قياساً على وسائلنا المحدودة الملاحظة ، ولاتزال قضية الحقيقة فى علم العالِم قضية علمية نفعية » .

ومما هو جدير بالذكر أن لفظ حقيقة لا ، ولن يُطْلق على هذه النظرية ، لأنها لا تزال ، وستظل نظرية ، بل نظرة عمياء .

## ا ــ هل أفلحت الجيولوجيا فى تحديد عمر الأرض والإنسان ؟

والآن نـود أن نثيـر تساؤلاً هاماً هو :

هل أفلح علماء الجيولوجيا فى تحديد عمر الإنسان ــ بكل دقة ــ وكذلك أو بالتالى عمر الأرض أيضاً ؟ هل تحت أيديهم من الأدلة ما يكفى للإجابة على تلك الأسئلة ؟

ونحن نجيبك ــ عزيزى القارىء ــ قائلين : فى الواقع إن ما اعتمد عليه العلماء فى تلك المسألة مثار شكوكٍ وتساؤلاتٍ ، كما سوف يتضح لك بعد قليل .
فعلى سبيل المثال : ماذا قال العلماء فى تحديد عمر الأرض ؟

لقد استعملت عدة طرق لعمل تقديرٍ تقريبي لعمر الأرض مثل : طريقة تقدير سُمْك الطبقات التى ترسبت على سطح الأرض ، وطريقة تقدير الأملاح الذائبة فى البحار ، وأخيراً طريقة خاصية الإشعاع الذرى ، وتسمى طريقة اليورانيوم لتقدير عمر الأرض .

وسوف نعطى فكرةً موجزةً عن كل طريقةٍ وما بها من قصور واضح الدلالة على عدم صحة تلك الفكرة أو غيرها .

---

(١) جريدة النصر الجزائرية العدد الصادر بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٨٠ .

http://al-maktabeh.com

### ١ ــ طريقة قياس سُمْك الطبقات :

تعتمد هذه الطريقة على إضافة أكبر سُمْك للطبقات المختلفة المتتابعة ، فى كل عصرٍ من العصور الجيولوجية ، إلى بعضها ، ويكون المجموع هو السُّمْك الكلى لجميع الطبقات الرسوبية فى الزمن الجيولوجى كله ، فإذا قُسِّم هذا السُمْكُ الكلى على معدَّل سرعة الترسيب فى العام الواحد فى الوقت الحاضر ، فإن العدد الناتج من القسمة يمكن أن ينظر إليه لطول الزمن الجيولوجى بالسنين .

ولكن هناك من الأعتبارات العديدة ما يجعل مثل هذا الحساب لا معنى له . كيف نصل إلى حساب متوسط سرعة الترسيب للطبقات المختلفة فى السنة ؟ ونحن نعلم أن ترسيب طبقة من الطباشير سمكها أقل من عشرين مليمتراً يستغرق قرناً من الزمان ، بينما عاصفة صحراوية عاتية قد ترسب عشرة أمتار من الحصى والرمل فى ليلةٍ واحدة .

ثم كيف نقيس الزمن الذى يستغرق فى حت الرواسب البحرية وعدم ترسبها ، عندما نعرف أن زوبعة بحرية واحدة قد تزيل من قاع البحر ما تراكم عليه فى سنين عدة ، وربما كَوَّنت رمالها على شاطىء قريبٍ أكثر مما ترسب فى عشرات السنين الماضية ؟

### ٢ ــ طريقة قياس الملوحة وتقدير عمر المحيط :

فكر أحد علماء الجيولوجيا القدامى ، وهو العالِم الأيرلندى جوتى ، تفكيراً رزيناً للوصول إلى معرفة شيىء عن عمر الأرض قال : إن الملح ( كلوريد الصوديوم ) فى البحار لابد أن يكون قد انتقل إليها عن طريق الأنهار التى حصلت عليه من نواتج تحلل الصخور ، ولقد تجمع معظم الملح فى البحار .

إذ أن قليلاً منه قد حملته الرياح ، أو تراكم بالتبخير فى البحيرات الصغيرة الموجودة فى المناطق الصحراوية ، أو فى البحيرات الشاطئية المتصلة بالجو ، وعلى ذلك فلابد أن ملوحة المحيطات فى ازديادٍ مستمرٍ ، فإذا قيست كمية الملح الموجودة حالياً فى المحيطات وقسمت على الزيادة السنوية فى الملوحة فإنه يمكن حساب عمر المحيطات . وقد اختير الصوديوم من بين العناصر الأخرى المكونة للأملاح لحساب هذا العمر بهذه الطريقة ( معظم أملاح الصوديوم قابلة للذوبان ) .

لقد كان جوتى على علم بأن طريقة الحساب هذه لم تأخذ فى الحسبان اعتبارات كثيرة وعوامل مختلفة ، فمثلاً يحتمل أن يكون تصرف الأنهار غير ثابتٍ على مر الزمن الجيولوجى ، كذلك ليس جميع الصوديوم فى الأنهار مصدره التحلل ، فبعضه منقول بالرياح من شواطىء البحار ، وكثيرٌ غيره نشأ من ملحٍ سبق أن ترسب من البحار القديمة ضمن الصخور التى تم بها هذه الأنهار ، وعلى ذلك فإن معدل الزيادة السنوية للصوديوم


http://al-maktabeh.com

فى الوقت الحاضر أكبر بكثير مما حدث فى الزمن الجيولوجى القديم . ولكن كم مرة أكبر ؟

بالطبع لا يمكن المعرفة أو التأكد ، ولكن عند أخذ جميع العوامل والاعتبارات المختلفة يمكن الوصول إلى أن عمر المحيطات أضعاف أضعاف الرقم الذى وصل إليه جوتى وهو ٩٩ مليون سنة .

### ٣ ــ طريقة اليورانيوم ( الساعة الذرية ) :

إن اكتشاف النشاط الإشعاعى فى عام ١٨٩٨ فتح آفاقاً واسعةً فى كل علمٍ من العلوم ، ومن نتائج الأكتشاف تعيين بعض الأعمار الجيولوجية بوحدات ملايين السنين ــ تتفتت أو تتحلل إشعاعياً نواة ذرات عناصر قليلة ــ ومن بينها اليورانيوم والثوريوم ــ تلقائياً منتج عناصر أخرى ، فنواة ذرات هذه العناصر قلقةٌ غيرُ مستقرةٍ ، وتطلق جسيمات ألفا وبيتا وإشعاعات جاما ، فيتحول اليورانيوم إلى عنصر آخر ، فإذا بدأنا باليورانيوم ٢٣٨ فإنه يتحول فى النهاية إلى عنصر الرصاص المستقر ٢٠٦ الذى لايتفتت بعد ذلك .

وتختلف سرعة التفتت الذاتى اختلافاً كبيراً باختلاف العناصر ، ويعبر عن هذه السرعة بما يسمي فترة نصف العمر ، ويعرف بأنه الزمن الذى يلزم لتفتت نصف عدد ذرات العنصر ، فنصف عمر بعض أفراد عائلة اليورانيوم ٢٣٨ بضع ثوان فقط ، أما بالنسبة لليورانيوم ٢٣٨ نفسه فهو ملايين السنين ، وقدرت مدة عمر سلسلة مراحل من اليورانيوم ٢٣٨ إلى الرصاص ٢٠٦ بالزمن ٧٦٠٠ مليون سنة ، وبعبارة أخرى ، إذا نحن بدأنا بجرامٍ واحد من اليورانيوم ٢٣٨ ، فبعد ٧٦٠٠ مليون سنة يتبقى نصف جرام فقط ، وبعد ٧٦٠٠ مليون سنةٍ أخرى ، يتبقى ربع جرام فقط ( نصف النصف ) وهكذا .. وقد تحول النصف أو الثلاثة أرباع إلى رصاص وأيونات الهيليوم وإليكترونات وكميات صغيرة جداً من عناصر تتوسط السلسلة المتفتتة ، ولايتغير معدل التفتت الذاتى بالحرارة أو الضغط أو نوع المركبات الكيمائية التى توجد عليها هذه العناصر ، وعلى ذلك فيعتبر نصف عمر العنصر المشع رقماً ثابتاً أى خاصية أساسية للعنصر ، وتحتوى بعض المعادن النادرة نسبياً على كمياتٍ لا بأس بها من اليورانيوم ، ويوجد بعضها فى الصخور النارية ، وقد انفصلت عن الماجما ( المادة المصهورة ) أثناء المراحل الأخيرة من تجمدها .

وبتحليل مثل هذه المعادن وإيجاد النسبة بين اليورانيوم الموجود والرصاص الناتج من انشطار اليورانيوم ، فإنه يمكن الوصول إلى معرفة العمر ، وبالتالى الزمن بالسنين .

نعم .. الزمن بالسنين الذى قدر منذ تجمد الماجما التى تبلورت منها هذه المعادن ، وقد قدرت أعمار عدة صخور من حقب قبل الكبرى من عدة مناطق ، ووجد أن عمر أقدم صخر معروف حتى الآن ــ باستعمال هذه الطريقة ــ هو ١٨٥ مليون سنة ، وقد قدر

http://al-maktabeh.com

العلماء بأن الأرض أصبحت جسماً مستقلاً منذ حوالى ثلاث آلاف أ،أربعة آلاف مليون سنة .

والحقيقة أن هذه الطريقة فى معرفة عمر الأرض ، مع أنها أحدث الطرق العلمية إلا أنك سوف ترى ــ عزيزى القارىء ــ أنها ليست الطريقة التى يُعْتَمد عليها اعتماداً علمياً دقيقاً ؛ وذلك للأسباب الآتية :

أ ــ يفترض بعض العلماء أن اليورانيوم نفسه ناتجٌ من الإحلال الإشعاعى لعنصر آخر أثقل منه ، كان موجوداً على أرض قبل هذه الفترة الزمنية ، وربما لا يزال موجوداً فى أجرام سماوية أخرى .

ب ــ إن نماذج الصخور التى بها رصاصٌ ٢٠٦ قد تكّون فيها منذ أن تكونت الأرض ، وليست من انحلال اليورانيوم .

جـ ـ إن معدل العنصر المشع تتناقص بصفةٍ عامة بمضى الوقت حتى تصل إلى نسبةٍ صغيرة جداً ، مما يجعل الحساب العلمى الدقيق عمليةً صعبةً جداً .

**ب ــ تحديد عمر الطبقات والحفنية الناقطة :**

عزيزى القارىءعندما نتحدث عن الطبقات فلابد وأنك سوف تنزعج حقيقةً من مسألةٍ واحدة على الأقل ، ألا وهى التلاعب بملايين ومليارات السنين .
قد يقول لك البعض من أساتذتك بكل جسارة :
« هذه الطبقة عمرها عدة ملايين من السنين ، وتلك الحفريات عمرها آلاف » .
فمن أين له أن يعرف ذلك ؟ ألم تسأل نفسك هذا السؤال ؟

أجيبك وبكل صراحة ووضوح :
لقد حفظها من كتابات النشوئيين . نعم ... ولكن من أين حصلوا عليها ؟

الواقع أنه فيما مضى ابتدع النشوئيون جميع تلك الأرقام بكل بساطة ؛ لأنهم احتاجوا إلى هذه الملايين من السنين لعدم ادعائهم ، أنه بواسطة تحولاتٍ تدريجية فى منتهى البطء انحدرت كل الكائنات العليا من الأبسط منها ، وادعوا أن هذا حقيقياً ، رغم أنه مع مرور الوقت أثبت علماء معرفون فى الرياضيات ، أنه حتى مليون مرة من ملايين السنين التى افترضوها لا تكفى لمثل هذه التحولات !

بعد ذلك ظهرت طرق تعيين العمر بواسطة العناصر المشعة ، التى أشرنا إليها سابقاً ، وبدا فجأة أن برهنة هذه الملايين من السنين متيسرة .

هذه الطرق التى تعتمد فى الأساس على القياسات الكمية للمواد المتحركة أو المتكونة بواسطة ما يسمى بتفاعلات النشاط الإشعاعى وقياس السرعة التى تتكون عليها هذه

http://al-maktabeh.com

المواد .

دعنى أقدم لك مثالاً يوضح كيف تعمل جميعها بتلك المقاييس من حيث المبدأ ، فلكم أعجبنى حقيقة ذلك المثل الذى ساقه العالِم الهولندى الشاب الدكتور جون أوانيل ليفند هذا الرأى ! فقال :

تصور أن لدىَّ حوضاً كبيراً تنقط فيه حنفية موضوعة فوقه ، وعندما أبدأ فى القياس أكتشف أن الحنفية تقطر لتراً من الماء فى الساعة ، وأنه يوجد فى الحوض مائة لتر ماء تماماً . كم من الوقت كانت الحنفية تنقط ؟

الجواب ليس صعباً ، قد تقول : هناك مائة لتر من الماء وفى كل ساعة يضاف لتر إلى الحوض إذن الحنفية كانت تنقط مدة مائة ساعة ... خطأ .. !!

نعم .. خطأ الحنفية نقطت مدة ١٠ ساعات فقط .

يتعين عليك أن تعرف أن كمية من الماء كانت موجودةً فى الحوض قبل أن تبدأ الحنفية فى التنقيط ، وكذلك أن أحدهم يصب بعضاً من الماء ، وثالثاً أن الحنفية فى البداية كانت تقطر بسرعة أكبر مما هى عليه الآن .

بالطبع لم يكن لك أن تعرف كل هذه الأشياء ، ولكن لو كانت لك دراية بالموضوع لاجبت : « الحنفية كانت تنقط مائة ساعة ، عِلْماً بأن الحوض كان فى البداية فارغاً ، وأنه لم يتدخل أى إنسان مع الحنفية أو الحوض ، وأخيراً أن الحنفية كانت تنقط فى سرعةٍ ثابته » .

هنا فى اعتقاد ذلك العالِم الجليل ، وكل باحثٍ محققٍ ومدققٍ تكمن الغلطة التى يرتكبها النشوئيون ، أنهم يدعون القدرة على قياس عمر الطبقات والحفريات ومعرفة عمر الإنسان بطبيعة الحال فيما بعد ، ولكنهم فى الحقيقة يقيسون كمياتٍ من المادة وسرعات التحول .

وحتى نستطيع استنتاج العمر من هذه المعلومات يجب أن نتأكد من عدة أمور :
أولاً : قبل كل شيىء ماهى الكميات الأصلية لمختلف المواد ( عندما تكونت الصخور أو الحفريات ) ؟
ثانياً : أن العوامل الخارجية لم تؤثر على سير التفاعلات .
ثالثاً : أن سرعة التحول كانت دائمةً بنفس المعدل .

العقبةالأخرى هى أننا لا نستطيع الكلام بثقةٍ عن أى واحدة من النقاط الثلاث ، وإذا كنا غير متأكدين من واحدة من هذه النقاط الثلاث ، فبكل بساطة لا نستطيع أن نصرح بأى بيانٍ واضح المعالم عن عمر الصخور .

عادةً ، بل كثيراً ما يدافع النشوئيون عن أنفسهم بالقول :

http://al-maktabeh.com

« صحيح ، ولكن عندما نستعمل طرقاً مختلفة كلية ، ونحصل دائماً على نفس النتائج عندما نتأكد من أننا عَيَّنا العمر الصحيح » .

بالتأكيد ياقوم ، ولكن كم من المرات حصلوا على كل هذا الأتفاق ؟
هناك جمجمة إنسانية مشهورة لأحد أجدادنا الأوائل ، تحمل الأسم الخلاب زينيا نثرويوس ، لقد تعين عمر الجمجمة عن طريق إحدى الطرق بمليون وسبعمائة وخمسين ألف سنة ( ١,٧٥٠,٠٠٠ سنة ) ، ولكن الدكتور وايتلد لجأ مؤخراً إلى استعمال الكربون المشع على نفس الجمجمة ، فوجد أن عمرها هو ( ١٠,٠٠٠ ) عشرة آلاف سنة فقط .

فرق شاسع ، ألا تعتقد ذلك ؟
ولقد بدت لنا الأمور ووضحت على نحوٍ أفضل خلال السنوات القليلة الأخيرة ، فلقد طبقت طريقة تعيين العمر بواسطة الإشعاع على صخور بركانية معروف بأنها كونت خلال الـ ١٠٠ أو ٢٠٠ سنة الأخيرة ، أثناء هيجان أحد البراكين فطلب من علماء ذوى ثقةٍ تعيين عمر تلك الصخور .
مـاذا اكتشـفوا ؟

لقد كان اكتشافهم ذاك صدمةً كبرى للمشتغلين فى هذا الميدان ، وأستطيع القول بالبديهة : أصبت فى ظنك ملايين وملايين السنين ، وهذا حدث ليس مرةً أو مرتين ، وإنما مراتٌ ومراتٌ مع صخور مماثلةٍ من أنحاء مختلفة من العالم .

ألا يمكن أن يكون ثمة خطأ أساساً فى طرق تعيين العمر التى قدرت تقديراً رفيعاً ، وفى السلم الزمنى الجيولوجى ذى الأعتماد المطلق ؟

**جـ ــ عمـر القمـر ... المغناطيسية .. الديناصـور :**

إننا نستطيع الآن وبكل وضوح أن نقول : إنه لا معنى للتصريح بأن الاعتقاد بالنشوء هو علمى أكثر من الإيمان بالخلق ، ولو كان أحدهما أوجب أو أدعى لأن يكون علمياً أكثر من الآخر لأمكن تحقيق ذلك بطريقة واحدة فقط هى :

إذا بدأت فى التخطيط لبحثٍ خاص مثلاً ، عليك أن تقدم على رسم توقعاتٍ حصيفه ، والتنبوء بأمور تنتظر أن تجدها على أساس اقتناعك الخاص أو استناداً إلى نظريتك .

أما لو لم تتحقق تنبؤاتك فإن نظريتك تغدو مفلسةً ، أو على الأقل تكون قد تضررت بشكلٍ سيء .

وهذا بالضبط هو ما حدث فى فترة السفريات الأولى إلى القمر ، فلقد أصر النشوئيون

http://al-maktabeh.com

على أن عمر القمر هو بلايين السنين ، وأن خلال تلك السنين تحطمت عليه الأجسام النيزيكية ( حيث أنه بسبب انعدام الغلاف الجوى للقمر ، فإن الشهب لا تتفتت أو تحترق قبل اصطدامها بسطحه ) ، وبهذا وَجَبَ وجود طبقة سميكة من الغبار على القمر ، فلو أخذنا عمره الضخم بعين الاعتبار سيبلغ سمكها ستة أقدام على الأقل ؛ ولذلك زودت مركبة الهبوط بأذرع ارتكاز خاصة قابلة للامتداد .

عزيزى القارىء ــ هنا قال الخلقيون : « تستيطعون أن توفروا عليكم كل تلك الأموال ؛ لأن عمر القمر لا يصل إلى ( ١٠,٠٠٠ ) عشرة آلاف سنة ، وبالتالى سيصل سُمْك الغبار إلى حوالى بوصة واحدة » .

لقد كان ذلك تنبؤاً حقيقياً ، أليس كذلك ؟
إذ سنعرف أيهما الصائب مرة أو جملة واحدة ، وعلى ما أعتقد فإنك الآن فهمت ماأعنى ؛ لأن الجواب معروفٌ لديك ؛ لأنه حين وصل الإنسان لأول مرة على سطح القمر اضطروا للأعتراف ــ والدهشة كانت تستولى عليهم ــ بأن طبقة الغبار التى تغطى سطح القمر لا تبلغ بوصة واحدة .

إن ما سبق ما هو إلا مثالٌ واحدٌ فقط ليس إلا ، فهل تستطيع أن تدرك لماذا يجد بعض الناس مسألة الخلق أكثر قبولاً من النشوء ؟
أستاذ الفيزياء فى جامعة تكساس بروفسورث . بارنس هو أحد أولئك .
فعندما تقابل العالِم البيولوجى والشاب الهولندى الأصل الدكتور أوانيل مؤخراً معه ، حدثه عن دراسة لمغناطيسية الأرض فقال :

أنت تعرف أن للأرض حقلاً مغناطيسياً يجعل إبرة البوصلة تتجه دائماً إلى الشمال ، ولكن هل تعلم أن هذه القوى المغناطيسية تضعف ببطء شديد ؟ لقد قاس البروفسور بارنس هذا عملية الضعف هذه بدقةٍ عالية ، وحَسَبَ عمر الأرض ، فوجد أنها تستطيع أن تبلغ على أقصى حد عشرة آلاف سنة .

فلو أن الأرض أقدم من ذلك لكانت مغناطيستها فى تلك الفترة قوية إلى درجة تجبر الأرض أن تبتعد عن مسارها بسبب قواها المغناطيسية ، ولكن لم يحدث وعن هذا الموضوع يتحدث بارنس فى كتابٍ خاص .

وللأسف هذا النوع من المواضيع لم يقدم ــ ولا مرة واحدة ــ إلى عامة الناس ، ولا حتى إلى طلاب الجامعات فى مصر والعالم العربى .

يقول جون كيو : على الجمهور أن يحمل فكرة أن كل شيىء فى ضوء النشوء هو على مايرام . فالحقائق إذن مطموسة ، مارأيك مثلاً فى هذه الفكرة ؟

النشوئيون يزعمون أن الديناصور ــ وهو من الحيوانات الضخمة العملاقة البشعة

http://al-maktabeh.com

التى عاشت فى فترات ما قبل التاريخ ــ انقرض قبل ظهور الإنسان فى الدنيا بسبعين مليون سنة ، وآخرون يقولون : لا بل ستين مليون سنة . ولكن افترض اكتشفنا طبقات تحتوى على آثار أقدام متحجرة لكلٍّ من الديناصور والإنسان . ما قولك ؟

افترض أن آثار الأقدام هذه كانت ملازمة الواحدة للأخرى ، حتى لا يبقى أمامنا أدنى شك بأنهما نشآ فى وقت واحد .

ألن تكون مجبراً عندئذ على الإقرار بأن الإنسان والديناصور عاشا فى ذات الوقت ؟

حسناً ــ عزيزى القارىء ــ فهذا هو بالضبط ما وجد فى الصخور لطباشيرية على ضفاف نهر الباللوكس ، بالقرب من قرية جلن روز فى تكساس .

لقد قام جيولوجيون مهرة بدراسة آثار الأقدام هذه بدقة ، وبطريقة خاصة ليتأكدوا من أنها فى الحقيقة آثار أقدام الإنسان والديناصور ، وأنها ليست نقوشاً .

هل تحققت مما يعنيه هذا الأكتشاف ؟

وأكررها مرة أخرى أنه نقطة واحدة فقط من نقط أخرى عديدة .

ألا يدعو ذلك للضحك ؟ ولكنى أحب أن أقول فى جد :

إذا كان ذلك صحيحاً ، وطالما أنه قد ثبت بالدليل القاطع والبرهان القوى الساطع ، وتصورنا أن كتب أحد الجيولوجيين بأن الإنسان والديناصور عاشا فى وقتٍ واحد ، عندئذ سوف تنهار الجيولوجيا التاريخية برمتها . ولعله من المناسب أن يغدو الجيولوجيون معها سائقى عربات بضاعة .

ولكن كيف يتصرف الجيولوجيون النشوئيون ؟

إنهم إما أن يثوروا غاضبين : خداعٌ .. كذبٌ أو أنهم يلجأون إلى أطروحات علمية لا يفقهها أى إنسانٍ ، ولكن يفترض بها أن تظهر أنهم فى كل الأحوال على حق ، وإلا فإنهم سوف يكتفون بهز الأكتاف فى حركة استعلاء ، وبكل بساطة ينكرون الموضوع بكامله .

ولو حدث أن صادقت منصفاً حليماً منهم لقال لك فى أدبٍ : ألا ترى أن هذا الحديث قد أخذ منا وقتاً كثيراً ، دعنا من هذا الحديث جانباً ، ويحاول أن يخوض غمار حديث آخر من نوعٍ جديد .

يتضح لنا مما سبق أن عملية تحديد عمر الأرض مسألة خلافية لم تحسمها الأجهزة العلمية الحديثة ، ويزيد الأختلاف فيها بزيادة التقدم العلمى ، فكما أختلف العلماء فى تحديد عمر الأرض ، فكان من الطبيعى أن يختلفوا فى تحديد عمر الإنسان فى هذه الحياة وما قبل ذلك ، ولكى يرضوا غرورهم جعلوا له مراحل للتطور تسلم كل مرحلة إلى الأخرى ، وبإمكاننا قياس هذه على تلك .

http://al-maktabeh.com

ولكن ماذا عن الحلقة المفقودة التى تحدث عنها أنصار نظرية التطور ، وهل وجدوها ، أم سيظل الأمر معلّقاً مدى الحياة ؟ هذا ما نود أن نعرض له فى الفصل القادم .

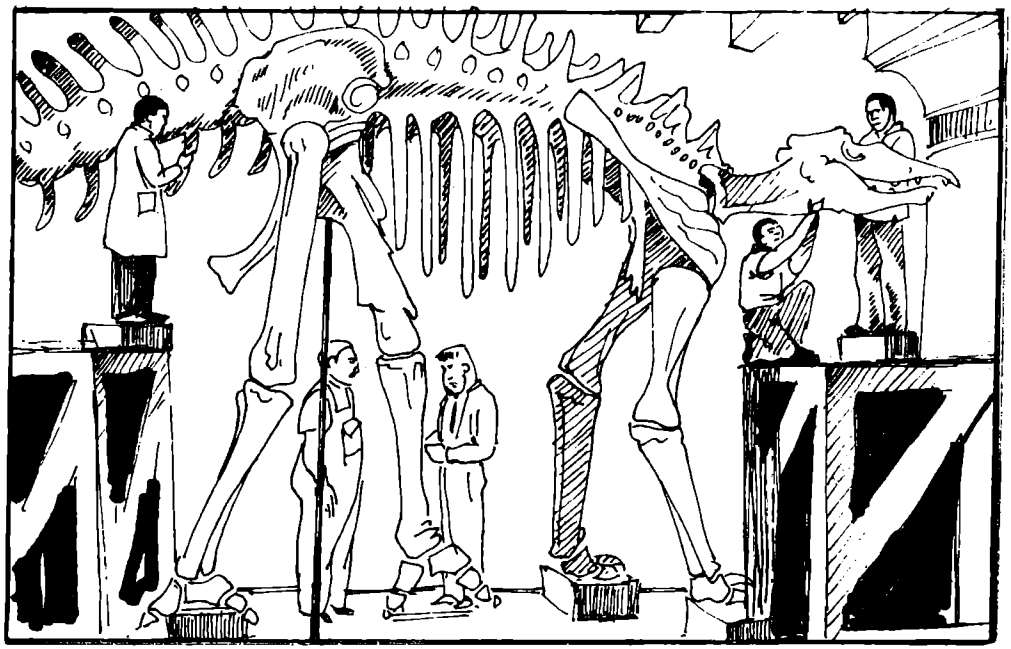

شكل ( ٧ ) هيكل لزاحف عملاق منقرض

## ثانياً : الحلقة المفقودة وكيف اختفت ياأنصار داروين ؟

إننا قبل أن نتساءل عن الحلقة المفقودة ، يجب أن نعرف مُقَدَّماً أننا لن نجد فى هذا الكوكب من يجيب أو من يستطيع حتى التلميح ؛ لأن فاقد الشيىء لا يعطيه ؛ لهذا يجب علينا أن نتذكر دائماً تلك الحلقة المفقودة إذا ذُكِرَتْ هذه النظرية أمامنا ثم نقول :

أين ذهبت هذه الحلقة ؟

وأين ، ومتى ، وكيف ، رحلت ؟

ولماذا لم يعد لها وجود أو أى ذكر ؟

هل اختفت قبل أن تتطور لتصبح ذلك الإنسان ؟

ولماذا لم تبقَ ؟

نعم .. لماذا لم تبقَ كما بقيت تلك القرود ؟ أمَا كانت هى الأحق أن تبقى لأنها كانت هى الأقوى والأفضل والأحسن ؟

http://al-maktabeh.com

ألم تكن هى الأجدر من تلك النسانيس التى هى أدنى منها فى الرتبة ؟
ولماذا كان البقاء هنا لغير الأصلح ؟ ألم يعلنوها مرار أن البقاء للأصلح والأقوى .
ولماذا لم تختفَ حلقة القرود كتلك الحلقة المفقودة باعتبارها حلقة انتهت من مراحل التطور ؟
ولماذا لم يتطور منها أو ينشأ منها بعد مضى هذا الزمن الطويل أشباه أفراد تلك الحلقة المفقودة ؟

إننا بهذا الأسلوب نكلمهم بما يفهمون ويعتقدون ، ونذكرهم بما استندوا عليه .. ينادون بأن البقاء للأصلح ولا يتراجعون ، أوَ ليست هذه الحلقة المفقودة هى كل ذلك أو أكثر ؟ بل كانت هى الأكثر تطوراً من تلك القرود منذ زمنٍ بعيد ، فيا ترى هل تعطلت تلك النظرية ؟ أم عتت وبغت فظلمت جيلاً من القرود حين حبسته فى صورته أحقاباً وأحقاباً لنراه فيها الآن ؟ ولماذا لم يحظَ جيلُ القرود بشرف هذا الارتقاء ؟ أليس هو أقرب الكائنات إلى الإنسان كما يدعون ؟

ترى هل جاملته فأفنت طوراً أرق منه حتى يبقى هو سيداً ؟
ولو صَحَّ ذلك أو صَدَقَ هذا لكان ذلك هو الظلم بعينه ، اقترفته يد هذه النظرية البلهاء ، بل يالها من فجيعة قد تحطم على أشلائها تمثال العدالةمسحولا مسحوبا معصوب العينين !
ولكننا نود أن نسأل :
كيف حدث النشوء الكبير ؟
أو كيف أمكن للثدييات أن تتأصل من الزحافات ( الزواحف ) من الأسماك أو من الأميبا ؟ .
كل ما نعرفه عن علم الوراثة يجعل مثل هذه التطورات ضئيلة الحدوث غير ممكنة بالمرة .

### أ ــ خدعة الحصان .. لماذا ؟

دعنى أعطيك مثالاً آخر على هذا النوع من التضليل العلمى ، أنك إذا ذهبت إلى المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى فى نيويورك ، ستجد بين المعروضات كل سلسلة الخيل المتحجرة مسجلة افتراضاً بأن هذه الخيول قد تطورت تدريجيا الواحد من الآخر فى مدة مئات الآلاف من السنين . هذه السلسلة تبتدىء بحيوانٍ صغير ذى خمسة أصابع فى كل رجل على نحو إفتراضى ، فكلٌ من الحيوانات التى تعقبه يكبر قليلاً ، وعدد أصابعه يتضاءل تدريجيا ، حتى يتبقى فى النهاية الإصبع الوسطى وهى المعروفة بحافر الفرس .

لاشك أنك ستقول هذا برهانٌ رائع على النشوء ، وسوف تفكر هكذا دائماً ؛ لأن رواية الفرس هذه هى واحدةٌ من أبرز الشواهد الشائعة فى صالح النشوء .
فما هى حقيقة الأمر ياترى ؟


http://al-maktabeh.com

لنفترض أن هذه السلسلة هى حقيقة ، وأن الخيول الأخيرة تطورت من الحصان الأول فى السلسلة فهل استطعنا أن نبرهن النشوء ؟

بالتأكيد لا ، لأنهم لا يزالون خيولا ، أليس كذلك؟إن هذه السلسلة تبرهن أن مختلف التغيرات ممكنة فى موضوع الفرس ، ولكنها لا تظهر أو توضح بأن الكائنات العليا تتطور من الكائنات الدنيا . إلقِ نظرة على الأصابع فسرعان ما تلاحظ انحطاطاً بدل النشوء ، ولكن الأسوأ من هذا كله هو أنه لا يوجد ولاحتى برهان واحد يثبت بأن هذه الخيول قد تطورت فى نفس الترتيب الذى وضعت فيه .

أضف إلى ما سبق أنه توجد الكثير من الأدلة التى تؤكد وجود الخيل فى شكلها الحالى فى زمن الحصان الأول ( الأكثر قدماً ) فى السلسلة ثم إن هذه الخيول المتحجرة أُحْضِرَتْ من جهاتٍ مختلفة من العالم.ترى هل تطور الواحد من الآخر وعن أماكن عمرها النسبى هو غير مؤكد أبداً بحال من الأحوال ؟

أو ليس خيالاً أن تعرض مثل هذه الأشياء عامة الناس الذين ينخدعون بها فيعتقدون بأن النشوء حقيقى ؟

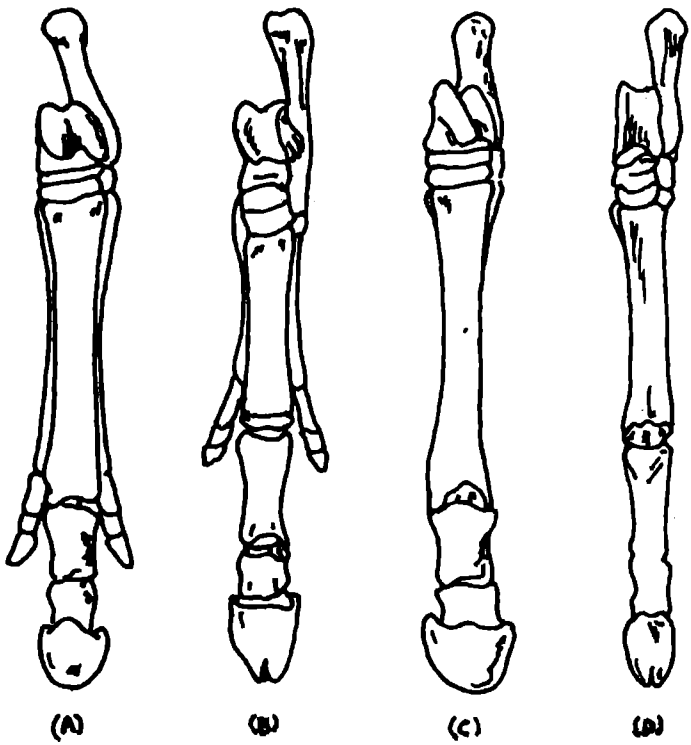


خدعة تطور قدم الحصان

http://al-maktabeh.com

ولكن دعنى أقول لك :

لقد وضعت أكثر من ١٦٠ حفرية للحصان المنقرض ، الغالبية العظمى منها وجدت فى تكوينات الحقب الثالث ( أربعة عصور ) فى أمريكا الشمالية ، وقد قلت سابقاً : قد أتخذت برهاناً على حدوث التطور التدريجى ، بل إن عدداً من علماء الحيوان قد نشر ما رأى أنه الأسلاف الكاملة للحصان .

لكن هذا الادعاء بمعرفة الأسلاف الكاملة للحصان ينهار أمام خبيرٍ قديرٍ من خبراء حفريات الثدييات هو تشارلس دوربرية ، الذى يسخر من هذا الادعاء المزعوم ، ويلقبه بالخداعات المضللة [١].

فلو رجعنا مع هؤلاء ــ على سبيل المجاراة لا أكثر ــ متتبعين سلسلة أسلاف الحصان ، لوصلنا إلى الحصان الأول فى العصر الأيوسينى منذ ٥٠ مليون سنة تقريباً أو بالكاد $\frac{١}{١٠}$ الزمن الكابرى ( ٥٠٠ مليون سنة ) ، ويقرر البروفسيور ترومان ــ وهو من معضدى نظرية النشوء : أن هذا السجل أن يمثل فقط $\frac{١}{٢}$ ٢٪ من سلسلة الأسلاف الحقيقة .

لسوء الحظ لا تكفُّ المتاحف أو الكتب الشعبية عن عرض مثل هذا الهراء . [٢]

لقد قام فينياس بارنوم خبير فن المتاحف فى القرن الماضى بعمل حيلة بارعة لجذب أنظار الناس ، لقد أوصل الهيكل العظمى لقردٍ بذيل سمكةٍ كبيرةٍ ، وعرض النتائج فى نيويورك على أنه رفات جنيه بحر حقيقية . [٣]

فهل يعتبر ذلك دليلاً علمياً يصح أن يعتد به ، وما هذا إلا قليلٌ من كثيرٍ من قبيل الخداع العلمى وما يمثله من ضياع للأمانة العلمية وامتهان لكرامة العلم .

وما رأيك فى الصورة البارعة التى تصور أناس ما قبل التاريخ فى شكل ممسوخ لهم مظهر الإنسان القرد ؟

إنه خداع صرف .

فمن المستحيل تعيين كيف ظهر شكل الوجه ، الشعر ، ولون الجلد .. إلخ من تبيين الجماجم والعظام .

أنت تعرف بالطبع ــ عزيزى القارىء ــ أنه لوقتٍ طويل اعْتُبِرَ إنسان نياندرتال كواحدة من أهم الحلقات المفقودة بين القرد والناس ، ويظهر فى الصور كإنسان ــ قرد

---

(١) النشوء والأرتقاء بين الواقع العملى والتصور العلمى .

(٢) سلسلة المكتبة الثقافية وأصل الإنسان ــ د . محمد سيد غلاب .

(٣) الأهرام القاهرية ١٠/٢/١٩٨٧ ص ١٦

http://al-maktabeh.com

وحشى المظهر — ولكن مع مرور الوقت توصل العلماء إلى نتيجة مدهشة وهى أنه لو شاهدنا رجل نياندرتال فى إحدى حوانيت السوبر ماركت لما ميزناه عن الآخرين أبداً .

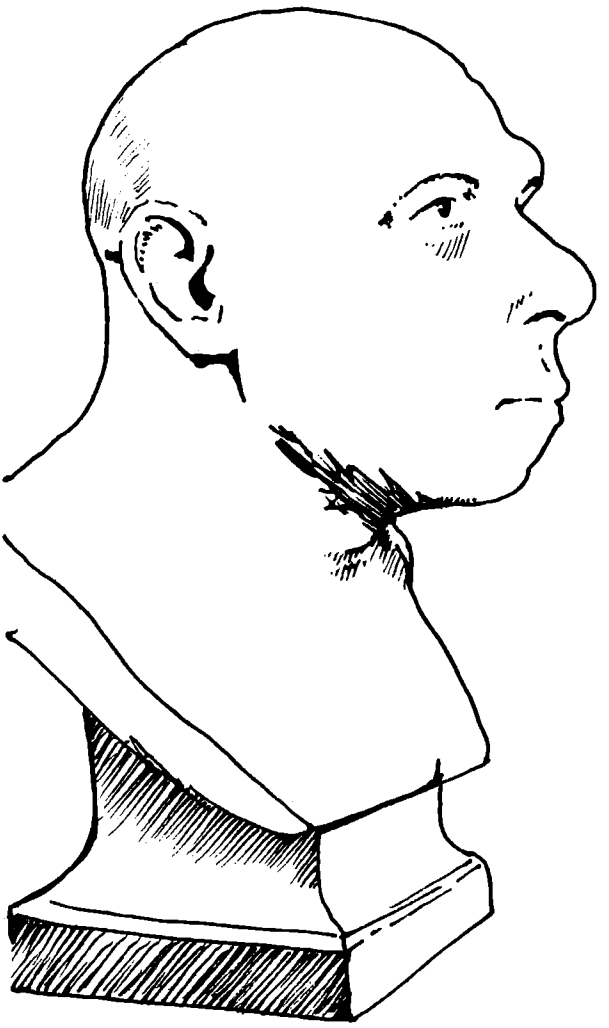

إنسان نياندرتال

وإن من يقول بغير ذلك إنما يكون كمن يصر على تقديم خدعة شبة محبوكة الأطراف للآخرين ولكن ما هى حقيقة تلك الحلقات المتوسطة ! هذا ما نود أن نعرض له الآن .

http://al-maktabeh.com

## ب ــ أكذوبة الحلقات المتوسطة بين مختلف الكائنات : كيف ؟

ما هى حقيقة تلك الحلقات المتوسطة علمياً ؟ هل من أدلةٍ تقودنا إلى ذلك ؟ نعـم . فتبعاً لنظرية النشوء كان لابد أن توجد حلقاتٌ متوسطة لكائناتٍ تجمع فى تركيب أجسامها من صفات طائفتين متتاليتين ، وسوف نذكر هنا أمثلةً مما قدمه مؤيدو النشوء من حلقاتٍ متوسطة تربط طوائف الفقاريات ببعضها ، على أن نُتْبعها بآراء العلماء فيها [1] معرضين لها بالنقد العلمى الهادف والرأى البنّاء .

### ١ ــ الأسماك الرئوية كحلقة متوسطة بين الأسماك والبرمائيات :

معروف إن الأسماك الرئوية نوعٌ خاصٌ من الأسماك ، إلا أنها فى ظروف الجفاف تتحور مثانتها الغازية بطريقة تمكنها من تنفس الهواء الجوى .

إنَّ أقدم أنواع البرمائيات ظهرت كاملة التكوين ، وعجز العلماء من العثور على أى كائنٍ يربط بين الأسماك والبرمائيات ، وكيف يمكن أن تتحول زعانف الأسماك ، والزعنفة كما نعرف مجرد تنية جلدية ، إلى أطراف البرمائيات ؟ فماذا يرى النشوئيون ؟

### ٢ ــ السيموريا كحلقة اتصالٍ بين البرمائيات والزواحف :

يصنف بعض العلماء السيموريا ــ وهو حيوانٌ منقرضٌ ــ مع البرمائيات ، والبعض يصنفها مع الزواحف ، وذلك ليدللوا به صحة رأيهم بالنسبة لنشوء الكائنات ، ولكن ماذا يقول النشوئيون لو استشهدت بدليل عالِمٍ نشوئي يرى غير ذلك

يقول لو كومت دى نوى وهو عالِمٌ بيولوجىٌ معاصرٌ شهيرٌ . [2]

« إن البرمائيات تقضى أطوارها الجنينية فى الماء وهى بالغة تعيش على اليابس ، أما الزواحف فهى أرضية المعيشة ، وإذا كانت الزواحف متطورة عن البرمائيات ، فإن هذا يتطلب جهازاً يمكّن الجنين من تنفس الهواء مباشرة ، أما عن كيفية تطور هذه الميكانيكية فغنىٌ عن القول أن هذا أمرٌ غامضٌ تماماً .

ثم يقـول : [3]

إن بدء ظهور الزواحف كان فى العصر الكربونى الأعلى ، وبدأ يكون لها شأن من العصر الترياسى حتى نهاية الحياة الوسطى ، وجميع طرز الزواحف التى تنتمى إلى الرتب الثلاث : التماسيح والثعابين والورليات تظهر فجأة ومن المستحيل أن نربطها بأى سلف

---

(١) النشوء والأرتقاء بين الواقع العملى والتطور العلمى .

(٢) مصير البشرية صفحة ٦٠

(٣) المرجـع السـابق صفحة ٦١

http://al-maktabeh.com

أرضى ، والحال الصحيح أيضاً بالنسبة للسلاحف لا يمكن لمخلوق أن يتصور أن درجة السلاحف أو الغالبية العظيمة لبعض الزواحف الضخمة المنقرضة تكونت تلقائياً وبهذه السرعة ، وليس لدينا أى أثر للصور المتوسطة .

### ٣ ــ طائر الأركيوبتريكس المنقرض كحلقة متوسطة بين الزواحف والطيور :

لقد اكتشفت حفريتان فقط لهذا الطائر فى صخور العصر الجوراسى فى بافاريا بألمانيا واستدل من الآثار الحفرية على وجود أسنان فى منقاره وفقرات فى ذيله وبذلك اعتبره مؤيدو النشوء حلقة اتصال بين الزواحف والطيور . ولكن ما رأى العلماء فى ذلك ؟

العالِم الانجليزى السير ريتشارد أوين قال: من جهة علاقته بالطيور الحديثة إنه يشبه الطائر فى الحالة الجنينية .

وقال عنه البروفسيور طمس لا يعلم أحد كيفية نشوء الريش . وقال عنه البروفسيور إيفرت :

« كلما تعمقنا فى درس تاريخ الريش ظهر لنا عدم معقولية تطوره عن حراشف الزواحف »

وقال العالم البيولوجى لوكومت دى نوى عام ١٩٥٦ :

« إننا لا نستطيع أن نعتبر حتى الحالة الشاذة للأركيوبتركس حلقة حقيقية ونعنى بالحلقة مرحلة ضرورية للانتقال بين طائفتين متتاليتين مثل الزواحف والطيور أو بين مجموعات أصغر . إن الحيوان الذى يحمل صفات مجموعتين مختلفتين لا يمكن أن يعتبر حلقة حقيقية طالما لم تكتشف المراحل الوسطية وطالما ظلت آليات النشوء مجهولة » .

وهذا خطأٌ فاحشٌ كثيراً ما وقع فيه من دَرَّسوا لنا التطور ونحن طلاب بالتعليم الثانوى ، وينطبق الكلام السابقْ أيضاً على ظهور الطيور ذات درجة الحرارة الثابتة ــ الزواحف متغيرة الحرارة بحسب البيئة المحيطة بها ــ هذه المشكلة تقف اليوم كأحد أكبر الألغاز فى نظرية التطور .

### ٤ ــ منقار البط كحلقة اتصال بين الزواحف والثدييات :

كثيراً ما يتساءل كثيرٌ من العلماء المعارضين لفلسفات النشوء .

كيف تطورت حراشيف الزواحف إلى شعر الثدييات ؟ وكيف تحولت ذوات درجة الحرارة المتغيرة إلى ذوات درجة الحرارة الثابتة ؟

وكيف تغير النمو الجنينى داخل البويضة ؟

وكيف تكونت المشيمة فى الثدييات ؟

http://al-maktabeh.com

ويتساءل لوكومت دى نوى متعجباً [1] أن ظهور الثدييات كان فجائياً فمن أين أتت ؟

أمام كل هذه التساؤلات عجز مؤيدو النشوء عن الرد ، وفيما يلى طائفة أخرى من أراد العلماء المعتبرين .

يقول عالِم النبات وليس « لن تجد فى سجل الحفريات تمثيلاً حقيقياً للحلقات المتوسطة بين الأنواع الحالية والأنواع الحفرية بل بالأحرى نجد امثلة متنوعة تشبه الحالية .

ويقول البروفيسور لويس فياليتون بجامعة مونبليه : [1]
لم توجد حفرية تدل على ارتقائها من رتبة أخرى بل إن كل حفرية وجدت حسب جنسها كما خلقت » ويقول عالِم الحفريات السويسرى أجازيز :
« إنه لو صحت نظرية النشوء لأمدتنا التقارير الجيولوجية بسلسلة متتابعة من الحلقات المترابطة لكن الواقع أن كل عصر جيولوجى تميز بصور خاصة تنتمى لأجناس معينة وهذه بدورها لعائلات معينة تجمعها رتب معينة حيث تكون طوائف معينة مبنية على نظم ثابتة وإلى أن تتضح حقائق الطبيعة التى ربما أخطأ جامعوها فى فهمها فإنى أعتبر أن نظرية النشوء خطأ علمىّ باطل وأسلوبه ليس من أساليب العلم فى شيىء »

كما سبق يتضح لنا أن كلام أجازيز صحيح ومنطقى ومنهجى ، بخلاف أصحاب نظرية النشوء الذين أطلقوا الكلام على عواهنه ثم حاولوا أن يدللوا على صحة هذا الكلام من أى طريق وبأى شيىء يجدونه فى طريقهم .

## ٥ ــ ولكن كيف ظهرت الأعضاء المفيدة لبعض الحيوانات : ؟

حتى يتم كلامنا عن الحلقات المتوسطة كان لابد لنا من الحديث عن كيفية ظهور الأعضاء المفيدة لبعض الحيوانات ؟

إن اتقان أجازيز ولو كومت دى نوى وهما من كبار المتخصصين فى علمى الجيولوجيا والبيولوجيا على الترتيب على ضرورة وجود سلسلة متتابعة من الحلقات المترابطة هو عكس الواقع تماما ، والحقيقة أنه لو وجدت هذه المراحل الوسيطة ما كانت لتفيد صاحبها شيئاً فرجل الزواحف مثلاً تصبح عديمة الفائدة لفترة طويلة جداً قبل أن يتم تحويلها إلى جناح ذى نفع لطائر .

ولو أننا مضينا على نفس الدرب لوجدنا أنه بإمكاننا القول بل القطع بأن حمة النحلة والغدد السامة للثعابين وأسنانها المثقوبة والجهاز الكهربائى لسمك الرعاش لا يصبح عضواً

---

(١) المرجع السابق صفحة ٦١
(١) أصل الأحياء . فياليود


http://al-maktabeh.com

نافعاً قبل أن يعطى صعقة قوية ، فإذا كان وجوده وبحالته الحالية نتيجة تطور فعلينا أن نتخيل ذلك الزمن الطويل حتى أصبح عضواً نافعاً .

وبعد عزيزى القـارىء :

فإن تصور داروين للتطور على أنه عملية منفصلة ومستمرة وإن كانت تتسم بشكل بطيىء وتدريجى يلقى اعتراضات كثيرة من جانب عددٍ من علماء الأنثروبولوجيا الفيزيقية المعاصرين ممن أتيحت لهم الفرصة للبحث الميدانى والتنقيب والعثور على بعض الحفريات القديمة التى قلبت كل النظريات المتعلقة بالتطور رأساً على عقب كما أوضحنا سابقاً .

إن علماء البيولوجيا يكادون يجمعون على أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم التغيرات الصغيرة خلال فترة طويلة جداً من الزمن كما قال داروين ولكنها كانت تظهر فجأة ثم تستمر فى الوجود دون أن يطرأ عليها أية تغيرات كبيرة حتى تندثر وتختفى تماماً لكى يظهر من بعدها وبطريقة فجائية أيضاً أنواع أخرى تختلف عنها اختلافاً كبيراً ودون أن يكون هناك مقدمات أو شواهد فى الأنواع القديمة تبشر بظهور هذه الأنواع الجديدة الأكثر تطوراً وتمهد لها .

لقد استند أصحاب هذه النظرية الجديدة إلى جانب الحفريات التى عثروا عليها إلى وجود فجوات وثغرات واسعة جداً فى السجل الحفرى يمتنع معها إمكان تصور التطور على أنه عملية واحدة متصلة ومستمرة فالسجل الحفرى يكشف عن وجود كائنات عضوية تنتمى إلى أنواع مستقرة ومتكاملة التكوين ومتمايزة ويمكن تحديد رتبتها بكل دقة ، ولكنه لا يضم حفريات تشير إلى وجود أى أنواع هامشية أو وسيطة تمثل مرحلة الانتقال من نوع متكامل معين إلى النوع الذى تطور منه ونشأ عنه .

وإذا كان داروين تكلم عما يسميه بالحلقة المفقودة بين القردة والإنسان بوجهٍ عام فالواقع أن هناك حلقات مفقودة كثيرة تتمثل فى تلك الأنواع أو الأشكال الهامشية والوسيطة التى يخلو منها سجل الحفريات وقد انتبه داروين نفسه إلى ذلك النقص الخطير واعترف بأن السجل على أيامه كان ناقصاً للغاية حسب تعبيره ولكن هذا الاعتراف يحمل بين طياته ضمنياً رأى داروين فى أن العثور على مزيد من الحفريات كفيلٌ بسد تلك الثغرات وبالتالى إثبات صحة نظريته . وهذا أمرٌ لم يتحقق حتى الآن على أية حال . [1]

كل هذه الانتقادات صدرت فى الحقيقة من علماء تطوريين ولذا فإنها لا ترفض مبدأ التطور بوجهٍ عام وإن كانت تعارض بعض الآراء والاستنتاجات التى جاء بها داروين وتحاول أن تعدل نظريته وأن تستكمل ما بها من نقص ، وتصحح مايعيبها من أخطاء

(١) د ــ أحمد أبو زيد ــ هل مات داروين حقا ؟ ــ العربى الكويتية ٢٨٤

http://al-maktabeh.com

وكشفت عنها البحوث البيولوجية الحديثة .

إن مبدأ الانتخاب الطبيعى الذى يعتبره داروين القوة الدافعة والمواجهة الرئيسية فى عملية التطور قد لقى كثيراً من الاعتراض منذ أيام داروين نفسه . ولا يزال الكثيرون من علماء البيولوجيا فى الوقت الحالى يرفضون اعتباره أساساً للتغيرات والتطورات التى تحدث فى الكائنات العضوية ويردون استمرار الجينات أو الموروثات وثباتها إلى عامل الصدفة وليس إلى الانتخاب الطبيعى وإن كانت الصدفة هذه ليس لها مكانٌ فى تفكيرنا العلمى والإسلامى منذ قديم ، كما يردون ظهور الأنواع الجديدة إلى التغيرات الهائلة التى تطرأ على كروموسومات الكائنات العضوية الموجودة بالفعل دون أن يكون لذلك أية علاقة بقدرة تلك الكائنات على الاستمرار فى الحياة أو صلاحيتها للبقاء .

**جـ ــ حقيقة الحلقات المفقودة فى نسب الإنسان :**

لقد كتب الدكتور عبد المحسن صالح مقالاً عن هذا الموضوع ، واختار له عنواناً مثيراً وهو : « الكشف عن الحلقات المفقودة فى نسب الإنسان » ؛ وذلك ليوهم كل من يقرأ الخبر أو يلتفت إلى العنوان أن ذلك أصبح شيئاً مألوفاً ومعروفاً ومقرراً كحقيقةٍ علمية .

لقد خلط فى هذه المقالة بين ما هو صحيح من العلم وما هو مشكوك فيه ..

نعم خلط بين الغث والسمين ،كيف كان ذلك ؟

فى بداية المقالة قال كلاماً جيداً بحيث لا يعارض فيه عالم أو باحث وكان ذلك بخصوص الاستدلال بالحفريات لسبر أغوار الماضى وكشف أبعاده السحيقة ، وعلى حد تعبيره إن لكل شيىء بداية وجذوراً والجذور كامنة فى الصخور وفى الصخور نقرأ صفحات كتابٍ مسطور ، لكن سطوره ليست كلاماً مكتوباً ، بل صوراً مطبوعة ، وأخرى مجسدة وهى دليلنا على إحداث حياة غابرة وكائنات منقرضة ليس لها مثيل فيما بين أيدينا من مخلوقات حية حاضرة ثم يردف قائلاً :

ولهذا كانت مرشدنا عن الحلقات التطورية الناقصة ومنها بطبيعة الحال الحلقات التى تضيق الفجوة الواسعة بين القردة العليا والإنسان وهذا هو بيت القصيد أو مايبغى الكاتب الوصول إليه .

وعندما يتحدث عن الأصول المشتركة يقول :

« إن الذين ينادون بفكرة الخلق المستقل ، أى أن الإنسان جاء خلقاً قائماً بذاته وليس له أصول مشتركة مع ماسبقه ، يأخذون الأمر أخذاً ميسراً فيريحون ويستريحون ولكن العلماء لا يريحون ولا يستريحون ، ليس ذلك لأنهم يتبعون مبدأ خَالِفْ تُعْرف ، ولا حباً فى العناد والأعتراض بل يرجع ذلك أساساً إلى وجود فكرة مسبقة تشير إليهم بأن الخلق جميعاً تجمعه صفات مشتركة وأن هذه الصفات ترتقى فى الكائنات بمرور الزمن ، حتى

http://al-maktabeh.com

يأتى الإنسان فى النهاية متوجاً لهذه الفكرة التى أرسى الله قواعدها فى كل المخلوقات فما مِنْ نسيج أو عضلة أو عضو من الأعضاء التى تظهر فى المخلوقات الأرقى إلا ولها أصول نشأت منها فى المخلوقات الأدنى .

وهنا نود أن نسأل عالِمنا الهمام : هل هذا التشابه الذى تتحدث عنه بكاف ؟ وما رأيه فيما أعلنه العلماء حديثاً من أنه وجد اختلاف فى النسيج بين القرد وغيره من الكائنات الأرقى كما يقول مثل الإنسان ؟

والأغر من هذا أنه ينقل القارىء نقلة عجيبة وغريبة إلى الضد مما يعتقد هو أو يدعو إليه فيقول :

« ومع ذلك فالعلماء متفقون مع الناس على أن الفجوة واسعة جداً بين قردٍ وإنسان ولا يمكن والحال كذلك أن يكون الإنسان قد نشأ عن هذه الأسلاف التى نراها اليوم من شمبانزى أو غوريلا وفكرة التطور التى يعتقد فيها العلماء لا تفسر لنا معنى هذه القفزة الهائلة إذ لا يمكن أن يجيىء مخلوقٌ بقامةٍ معتدلة وتناسق واضح وعقل راجح ولسان فصيح ووجه مليح وجسم أملس ( نسبياً ) ونهود بارزة فى الإناث وغير ذلك من الصفات الراقية التى لا يمكن أن تظهر هكذا فجأة وبدون مقدمات لابد والحال كذلك أن يحنى العلماء رؤوسهم لأصحاب فكرة الخلق المستقل .

حقيقة عجيب أمر ذلك الرجل تاره يسفه أحلام من يقول بالخلق المستقل ويهزأ من تفكيرهم ويسخر من مسلكهم ويصفهم بالجهل وقلة الإدارك وتارة يظهر بمظهر العالِم الذى يتمسك بالحياد العلمى فيظهر احترامه لمخالفيه فى الرأى .

فيقول :

« وحتى داروين نفسه أجرى مقارنة تشريحية بين رأس الإنسان وحجم مخه وبين رؤوس وأحجام أمخاخ القردة العليا ، أدرك أن مخ الانسان أكبر حجماً وأرقى تكويناً وأعظم استيعاباً وأكثر تطوراً فى مراكز الإحساس والعاطفة والذاكرة والإدراك .. إلخ . من أى فرد من أفراد القردة العليا فحيث يصل حجم مخ الغوريلا إلى حوالى ٤٨٠ سم$^{3}$ فى المتوسط وفى الشمبانزى حوالى ٣٦٥ سنتيمترا مكعباً فى المتوسط ، وفى إنسان الغاب ٣٧٥ ، نجد أن حجم مخ الإنسان يصل فى المتوسط إلى حوالى ١٤٠٠ سنتيمتر مكعباً .

إنها فجوة واسعة لا تنفع فى تفسيرها نظرية التطور التى تستلزم عمليات تدريجية تؤدى إلى أمخاخ تصبح أمخاخها وسطاً بين القردة العليا وبيننا وهذا ما يسعد حقاً المنادين بفكرة الخلق المستقل » .

إلى هنا نستطيع القول بأنه يعترف حقيقة بأن هناك من الأدلة الدامغة ما يعضد وجهة نظر أصحاب الخلق المستقل وأنهم على حق وأن كلامهم ليس ادعاءً أو هراءً علمياً . بل نجده يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول :

http://al-maktabeh.com

« ثم إنك لوعدت إلى الأصول التى نشأت على أساسها الأطراف فى الإنسان والقردة أو مادون ذلك لوجدت صفات كثيرة مشتركة ، لكن الهوة واسعة بين يد الإنسان وقدمه وبين يد وقدم القردة فالإنسان بعقله المتميز ــ صاحب الحضارة ــ لكن عقله لن يسعفه فى صنع الأدوات والرسم والنحت ما لم تكن العضلات والعظام التى كونت يديه وذراعيه قد امتلكت حرية هائلة فى الحركة وبحيث تساعده على أداء إنجازات ضخمة لا يستطيعها أى حيوان آخر . وهذا ما أشار إليه داروين أيضاً واعترف به ، ومع ذلك فقد كان لا يساوره شكٌ فى أن الإنسان له أصولٌ قديمة » .

بالله عليك ياسيدى هَلَّا أخبرتنى متى كان الشك يصلح للقيام كأساسٍ لنظريةٍ علمية أو حقيقةٍ ثابتة فى المفهوم العلمى .

وتحت عنوان التنبؤ بالأصول كتب يقول :
« ورغم أن داروين فى زمانه لم يكن يعرف حلقة واحدة من الحلقات التطورية الناقصة والتى يمكن أن تساعد على سد الفجوة الكبيرة التى تفصل الإنسان عما دونه ، رغم ذلك فلقد هدته بصيرته إلى نبوءات أملتها عليه الدراسات الكبيرة التى أجراها على كثيرٍ من الكائنا الحية وبعض الكائنات المنقرضة » .

لكن مهما أفتى داروين وتكلم فى أصل الإنسان ومهما تحدث الذين جاءوا من بعده وكتبوا وأطنبوا فى آراء تبدو أمامنا كخيال فإن العبرة ليست بكلام يتردد ، ولا تكهنات بل لابد من أدلة صحيحة ومقنعة ومجسدة ومرئية وإلا كان كل ماقدمنا وأوجزنا بمثابة زبدٍ يذهب جفاء ، أو هشيمٍ تذروه الرياح .

### ١ ــ محاولات خادعة وفاشلة :

إن أول كشفٍ هامٍ أثار الجدل كان عن مخلوقٍ صغير اعتقد مكتشفه أنه ليس بقرد ولا هو إنسان وقد أعلن عنه رايموند دارت فى عام ١٩٢٥ ودارت كان يشغل وظيفة أستاذٍ للتشريح فى جامعة وبتورترزراند فى أفريقيا الجنوبية لكنه ــ فى الوقت ذاته ــ كان مهتماً بالبحث فى الحفريات ولقد وصل صندوق خشبى مشحون ببقايا عظام وصخور قديمة ، وكانت المفاجأة عندما اكتشف بينها كتلة متحجرة وكأنما هى مصبوبة داخل فجوة الرأس لأنها اتخذت شكل المخ تماماً ، ولقد كان كل أمله أن تكون مخاً لقردٍ متحجر لكن لدهشته كانت أكبر من حجم مخ أى قرد معتبر بحوالى ثلاث مرات وأكبر كذلك من حجم مخ الشمبانزى بشكلٍ واضح وفجأة لمعت فى رأسه فكرة وتساءل : هل يمكن أن يكون مابين يدى الآن إحدى الحلقات التطورية الناقصة .

وعاد دارت للبحث فى الصندوق عله يجد الجمجمة المتحجرة التى ربما تكون قد تهشمت أثناء قطع الأحجار من محجر قريب ، ومن حسن حظه وجد ضالته وظل أياماً

http://al-maktabeh.com

طويلة وهو يعالج بقايا الجمجمة بعناية بالغة ، حتى يزيل منها الضخور المتحجرة ثم جمع أجزاءها واحدة بجوار الأخرى حتى صارت جمجمة شبة متكاملة ، وأغرب من ذلك أن المخ المتحجر قد شغل تماماً فراغ الجمجمة : انظر الشكل التالى :

احدى الجماجم التى اكتشفها رايموند دارت لطفل عمره ست سنوات واعتبرها بمثابة الحلقة المفقودة .

رائدان من الرواد الاوائل فى التنقيب عن الحلقات المفقودة . هما دكتور رايموند دارت ( يمين ) ودكتور لويس ليكى ، وأمامهما حصيلة من الحفريات المكتشفة فى جنوب وشرق القارة الافريقية ، وبها يحددان إن كانت هذه المخلوقات اقرب الى القرود أو اقرب الى البشر .

ولقد ظل دارت ينظف ويزيل كل ما ترسب على فكى وعظام الجمجمة ثلاثة شهور متواصلة وكلما اتضحت المعالم أكثر ، كلما ازداد إقباله على العمل أعظم وهو كأستاذ للتشريح المقارن : لم يجد عناء فى تحديد عمر صاحب الجمجمة إذ تبين أنها لطفل يبلغ من العمر حوالى ست سنوات فلقد اكتملت على كفيه الأسنان اللبنية ، وبدأت الضروس فى الظهور أما الأنياب فكانت صغيرة كأنياب طفل الإنسان كما إتضح من قاع الجمجمة أنها لمخلوق كان يمشى منتصباً على قدميه .

« لكن هذا الكشف كان مميزاً عن كل الكشوفات السابقة التى اكتشف فيها علماء آخرون جماجم كانت أقرب إلى جمجمة الإنسان شكلاً وحجماً وتكويناً ، ولقد أطلقوا عليها أسماء على حسب المواقع التى اكتشفت فيها فهذه لإنسان بكين وتلك لانسان جاوه ، وغيرها لإنسان يندرتال نسبةً إلى فرع من نهر الراين بألمانيا يسمى بهذا الأسم وهى جميعاً لبشر يحملون بعض صفات القردة العليا لكنها وضعت تحت جنس الإنسان كأنواع أكثر بدائية من الإنسان الحكيم أو المدرك ... ( فى علم التقسيم نطلق على أنفسنا الأسم العلمى هوموسابينس وهومو اسم الجنس ، وسابينس إسم النوع ) .



http://al-maktabeh.com

وإننى لأتساءل : أليس من الطبيعى والبديهى أن تختلف جماجم الجنس الإنسانى من إنسانٍ لآخر ؟ وهل يعقل أن تتساوى محجرة الطفل مع محجرة الرجل البالغ أو بمعنى أدق هل العثور على جمجمة الطفل أصغر من جمجمة الرجل العادى معناه أننا قد عثرنا على جمجمةٍ لجنس آخر من أشباه الإنسان .

وما العجيب فى أن تحمل تلك الأنواع للجنس البشرى بعضاً من صفات القردة العليا التى ذكرها ، فنحن لا ننكر ذلك القليل من التشابه بين بعض الكائنات .

ولكن هل ذلك التشابة كفيلٌ وحده بأن نحكم أو نجزم على دقة الصلة وشدة الارتباط بين القدرة والإنسان البشرى السوى فى خلقته وتصرفاته ؟

إننى حقيقةً لم أجد غضاضةً فى رفض ماقاله الدكتور صالح بل أحسست أنه فى الواقع نوع من الدجل العلمى وخاصة عندما قال :
« لكن جمجمة دارت كانت بالتأكيد لجنسٍ آخر غير الجنس البشرى ولهذا لم يتردد مكتشفها فى إطلاق اسم لاتينى فج هو ( استرالوس بثيكوس افرياكانوس ) ( اوسترالوس تعنى جنوبى وبيثيكوس تعني قرداً من القردة العليا أي قرد جنوب أفريقيا ) لكنه قرد ذو مخ كبير وقامة معتدلة ثم إنه يجمع بين الملامح البشرية ، وملامح الشمبانزى أى أرقى من عائلة القردة العليا وأحط من الإنسان » .

إنه بإمكاننا أن نصف دارت بعدم الأمانة العلمية لأنه من حق أى مكتشف أو باحثٍ علمى أن يفرض نظريات كما شاء ولكن من الواجب عليه أن يدلل على صحتها بطريقة صحيحة وبأمانة ونزاهة علمية أما ما كان منه فلا يمكننا أن نسميه سوى أنه نوع من إلباس الحق بالباطل ولذا عندما كتب دارت تقريره العلمى عن كشفه هذا وأرسل فى فبراير عام ١٩٢٥ إلى المجلة العلمية المشهورة نيتشر ( الطبيعة ) وتضمن خطابه إلى المجلة عبارة لافته للنظر نقول :
« إن العينة من الأهمية بمكان ، لأنها توضح سلالة منقرضة تقع فى مرتبة وسط بين القردة العليا والإنسان » اعتبرت المجلة ذلك تسرعاً منه فى الحكم ــ ولهذا أجلت نشر الموضوع إلى أن يفحصه ويعلق عليه بعض العلماء المخصصين فى هذا المجال .

وعندما قامت صحيفة جوهانسبرج ستار « التى صدرت فى جنوب أفريقيا بنشر الخبر بطريقة صحفية مثيرة وبعنوان بارز : « كَشْف الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان » تناقلت الأنباء الخبر لتنشره فى معظم صحف العالم .

عند هذا الحد بدأ النقد والهجوم على هذا الكشف وخاصة من علماء أفذاذ مثل سير ارثر كيت وسير ارثر سميث وود ورد ، واليون سميث وغيرهم وقيل ضمن ماقيل إن الجمجمة ليست إلا لشامبانزى ولكنها جاءت بطريقة مشوهة ، وعندئذ لزم دارت الصمت .

http://al-maktabeh.com

حتى من جاء من بعده وأمثال دكتور روبرت بروم الأسكتلندى الذى كان يهتم بهذا الأمر وشغف به شغفاً شديداً حتى أنه حزم أمتعته وحمل حقائبه وترك أسكتلندا متوجهاً إلى جنوب أفريقيا وقضى أياماً يعمل فى المعمل الخاص بدارت يفحص الجمجمة فحصاً دقيقاً مشاركاً دارت فى رأيه وظل برام يتردد على المحاجر والمناجم طيلة سنوات كاملة عله يعثر على شيىء هام وجمع ثروة من الحفريات ولكنه لم يكن بينها إنسان ولا أشباه إنسان ...

## ٢ ــ خدعــة القــرد المثيــر :

وبالرغم من عدم صحة آراء القائلين بالحلقات المفقودة بين القردة والإنسان وعدم ثباتها يقيناً إلا أننا بين فينةٍ وأخرى للأسف لا نعدم من يخرج علينا بافتراءاتٍ وكلامٍ ظنى يحاول أن يشوش على المسلمين عقيدتهم مع أنها لا تخرج عن كونها فروضاً نظرية لا ترق إلى مستوى الحقيقة العلمية فها هى مجلة العربى للأسف تخرج علينا بعنوان « القردة تدرس اللغة بجامعة كولومبيا ».

تقول فيه : كثرت المحاولات التى يقوم بها علماء النفس فى سبيل تعليم القراءة واللغة ولعل أطرف ما يُذْكر فى هذا العدد المحاولة التى يجر بها العالِم النفسانى الدكتور هوبرت . وذلك فى أحد سراديب جامعة كولومبيا فى نيويورك ــ وجامعة كولومبيا هذه شهيرة فى تدريس مواضيع شتى تُخَصُّ بالذكر منها الطب وعلم النفس أما التلميذ ، موضوع تجربة الدكتور هوبرت ، فليس سوى قردٍ من فصيلة الشمبانزى ــ ويبلغ من العمر سنتين ونصف السنة وقد أطلقوا عليه اسم بنيم وأسكنوه فى بيتٍ كبيرٍ فى حى رفرويل المعروف فى نيويورك وتشارك القرد السكن فى هذا البيت ثلاثُ فتياتٍ كلفهن الدكتور هوبرت بالعناية به وربما أيضاً مساعدته على المذاكرة إذا اقتضى الأمر .
« أما دوام نيم فيمتد ست ساعاتٍ ويبدأ فى الصباح الباكر وينتهى عند الظهيرة ... » .
إلى أن قال الخبر :
« وقد نجح الدكتور هوبرت فى تعليم الشمبانزى اللغة باعتبارها واسطة تفاهمٍ والمقصود هنا لغة الرموز حيث يكون الرمز هو الكلمة أو الوحدة اللغوية وقد تذكرك لغة الرموز هذه بما كانت عليه لغة الإنسان البدائي الأولى فى الماضى البعيد ، ومهما يكن من أمرٍ ، فإن لغة نيم تشبه كثيراً لغة الرموز الخاصة بالصم .

وهكذا أصبح فى استطاعة الشمبانزى بنيم الآن أن يرمز إلى أشياء كثيرة نذكر منها الماء والزهرة وفرشة الأسنان والقبعة وكذلك إلى الشرب وإلى بنيم نفسه .. وذلك بواسطة الإشارات الثابتة التى ترمز إلى هذه الأشياء التى علمه إياها الدكتور هربرت وقد بلغ عدد هذه الرموز التى أجاد بنيم معرفتها حتى الآن خمسة وخمسين رمزاً ، تشمل أسماء وضمائر وأفعالا وصفاتٍ ولكنها لا تشمل الحال ، إلا فى رمزٍ واحدٍ فقط .


http://al-maktabeh.com

وتجدر الإشارة عن أن نيم يتمتع بملكه الاستنتاج فهو يستطيع أن يفهم سبعين رمزاً لم يتعلمها فوق الخمسة والخمسين التى تعلمها .

والأهم من ذلك هو أن نيم يستطيع أن يؤلف بين الرموز التى تعلمها ليكّون جملا ويعبر بها عن حاجاته وأكثر جمله هذه مكونة من رمزين اثنين مثل « التفاحة هات » و« اللعب أيضا » .

ولكن الكثير منها مكّونٌ من ثلاثة رموز وبعضها معقد ويشمل عدداً من الرموز قد يصل إلى عشرة وتكاثرت جمل نيم حتى بلغ عددها حتى الآن ٥٠٠ جملة ولعل الخطورة ليست فى تركيب الجمل وإنما فى باعث القرد على تركيبها . فهذا الباعث ليس نفعياً ليستهدف الظفر بطعام أو شراب أو حلويات كمكافأة على تركيب تلك الجمل بحيث لا يركب تلك إذا هو لم يظفر بهذه بل إن نيم لا يكافأ على تركيبها بأكثر من كلمة ثناء .

ومعنى هذا أن اللغة تؤدى بالنسبة إلى نيم الشمبانزى نفس الوظيفة التى تؤديها بالنسبة للإنسان فهى وسيلة تعبير وتخاطب وأداة تماسك بين الأفراد لا مجرد ردود فعل أو سلوك انفعالى .

إلى هنا انتهى الخبر الذى نُشير بالجملة وهنا لابد من أن نتساءل : ماذا يعنى ناشر هذا الخبر بقوله : إن د . هوبرت نجح فى تعليم الشمبانزى اللغة ؟ هل يريد فى شيىء من الخبث والمكر أن يقول : إن هناك رابطة قويةً بين الإنسان وأحد أجناس القردة مثل الشمبانزى ؟ وإن هناك تقارباً أو من الممكن إيجاد هذا التقارب ثم يقول : إن لغة الرموز هذه تذكرنا بما كانت عليه لغة الإنسانية البدائية الأولية فى الماضى البعيد ؟

إن جميعنا يعلم علم يقين أن الإنسان الأول منذ أن كان هناك مايمكن أن يقال له إنسان هو آدم عليه السلام تعَلّم من الله تعالى الأسماء كلها ، هذا شجر وهذا حجر .... إلخ فهل كانت لغة الرموز ؟ أم أسماء كما قال الحق تبارك وتعالى فى محكم كتابه :

﴿ وعلم آدمَ الأسماءَ كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ (١) .

أليس كل ذلك من العبث بالقول وشغل القارىء أو الإنسان عامةً بما لاطائل من ورائه ؟ ولكَم كان يسعدنا أن يعلن كاتب المقال أن دكتور هوبرت قد نجح فى تنمية ملكات القرد حتى جعله يقول شعراً أو ينظم نثراً .. ولكنه لا يستطيع أن يكتب ذلك لأن شيئاً من ذلك لم ولن يحدث .

---

(١) البقرة . ٣١

http://al-maktabeh.com

## ثالثاً : لماذا وقف التطور عند الشكل الإنسانى ؟

عجيبٌ حقاً أن تمر آلاف السنين لم نَر أى تطورٍ ما قد حدث فى جسم الإنسان أو حتى أية بادرة تشير إلى أن تغييراً فى أى عضو فيه حدث يجب أن نتساءل أو نتخيل ما هو الطور الذى سيلى طور ذلك الإنسان ؟

بالرغم من أن هذه التغيرات البيئية من حوله قد زادت لصالحه بعد أن كَيَّف الكثير لراحته أفلم يكن ذلك مرتعاً خصباً لقانون الاستعمال والإهمال ؟
نعم .. ألم يكن ذلك بيئة طبيعية يحكم من خلالها على كثير من أعضاء جسده بالضمور ؟ وهل هذا بمستساغ ؟

وماذا ياترى سوف نرى إذا ما هلك الجنس البشرى كله وأصبح حلقة مفقودة ؟ هل ستسمى آثاره كلها كما سميت آثار أصحاب الحلقة المفقودة ؟
ثم كيف سيأتى شكل هذا الطور الجديد ؟ ترى هل سينهض بين عظام وحطام هذه البشرية ورفاتها ؟ أم سيأتزر ثوب الحياة بأكفانها ؟
لكن أية قوة هذه التى تمتلك تلك المقدرة ؟
إنها قوة الإيجاد الأول .
نعم القوة الخارقة التى من شأنها أن توجد من عدم وتنشأ من لاشيىء .

## أ ــ أحدث نظرية علمية . ماذا تقول ؟

لقد طالعتنا جريدة أخبار اليوم القاهرية بنبأٍ مثير عن كَشْفٍ جديد فَكتِبتَ تحت عنوان نظرية علمية جديدة : « الإنسان أصله ليس قرداً ... وحواء كانت سوداء اللون » وحتى ساعات صدور هذا الكتاب فإن العالِم الكيميائى الشهير النيوزيلاندى الأصل آلان ويلسون ، ليعتبر أحدث شهود العلم على كذب نظرية داروين بل وإثبات عكسها تماماً . وآخر شهود الغرب على كذب ادعاءات النظرية بالنسبة لأصل الإنسان وعن نشأة الحياة .

ويسعدنى أن أنقل إليك عزيزى القارىء ماورد بالمقال من آراء ومفاهيم
الإنسان أصله ليس قرداً .. وحواء كانت سوداء اللون

لقد كتبت الصحيفة تقول : [1]

---

(١) أخبار اليوم القاهرية فى ١٩٨٧/١/١٠ ــ إعداد هبة حسين .



http://al-maktabeh.com

نظرية عالمية جديدة عن أصل الإنسان تقلب النظريات السابقة رأساً على عقب ومن بينها نظرية داروين التى تقول إن الإنسان أصله قرد ، النظرية الجديدة توصل إليها عالِمٌ سوزيلاندى فى علم الإنسان وتقول إن العلم يفرق الآن بين نوعين من الإنسان :

١ ــ إنسان الغابة الذى اندثر لعدم قدرته على التكيف مع التطورات والثورات الجيولوجية والمناخية التى واجهته فانقرض بعكس ما تقول نظرية داروين .

٢ ــ والإنسان الحالى الذى جاء من حواء سوداء أفريقية الأصل عاشت منذ حوالى مائتى ألف سنة . انفصل عن هذه السلالة قبل الشمبانزى والغوريلا لأنه تطور مع الظروف المناخية والبيئية وسار على قدمين بدلاً من أربع . ونمت عنده مراكز الكلام والفهم وازداد حجم مخه واستطاع أن يعيش حياة اجتماعية مع أفراد جنسه وصنع الأدوات وأصبح قادراً على النطق والكلام أما الغوريلا أو الشمبانزى فقد ظلا يمشيان على أربع ولا يستطيعان النطق أو الكلام مثل الإنسان .

كانت تلك النظرية سبباً فى اضطرابات الأمور وإحداث خلخلة فى علم الحفريات الذى كان الأساس فى تكوين نظرية تطور الإنسان .

وراء هذا الكلام الجديد والغريب نظرية جادة استحدثها العالِم الشهير آلان ويلسون الذى يشغل حالياً منصب مدير العمل بجامعة كاليفورنيا وبنادى ويلسون بضرورة اشتراك علم الأحياء جنباً إلى جنب مع علم الحفريات فى تكوين نظريات تطور الإنسان ومما يدل على أهمية الاستعانة بعلم الأحياء فى علم الحفريات ما توصل إليه الباحث السويدى سفانت بابو عن طريق استخراج المادة الوراثية من مومياء مصرية عمرها ٢٤٠٠ عام موجودة حالياً بالمتحف المصرى فى ألمانيا الشرقية وبمقارنة هذه المادة بمثيلتها فى المواطن المصرى المعاصر قرر الباحث أن أجدادنا الفراعنة شديدى الشبة بمصرى القرن العشرين من حيث الجينات الوراثية هذا الأكتشاف سوف يعين علماء المصريات على تحديد صلات القرابة وأوجه التشابه بين الأسر الفرعونية .

وقد فجر ويلسون حقيقتين جديدتين :

الحقيقة الأولى تخص حواء أم البشر ــ والثانية تتعلق بتاريخ الانضمام بين سلالة الإنسان أو سلالة القرود والذى يرجعه ويلسون إلى خمسة ملايين من السنين بدلاً من أربعة عشر مليوناً كما كان معروفاً .

## الحقيقة الأولى :

تؤكد أن حواء أم الخليقة جمعاء على اختلاف أجناسهم من صينيين فى بكين إلى زنوج أفريقيا وعرب الخليج ومن قوقازيين فى ستوكهولم إلى الهنود الحمر فى أمريكا كانت امرأة أفريقية الأصل ، سوداء اللون عاشت منذ مائتى ألف سنة فقط . ويعتمد ويلسون على

http://al-maktabeh.com

الحقائق التالية لتأكيد هذه النظرية :

**أولاً :ـ**

إنه من مكونات خلايا جسم الإنسان مادة اسمها الميتوكوندريا وهى عبارة عن جهاز ذرى تكمن فيه الطاقة الحيوية المحركة لجميع الكائنات الحية لا تنتقل إلا عن طريق الأمهات فى الأرحام .

**ثانياً :ـ**

بعد تحليل الميتوكوندريا الخاصة بالخلايا المشيميه لدى ١٤٧ سيدة من أجناس مختلفة تم التوصل إلى أن الميتوكوندريا فى نساء الزنوج والأوربيين والآسيويين والاستراليين تحتوى جميعها على جينات وراثية كانت موجودة فقط لدى الأفريقيات .

**ثالثاً :ـ**

نسبة حدوث الطفرات أو التغييرات الجذرية فى المادة الوراثية من ٢٪ إلى ٤٪ كل مليون سنة فإذا تتبعنا مراحل وتاريخ هذه التغيرات لوجدنا أن هذه الأنواع المختلفة من الميتوكوندريا ترجع إلى أصل واحد يخص امرأةً واحدةً هى أساس الجنس البشرى . وبهذا يؤكد العلم أن أمنا الأولى أو حواء كانت أفريقية الأصل والمنبت . وقد تعد هذه الحقيقة الجديدة طعنة موجهة لنظريات علم الإنسان الأنتروبولوجى « التى تؤكد أن جميع الأجناس البشرية خلقت من فروع مختلفة من سلالة الإنسان الذى عاش فى الصين وأوربا واستراليا قبل خمسمائة ألف عام » .

**أما الحقيقة العلمية الثانيةالتى فجرها ويلسون فتقول :**

إن الإنسان هو الجد الأكبر لبعض أنواع القرود وإن الشيمبانزى نسل من سلالة الإنسان متحدياً بذلك نظرية داروين الشهيرة التى تقضى بأن الإنسان كان فى الأصل قرداً .

وإننى أقول إن هناك إشارة واضحة إلى ذلك فى القرآن الكريم وكانت الإشارة هى دافعى الدائم إلى تكذيب داروين فيما ذهب إليه وإن لم يتوفر لى أو لغيرى فى ذلك الوقت أى دليل علمى تجريبى يقوم دليلاً على ذلك ولكنه الإيمان الثابت بما فى كتاب الله : ألم يقل الحق تبارك وتعالى فى بنى إسرائيل بشأن مسخهم :

﴿ فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة (٦٥) .

http://al-maktabeh.com

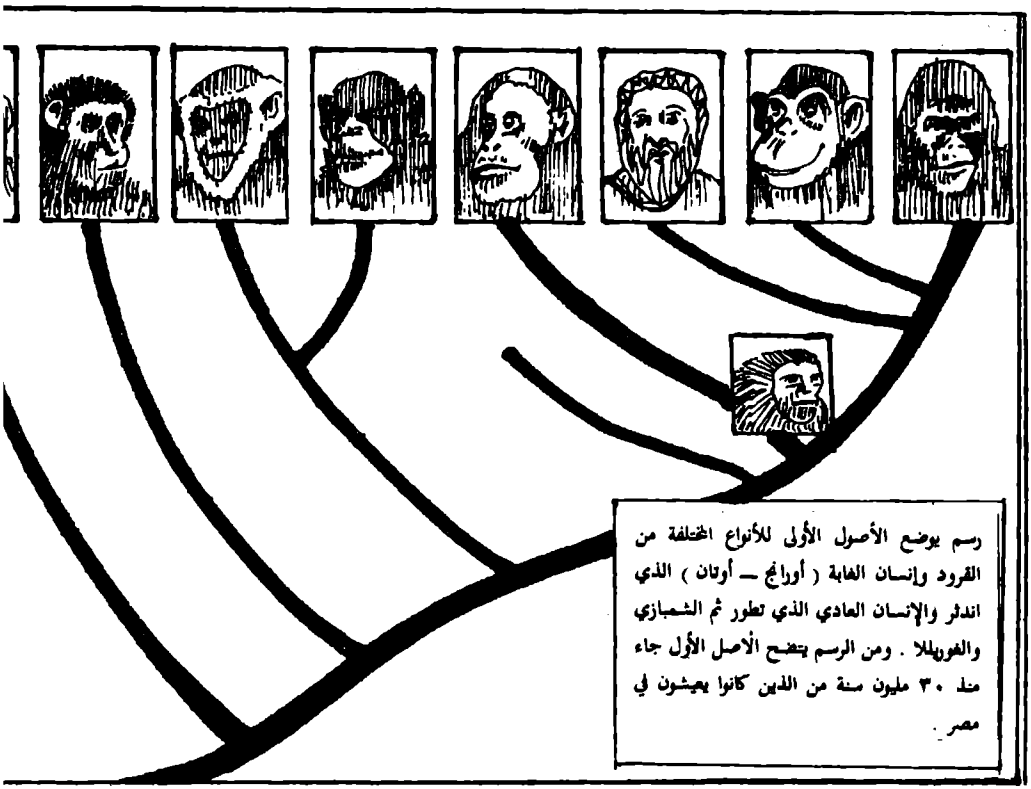

رسم يوضح الأصول الأولى للأنواع المختلفة من القرود وإنسان الغابة ( أورانج ــ أوتان ) الذي اندثر والإنسان العادي الذي تطور ثم الشمبانزي والغوريللا . ومن الرسم يتضح الأصل الأول جاء منذ ٣٠ مليون سنة من الذين كانوا يعيشون في مصر .

ويتفق جميع العلماء بالنسبة لوقت بزوغ الحياة على الكرة الأرضية فمنذ ثلاثة مليارات ونصف مليار من السنين كانت الحياة قاصرة على طحالب زرقاء اللون فى قاع المحيطات وكانت من الممكن أن تظل كذلك أبد الدهر غير أن المادة الوراثية المعروفة بالجينات والتى توجد بداخل كل الكائنات الحية غير ثابتة بطبيعتها فتتغير تلك المادة الوراثية بتغيير الطقس أو عوامل البيئة من قبيل الصدفة أو الضرورة ونحن نختلف مع ويلسون فى هذا المفهوم بالنسبة لأمر الصدفة هذا فإنه لا يتم شيىء فى هذا الكون بطريق الصدفة المحضة أو العشوائية المطلقة وتتبدل وتحدث بها ( أى الجينات ) طفرات تُخلق على أثرها صورٌ جديدة من الحياة متمثلة فى كائنات مختلفة .

وعلى مدى الآلاف من السنين ظهرت كائنات أكثر تعقيداً من حيث التركيب الهيكلى ففى نهاية العصر الحجرى منذ خمسمائة مليون عام ظهرت الأسماك ثم الحيوانات البرمائية كالضفادع تليها الزواحف وأخيراً الثدييات التى انتشرت منذ أقل من مائتى مليون سنة .

ومن الثدييات ظهرت أكثر الأنواع تطوراً والتى تنتمى إليها سلالة الإنسان والقرود وكان ذلك منذ سبعين مليون سنة ثم انقسمت تلك السلالة ليخرج من أحد فروعها الجنس البشرى .

http://al-maktabeh.com

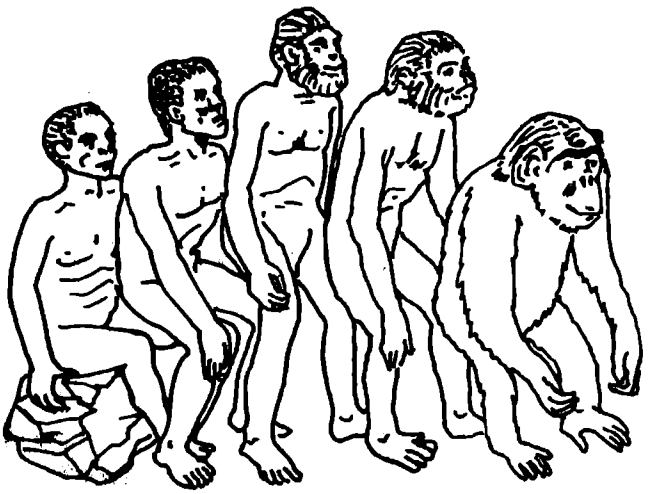

الانسان وسلالة الثديات

لكنني أستطيع أن أقرر بعد كل هذا إنه إلى تلك اللحظة لم يرقَ أي من ذلك إلى مرتبة الحقيقة العلمية الثابتة ولكنها اجتهادات تحتاج إلى كثير من الفكر وتدقيق النظر .

إن العلماء حقيقةً يختلفون كثيراً فيما بينهم حول أنماط نمو الكائنات الحية وتاريخ المراحل الرئيسية لظهور الإنسان .

كان علماء الحفريات ولا يزالون يؤكدون بإصرار أن جدنا القديم أول سلالة الجنس البشرى كان عبارة عن قرد كبير الحجم يطلق عليه رامابيتك ظهر على كوكب الأرض منذ ١٥ مليون سنة ثم جاءت أبحاث عالِمَين من الكيميائيين هما لينوس باوينج الحاصل على جائزة نوبل . وإميل زيكر كندل الباحث الفرنسى لتشكك فى صدق هذه النظرية فقد اكتشفا وجود ساعة زمنية تقيس بالأشعة مراحل التسلسل فى علم التطور كما أنها تستطيع الربط بين الكائنات المختلفة والحقبة الزمنية التى عاشوا فيها .

وقد تأكد العالم ويلسون من صحة نظرية العالِمَين الأمريكيين بعدما أثبتا أنه كلما تشابهت أجناس الكائنات تماثلت البروتينات بداخلها ويزداد هذا التشابه كلما كان من تاريخ انفصال هذه الكائنات من السلالة التى تضمها قريب العهد ومثال ذلك التشابة الكبير بين الحصان والحمار الوحشى فى البروتينات التى تتكون فى أجسامها رغم انفصالهما عن نفس السلالة منذ ثلاثة ملايين من السنين .

وبمقارنة البروتينات الخاصة بالإنسان والشيمبانزى وجد ويلسون أن نسبة التشابة تصل إلى ٩٩٪ وبذلك يكون التشابة كبيراً بيننا وبين الشيمبانزى أما الساعة الزمنية فتشير



http://al-maktabeh.com

إلى انفصال الشيمبانزى عن الغوريلا منذ فترةٍ زمنيةٍ تتراوح بين ٥ ، ٧ مليون سنة وإلى انفصال إنسان الغابة عن السلالة التى تضم الإنسان والقرود منذ عشرة ملايين سنة ، وبذلك يصبح الرمابيتك الذى كان يعيش منذ خمسة عشر مليون سنة جَدٌّ إنسان الغابة الذى كان شبيهاً إلى حدٍ كبيرٍ بالقرود وليس الجد الأكبر للإنسان العادى الذى لم يكن قد انفصل عن السلالة التى تضمه والغوريلا والشمبانزى .

وبتحليل الكورموزومات أو الجينات الوراثية لدى نوعين من الشمبانزى وفى الغوريلا والإنسان وإنسان الغابة وُجِدَ أن الإنسان العادى أقرب إلى الشمبانزى والغوريلا وإنسان الغابة .

« ويرفض علماء الحفريات تصديق النتيجة المستخلصة من هذا التحليل » .

## المفاجـأة الكبـرى :

وكانت المفاجأة التالية اكتشاف آلان ويلسون أن الإنسان قد انفصل عن الفرع الموحد الذى يضم سلالة الجنس البشرى والغوريلا والشمبانزى قبل الأخيرين منذ ثلاثة ملايين من السنين وهكذا يصبح الإنسان الجد الأكبر لبعض هذه الأنواع من القرود ومنها الشمبانزى والغوريلا وقد ذَكَرَ هذه الحقيقة الغريبة البروفيسور تمبلتون بجامعة واشنطن فى ولاية ميزورى .

ولا يزال الخلاف العلمى قائماً حتى الآن بين آلان ويلسون وعلماء الأحياء حول الساعة الزمنية التى تعيش بها مراحل تطور الكائنات المختلفة فهو يعتقد فى ضرورة تطبيق الساعة الزمنية كمقياس عالمى لتحديد نشأة الحياة على كوكب الأرض ، ويدلك على ذلك بأن الطفرات التى تحدث للكائنات سواء كانت حيوانات ، بكتريا أو نباتات تتم بشكلٍ ثابت أو بمعنى آخر على فترات شبه محدده بحيث يكون من السهل تتبع هذه الطفرات وتحديد مراحل تطور الكائنات الحية .

## رأى علمـاء الكيمياء والديـن الإسـلامى فى النظريـة :

وقد ترجع حساسية هذا الخلاف العلمى إلى كونها المرة الأولى التى يتدخل فيها علم الكيمياء الحيوية ــ البعيد كل البعد عن علم الإنسان ( الأنثروبولوجى ) ليضع الإجابة على الأستفهام المثار حول أصل الإنسان .

ويعلق على ذلك الدكتور محمد عبد القادر أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة القاهرة فيقول : لابد أن نرجع أولاً إلى القرآن الكريم فهو المصدر الذى لا يأتيه الباطل أبداً فهو يحدثنا أن الإنسان خُلِقَ من ترابٍ ثم طينٍ لازب ثم نَفَخَ الحق تعالى فيه من روحه فاستوى

http://al-maktabeh.com

إنساناً متكلماً عاقلاً . وأُمِرَ الملائكة أن تسجد له تشريفاً وتعظيماً ويؤيد الدكتور عبد القادر أقوال ويلسون بأن الإنسان الحالى لا يمكن أن يكون من نسل إنسان الغابة الذى اندثر تماماً لعدم تأقلمه مع الظروف البيئية المتغيرة ولكنه من الجائز حدوث طفرات فى المادة الوراثية بخلايا الإنسان الأول أدت إلى ظهور الإنسان الذى كان عاقلاً ناطقاً منذ خليقته بصورته الحالية .

وعن نظرية داروين وويلسون وغيرها يعقّب د . عبد القادر بأنها كلها اجتهادات لا ترقى إلى الحقائق العلمية الثابتة وأن المسألة تتطلب نوعاً من البحث العلمى العميق فى التكوين الفسيولوجى الكيميائى لخلية الإنسان وصفاته الوراثية ومدى سيطرة تلك الصفات الوراثية على البناء المادى لجسم الإنسان واختلافها اختلافاً كلياً من كيمائية الصفات الوراثية الجينات التى تسيطر على تكوين الحيوانات الأخرى .

وإلى جانب محاولة اكتشاف أصل الجنس البشرى ومراحل تطوره يعنى على التطور بالبحث عن الحبوب وفضلات الطعام الكامنة فى طبقات الأرض لمعرفة الظروف التى أحاطت بالإنسان على مر العصور كعوامل البيئة والتى تتمثل فى العطش والغذاء .

فمنذ حوالى مليونين ونصف مليون سنة حدثت ثورة جيولوجية ومناخية بسبب تغير عوامل البيئة فى قارة أفريقيا ففى الغرب وجدت غابات استوائية كثيفة ، أما فى الشرق فتبدلت الأشجار لتحل محلها أعشاب السافانا وكان لابد لجنس الإنسان أن يتطور ليتأقلم مع الظروف البيئية حتى لا ينقرض .

ويؤكد العالِمان يم دايت وإيف كوبان أن الإنسان المعاصر وُلِدَ فى ظل هذه التغيرات البيئية وكان لابد لهذا الكائن الجديد أن يعى ماحوله ويفكر فى كيفية تدبير غذائه وحماية ذريته عن طريق التعاون مع أفراد جنسه وقد تمكن العلماء من معرفة التركيب التشريحى لهذا الإنسان الذى عاش قبل مليونى عام فقد نما مخه فى تلك الفترة بحيث أصبح قادراً على النطق والكلام وأكثر إدراكا لِما يدور حوله .

وبذلك تكون البيئة قد لعبت دوراً هاماً فى الفصل بين نوعين من الحيوانات فى سلالة الإنسان هما : الإنسان المعاصر الذى تأقلم مع تغيرات البيئة فعاش حياة اجتماعية وصنع أدوات بدائية وتعلم كيف يتكلم ، أما النوع الثانى فيضم الغوريلا والشمبانزى التى ظلت تعيش فى الغابات وعلى الأشجار ولم تتطور مثل الإنسان .
ومنذ هذه اللحظة بدأ الجنس البشرى ينعزل تماما عن السلالات الأخرى ليبدأ غزوه للعالم وينتشر فى أرجاء الأرض .

ولكن ماذا يقول علماء الإسلام فى عصرنا الحديث عن هذا الموضوع أو تلك النظرية الجديدة ؟ يقول الدكتور عبد الغنى الراجحى أستاذ الدراسات العليا فى كلية أصول

http://al-maktabeh.com

الدين :

« إننى أسلم بقوة التشابه بين الإنسان والقرد ولكن التشابة بين الشيئين لا يقتضى وجود أصل واحد لهما فالقط يشبه النمر ولكننا لا نقول إن النمر كان أصله قطاً وارتقى ، أما ارتقاء القردة فيصل إلى بلوغ القمة القردية التى تمثلها أنواع الشمبانزى والغوريلا ولكن من المستحيل أن يرتقى القرد إلى إنسان .

وتعتبر نظرية العالم داروين غير مقبولة لا لإعتراف داروين نفسه بأنه لم يستطيع الاهتداء إلى الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد كما أن جميع الديانات ترفض نظرية داروين لأن الإنسان خُلِقَ ناطقاً عاقلاً ، أما بالنسبة لنظرية آلان ويلسون فينفى الدكتور الراجحى أن هناك سلالة واحدة خرج منها نسل الإنسان والقرود ، فكل منهما نوع خاص ويدلل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [1] .

أما الشق الثانى فى نظرية ويلسون والتى يقول فيها إن حواء كانت سوداء اللون فيؤكد د . الراجحى أن بعض المفسرين قالوا فى تحليل كلمة آدم إنها مشتقة من كلمة أدمة وتعنى سواد تراب الأرض ، مما يرجح أن لون آدم مائلٌ للسواد ربما لأن الآية الكريمة تقول : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾ [2] .

فإن التشابة قائمٌ بين آدم وحواء ومن ثم يكون من المحتمل أن تكون حواء الأولى أفريقية الأصل سوداء اللون .

http://al-maktabeh.com

## ب ــ الإبداع في خلق الإنسان دليل على تفرده بين الكائنات

هناك العديد من الأسئلة التي أثارت الحيرة في نفوس الكثيرين من الشباب وزرعت البلبلة في أذهانهم خاصة تلك النوعية التي مرت أوطانهم بتجارب متتالية ومتباينة في المذاهب الفكرية فتارة ينحون بهم اتجاهاً رأسمالياً وآخر اشتراكياً وفي كل مرة يسوقون إليهم مايتبع ذلك من أفكار مسموعة وفلسفات ضارة عن مادية الحياة ونشأتها من مكون أصغر وعدم قابلية المادة وخصوعها كقانون الفناء وعدم خلقها من عدم إلى آخر تلك الأقاويل وساقوها إليهم على أنها مسلّمات لا تقبل الجدل وحقائق بينة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء فهناك من هاله الأمر في البداية بعد أن صدق في معلوماته فانساق وراءهم وهناك من أنكر ودافع عن رأيه في صلابة وعزم وهناك من أخذ يتأرجح بين هذا وذاك لا يهتدي إلى الحق سبيلاً .

ولُمَّا كانت المادية الملحدة تحاول اليوم بإمكاناتها كلها أن تنسى الإنسان ربه ، وأن تصغر في عقله وقلبه فكرة الإيمان بل تمحوها إن أتيحت لها الفرصة .

ولما كانت الحملات الملحدة تزداد ضراوة يوماً بعد يوم وتزداد انعكاساتها على النفس البشرية لحظة بعد لحظة ... فقد رأينا أن نعطي هذه الفكرة بعض حقها ندلل بذلك على وحدانية الخالق عز وجل وكدليل أيضا على تفرد الإنسان : ــ

« ككائن بشري بين الكائنات الأخرى في تكوينه الجسماني وهيئته المعتدلة المنتصبة بداية من تكوين النطفة وتلقيحها ثم مراحل تكون الجنين مرحلة بعد أخرى وكيف أن بنية الخلية زاخرة بالأعاجيب وتكوين الجسد البشري من مقادير دقيقة ومحسوبة .

**١ ــ في مختبر الجنين ... النطفة بداية الخلق : ــ**

ففي مختبر علم الجنين نرى رأى العين أصل النشأة الأولى حيث نرى النطفة البشرية[1] فنقف أمام حقيقتها في ذهول .

نعم ... فعندما ينظر الناظر إليها لا يمكنه أن يتصور أن أصل الإنسان ضئيل إلى هذا الحد وما هي ياترى هذه النطفة التي لا يشك إنسانٌ في أنها أصله القريب ؟

إنها نقطة من ماء مهين ، لا قوام ولا قيمة تسبح بين ملايين من الخلايا أمثالها خلية واحدة من هذه الملايين هي التي تصير جنيناً .

عند هذه الحقيقة يقف الإنسان كثيراً ويفكر ملياً ، ويتأمل الكون بما فيه ومن فيه فيرى آلاف المجرات تملأ أجواء الفضاء وهو يعلم يقيناً أن العلم قد كشف من أسرارها العجب

(١) تطلق كلمة النطفة على ماء الرجل وعلى الخلية الواحدة في هذا الماء ، وقد يسمى بعض الدارسين هذه الخلية بالحيوان المنوي.

http://al-maktabeh.com

العجاب . وتبين أن في كل مجرة منها آلاف النجوم وأن بين تلك النجوم نجوماً لا تعد شمسنا على عظمتها ـــ شيئاً مذكوراً أمامها .

وفوق هذا فالكون في توسع مستمر ومعلوماتنا عنه تتضاعف يوماً بعد يوم كلما أتاح لنا العلم وسيلة جديدة لكشف المجهول وسر أعماق الفضاء وعلى عظمة هذا الكون واتساعه فقد اختار الخالق عز وجل منه هذه النطفة المهينة الإنسان لحمل الأمانة وإقامة شرع الله في الأرض .

**فأى تكريم هـذا ؟**

وأية عظمة تكمن في خلق هذا المخلوق ليستحق مثل هذا التكريم الرباني العظيم ؟
وأين هذا الإنسان في تلك النطفة المهينة ؟
وكيف ينسى الإنسان بعد ذلك م خلق ، ومن أين خرج ؟
فيقف مجادلاً في ربه مخاصماً له معترضاً على شرعه وقانونه .

**كما تقرر الآية الكريمة : ـــ**

**« أو لم يرَ الإنسان أنا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين[1] »**

وعجباً لمخلوق أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة ثم يتعجب على خلق الله ويتكبر على خالقه وذلك بما أودع الله فيه من متناقضات وتباينات .

**٢ ـــ كيف ينمو الجنين مرحلةً بعد أخرى : ـــ**

وفي مختبر الجنين كذلك ـــ يمكننا أن نرى كيف ينمو الجنين مرحلةً بعد أخرى وكيف تبدو ألوف ـــ بل ملايين الخلايا مدفوعة لأن تفعل الشيء الصواب في الوقت الصواب وفي المكان الصواب كيف تستوي في النهاية بشرا سويا ؟ والحق أنها طائعة لأوامر خالقها مسيَّرة بأمره . فأية قدرة هذه التي تدفع بها إلى الأمام بانية متوسعة وخالقة ما هو أقوم وما هو معجز ... إن لم تكن هي قدرة الله المطلقة .

نعم قدرة الله لا تحدها حدود ولا تقف أمامها حوائل فلا تمنعها حواجز أو عقبات ومن عجيب الأمر أن نرى خليتين تبنيان في جسم الجنين وتقومان بعمليتين متكاملتين أحدهما صورة طبق الأصل من الآخر وكل من الخليتين تقعان على طرفي الجسم وبينهما من المسافة ما لو قورنت بحجميهما لكانت مثل أن تفعل نملة في القطب الشمالي من الأرض ما تفعله نملة أخرى في القطب الجنوبي وذلك في وقت واحد وحركات متماثلة وسكنات متشابهة لا يفترق بعضها عن بعض أى افتراق[2] .

---

(١) سورة يس (٧٧)

(٢) الأمة القطرية ـــ العدد الخامس والأربعون



http://al-maktabeh.com

فمن ينظم الحركة ياترى ومن يصدر الأمر الواحد ؟ ألا إنه الواحد الذي لا شريك له سبحانه فلو كانت حركتها تصدر عن أوامر لأكثر من مدبر أو خالق لاختلت حركتها وتباينت تبايناً كبيراً . وما كان هذا الانسجام في التكوين والتكامل في البنية .

ولو قمنا بعمل مقارنة بين أجنة المخلوقات المختلفة من حيث مراحل نشأتها وأطوار نموها لأدركنا وحدانية الخالق عز وجل من خلال وحدة الخلق فإن دراسة مراحل تخلق تلك الأجنة ترينا تشابهاً كبيراً في مراحل الخلق المتعاقبة مما يدل دلالة أكيدة ويقدم برهاناً صادقاً وثابتاً على أن خالقاً واحداً ذا علم واحد وإرادة واحدة وقدرة واحدة ... هو الذي يخلق ويبدع تلك المخلوقات على اختلافها ... نعم على اختلاف أجناسها وتباين أنواعها . ومن ثم هذا الكون وما فيه ومع هذا فإننا نلحظ تميزاً واضحاً في نسيج الجنين للإنسان وغيره من الكائنات موجوداً ومستقلاً في المرحلة الجنينية الأولى وبعد الولادة يكون لكل عضو طابعه الخاص والعجيب أن هذا الكائن لا يعرف للعلم عنه شيئاً .

هذا هو المفهوم الصحيح والتفسير السليم لعملية تشابه الأجنة في مراحل نشأتها وأطوار نموها أما أن تؤخذ الأمور مأخذاً آخر أو تحمل على مفاهيم أخرى بأن الأجناس على اختلافها فأصلها واحد وأن الإنسان بسمو روحه وعظمة كيانه والقردة إنما ينحدران من أصل واحد لتشابه الجنين فعلى ما أرى فإن هذا من باب إلقاء الأمور على عواهنها ومحاولة التدليل على صحة أمر لم يثبت بعد .

إنني أشبه ذلك بقول القائلين بأن مراحل نمو الجنين هي تكرار للمراحل التي مرت بها أسلافه الكاملة النمو وهذه نظرية تسمى بنظرية التكرار وقامت لها قائمة وانبهر بها العلماء زمناً ثم تبين فيما بعد أنها نظرية مفتعلة ولا تثبت النشوء بحال من الأحوال .

لقد وضع هذه النظرية كارل آرنيت فون باير ( ١٧٩٢ ــ ١٨٧٦ ) مؤسس علم الأجنة المقارن ثم تحمس لها واهتم بنشرها آرنست هيكل فيما بعد .

إن تشابه أجنة الفقاريات في مبدئها يرجع إلى أنها نشأت عن بويضات مخصبة دقيقة جداً وكلما اقترب نمو الجنين من كمال تكوينه تظهر بوضوح الاختلافات بينها حتى أنه في طور الجستريولا وهو طور متقدم يمكن التمييز بين أجنة الأنواع المختلفة ومعرفة أنواعها المتباينة كما ذكر الجراح الكبير البرفيسور رندل شورت[1] .

وسير النمو الجنيني يحدده التركيب الجنيني لكل بويضة مخصبة وهذا ما عبر عنه فون باير بقوله : « إن سير النمو الجنيني يرشده ويتحكم فيه تكوين الفرد المستقبل ».

هذا وقد أثبت البحث المستمر والمتزايد أن أغلب المظاهر والأشكال التي يتخذها الجنين

---

(١) النشوة والارتقاء بين الواقع العملي ــ شاكر سيليوس وآخرون



http://al-maktabeh.com

أثناء نموه إن هي إلا تحورات وقتية لملائمة الظروف الخاصة المحيطة بكل مرحلة ففي أطوار نمو الضفدعة مثلاً نرى أباذنيبة وهو أحد أطوار النمو الأولى يتنفس بالخياشيم ذلك لأن بيئته مائية وعندما يصل إلى طور البلوغ ويعيش على اليابس يتنفس بالرئتين عن طريق أجنافة هاتين الرئتين وليس بتأثر عامل من عوامل النشوء .

والآن عزيزي القارىء ــ دعنا نتأمل معاً فيما يوجد من أدلةٍ أخرى عديدة تدحض هذه النظرية : إن أقدم الحيوانات القشرية المعروفة بثلاثية العضومي ( الترياوبيت ) والتي وجدت في العصر الكمبري مكونة من حلقات ومع ذلك فبرقة النوبليس غير مقسمة إلى حلقات بالرغم أنها من القشريات .

وإذا اعتقدنا بصحة هذه النظرية التي تدعى أن أطوار الجنين أثناء تكوينه تحكى الأطوار التي مر بها الحيوان أثناء تطوره من الحيوانات الأدنى منه في الأحقاب الماضية ، كم يكون سخيفاً أن نستنتج بأن الفراشة إذ تمر في تطورها من البويضة إلى الحشرة الكاملة بطور العذراء العديم الحركة .

إن ذلك يعني أنها تطورت عن نوعٍ من الأحياء كان عديم الحركة غير مميز النوع يمتنع عن الأكل ويتكون جسمه من كتلةٍ من الخلايا عجنية القوام غير مميز بها عضو من الأعضاء .

ثم إن ما يقوله عنه التطوريون بأنه يمثل الخياشيم في أجنة جميع الثدييات لا يمت إلى الخياشيم بصلةٍ وإنما هو عبارة عن مياذيب سطحية بين الأقواس التي تحمي الأوعية الدموية المغذية للجزء الأمامي من الجسم الشامل للدماغ في حين أنه في الأسماك توجد بهذه المياذيب ثقوب تؤدي إلى الخياشيم أما في أجنة الحيوانات الثديية فالمياذيب الموجودة بها ليس لها ثقوب ولا تحوي خياشيم فإذا كان التطور الجنيني يحكي أمراً فأنه إنما يثبت أن الثدييات لم تنشأ عن الأسماك أما عن وجود القلب الأنبوبي الحلزوني فالتفسير الحقيقي لوجوده هو أن هذا القلب قد أعد لحاجة الجنين إليه ولأن هذا الشكل الأنبوبي هو أبسط الأشكال المناسبة .

مما سبق نستطيع بأن السبب الحقيقي لوجود بعض التشابه بين أجنة الحيوانات العليا هو أن هذه الحيوانات متشابهة في الوظائف الفسيولوجية الأساسية ، إذ أنها جميعها تتنفس الأكسجين بالرئتين ولكلٍ منها قلبٌ ودمٌ وأعصاب وغير ذلك ولهذا السبب فإن بناء أجسامها يكون على طريقة واحدة في أطوار حياتها الجنينية الأولى فالتشابه الذي يظهر بينها لا يحكي تاريخ تسلسلها القديم ولكن ليمد أطوار الجنين بالدم والأكسجين والغذاء اللازم لها بطريقة هي أمثل الطرق وأكثرها اقتصاداً .

### ٣ ــ في مختبر علم الخلايا الدليل على استحالة النشوء : ــ

أننا نرى في المختبر تفاصيل الخلية البشرية التي يتكون الجسم البشري من ملايين منها ، ويتبين منها ولنا أن كل عضو في البدن بل كل نسيج يتكون من خلايا متميزة خاصة به لا

http://al-maktabeh.com

تشابه خلايا بقية الأعضاء إلا في صفاتها العامة .

أما الصفات الخاصة بكل نوع من الخلايا فهي تختلف من نوع إلى آخر اختلافاً لا حد له . وهذا ما نلحظه مثلا في الغدة النخامية[1] في الدماغ ، هذه الغدة التي لايزيد حجمها عن حجم حبة الحمص الصغيرة تتألف من أنواع عديدة من الخلايا وكل من هذه الخلايا يفرز هرمونات خاصة به ، فإذا كان هذا الاختلاف يقع في العضو الواحد فكيف يكون الاختلاف إذن بين عضو وعضو آخر لاسيما وإن وظائف الأعضاء تتباين فيما بينها تبايناً كبيراً .

إننا لو دققنا النظر في الفهم السابق لعرفنا أنه لا يمكن أن يكون الإنسان من سلالة القردة أو أية كائنات أخرى فإذا كان هناك اختلافٌ جوهري أساسي بين عضو وآخر داخل الجسم الواحد فمن باب أولى أن يكون الاختلاف أكبر وأعظم بين أعضاء هذا الكائن أياً كان وأعضاء الإنسان البشري .

ومع هذا نجد من يعزي أن الإنسان والقردة ينحدران من أصل واحد ولو كان الأمر كذلك لما كان هناك اختلافٌ جوهري بين هذا وذاك ـــ ولكن كيف نشأ الجسم أصلاً ؟

إننا لو تابعنا تلك المسألة ورأيناها عياناً لوقفنا خاشعين خاضعين لله تعالى فقد نشأ الجسم من خليةٍ واحدة هي البويضة الملقحة التي تكونت من اندماج نطفة الرجل وبويضة المرأة ثم اخذت تلك البويضة الملقحة بالانقسام إلى خلايا كثيرة ، ثم بدأت الخلايا تتميز ويفترق بعضها عن بعض ليكون من بعضها عين ومن بعضها أذنٌ ومن بعضها قلبٌ وبعضها دماغ ولتفرز هذه خمائر وتفرز تلك هرمونات وليكون غيرها مركبات تشرف على حفظ الدم .

وهكذا حتى يكتمل بناء الجسم ويستوي أحسن ما يكون الاستواء .

فأى عقل في هذه الخلايا يقودها في هذه الاتجاهات المتباينة ؟

وما الذي يجعل مثلاً خلية تصعد إلى قمة الرأس لتكون شعرة هناك وخلية أخرى تهبط إلى الدرك الأسفل لتكون ظفراً في أصبع القدم ؟

ومن ياترى الخافض الرافع من غير رب العالمين سبحانه وتعالى ؟

ولنا أن نتساءل : هل خلايا العقل في القردة ومختلف الكائنات متشابهة مع خلايا المخ في الإنسان وبنفس الحجم ككل ؟ ولماذا لم تتشابه؟ طالما وأنهما نشأة واحدة كما يدعي أصحاب داروين وتلاميذه ولكن للأسف فقد خاب ظنهم فقد وجد علماء الأنثربولوجيا فرقاً واضحاً في حجم كل منهما بما فيها من خلايا . فكما يقول الأستاذ الدكتور شفيق عبد الملك :ـــ[2]

(١) الأمة القطرية ٤٨ .

(٢) النشوء والارتقاء بين الواقع العملي والتصور العلمي .



http://al-maktabeh.com

«مما يقطع بأنه لا يمكن أن يكون هناك نشوء من نوع لنوع آخر ، إن خلايا الجسم كلها خلايا نوعية خاصة بكل مخلوق فالخلية العصبية لا يمكن أن تتحول أو تتكيف أو تعمل كخلية عضلية وهكذا كل خلية تحتفظ بخصائصها كاملة وصفاتها في نموها وانقسامها منذ نشأتها إلى نهاية حياتها هي لا تتغير قد تنشط وقد تهدأ قد تنمو وقد تضمر ولكنها لن تتغير قيد شعرة لأى اتجاهٍ آخر مثلاً تماماً مثل البذر كل بذر ينبت شجراً كجنسه وثمراً بذره فيه كجنسه » .

وكذلك الأعضاء والأجهزة التي تتكون من الأعضاء هي أيضا كخلايا نوعية في كلياتها تبعاً لخلاياها .

وربما يزيد الأمر وضوحاً أن النسيج الواحد يختلف اختلافاً كبيراً من مخلوقٍ لآخر ، إذ أجريت تجارب ودراسات أثبتت أن النسيج العضلي في الإنسان يختلف عن النسيج العضلي في القردة العليا ، وكذلك في الحيوانات المفترسة من الحيوانات المستأنسة ويمكن التمييز بين الكلية البشرية وكلية أى مخلوقٍ آخر من الحيوانات وتمييز كلية حيوان من الآخر ويطول شرح ذلك في مقامٍ كهذا . فإن كان الأمر كذلك في الخلية والعضو والجهاز من الخصائص الدقيقة المميِّزة لكل مخلوق فبالأولى لا يترك مكان للتطور ولا النشوء لأى مخلوقٍ كان .

وثمة حقيقة أدعى إلى التفكير والتأمل فكل خلية من خلايا البدن تشكل عالماً حياً متكاملاً زاخراً بأعضاء حية متناهية في الصغر لكلٍ منها عملٌ يؤديه بإتقان معجز ودقة لا تدانيها دقة وبين تلك الأعضاء مالا يكاد يرى بأقوى المجاهر الإلكترونية .

فإذا علمنا هذا وعلمنا أن كل هذه الأعضاء موجودة ضمن الخلية التي لا يزيد قطرها عن عدة ميكرونات أدركنا عظمة الخالق عز وجل حين صاغت يده المبدعة الخلية هذه الصياغة المحكمة وهَدَتْ كل عضو فيها إلى مهمته وسلمته الأمانة كونت من هذه الوحدات الخلايا بشراً سوياً .

هنا في عالَم الخلية ونظامها البديع ينجلى الحق ناصفاً وتنكشف السذاجة في تصور الذين أرادوا زرع الشك في قلوب الناس حول حقيقة الخالِق وطبيعة المخلوق حين وضعوا نظرية الاحتمال أو المصادفة وادعوا أنها من العلم . أو الخلق الذاتي التي آمن بها الداروينيون وردُّوا كل شيىء إلى المادة فهي التي صنعته وهي التي أوجدته ولنا أن نتساءل : ــ ثم ماذا ؟ نعم ثم ماذا ؟ وماذا بعد المادة ؟ من الذي أوجدها ؟ أهي التي أوجدت نفسها وفرضت ذاتها على الوجود ... هراء لا يصدقه عاقلٌ ووهم لا يثبت على أرض الواقع لا يؤمن به حكيم أو إنسان رشيد .

وما هي إلا أفكار ضالة وليدة القصور في الفكر والمراهقة في البحث وقلة الحيلة وإن شئت أن تقول عدم القدرة على النظر فيما هو أبعد من المادة ثم يدعون أنها العلم وما هي في الحقيقة من العلم في شيْ ــ وليست هي أكثر من فلسفات قاصرة روجت لها عقول شغفت



http://al-maktabeh.com

بالجدل شغفاً شديداً لتعكس الأمور وتحولها عن حقيقتها الواقعة ـــ فإن التأمل في العالم كله بصفةٍ عامة وتكوين الجنس البشري بصفةٍ خاصة لما يدعو إلى الدهشة حقاً وينفي فكرة المصادفة نفياً قاطعاً ويظهر التقدير الرباني الدقيق الذي يعجز العقل البشري عن تتبع مظاهره في جانبٍ واحدٍ من جوانب هذا الكون الفسيح فما بالنا بالجوانب كلها ؟

والحقيقة أنه كلما تقدم علم البشر خطوات فكشف عن جانبٍ من التناسق المذهل في بناء الإنسان البشري وتكوينه العقلي وأجهزته المختلفة من عصبية وهضمية وبولية وتنفسية ... أخ . اتسع تصور البشر لمعنى الآية الكريمة : ـــ

**« وخَلَقَ كل شيىء فقدَّرَهُ تقديراً[1] »**

فكل شيىء خلقه الله سبحانه قدر نشأته بزمانها ومكانها بكيفيتها وصورتها وهيئتها الخاصة بها وقدر نهايته أو مآله وقدر وظيفته في الحياة واتجاهه فيها ، ومدى تناسقه مع غيره من أفراد هذا الوجود فكل شيءٍ مقدَّرٌ تقديراً معيناً وخلق خلقاً خاصاً ، ثم يجي من يقول بالانحرافات بين الأجناس وتجمع تلك الانحرافات وتوارثها للأجيال القادمة حتى تكون خلقاً منفرداً ومغايراً في تكوينه وصفاته .

**أى عبـث هـذا ؟**

أيكون الأمر كذلك والواقع يشهد أن الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم بعْدُ لا يلعب لعبةً ولا يركب تركيبةً أو يعدل من موضع شيىء كان إلى مكانٍ آخر إلَّا وله وراءها هدف وأن الكبير العاقل لا يأتي حركةً إلَّا وقد فكر وخطط لها من قبل أن يأتيها فما بالك من هذا الخالق البارىء المصور ؟

فالبارىء هو الذي ينشيء شيئاً من عدمٍ ومن لا شيىء بصفات خاصة وهيئة معينة وصدق الله تعالى إذ يقول : ـــ

**« هل أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهْرِ لم يكن شيئاً مذكوراً[2] »**
**« إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً[3] »**

إن العقل يقول لا .
إن الواقع ليشهد لا .

**« ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب[4] » «إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون[5] »**

---

(١) الفرقان (٢)
(٢) الإنسان (١)
(٣) الإنسان (٢)
(٤) المائدة (١٠٣)
(٥) النحل (١٠٥)

http://al-maktabeh.com

ويا لغفلتهم إنك لو نظرت إلى الإنسان وتأملت تركيبه الكيميائي لرأيت أن لكل عنصر في خلايا البدن وأخلاطه حداً لا يكاد يتجاوزه ... السكر ، البروتين ، الدهن ، الماء ، كلها بمقدار وكذلك الصوديوم والبوتاسيوم والحديد ... لكل منها نسبة محدودة فإذا ما حدث اختلالٌ في نِسَب هذه العناصر ولو بمقدارٍ ضئيل وقع في المرض فإذا تَفاقَم الاختلال كان العجز ... ثم الموت .

وقد اقتضت حكمة البارىء عز وجل أن يزود الجسم البشري بوسائل حيوية تعمل على الانسجام التام ، وفق منهاج محدد يحفظ هذا التوازن طوال الحياة مما يوحي بأن ذاتاً مدبرة حكيمةً رحيمة ترعى هذا الوجود وما فيه من خلقٍ كثيرٍ وأن هذا الأنسجام والتكامل بين أفراد الكون وعناصره تعبيرٌ عن وحدانية تلك الذات وهذا الذي أكدته الآية الكريمة :-

**« لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا فسبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ عما يصفُون[1] »**

ولعل هذا ما يجعلنا بل يدفعنا دفعاً إلى السخرية والضحك كثيراً من أقوال بعض الفلاسفة الغربيين الذين اتسمت أقوالهم بالسذاجة وياالها من سذاجة وخاصة عندما قال أحدهم وهو ألماني هيجل « أعطني ماءً وهواءً وتراباً ووقتاً وأنا أصنع لك إنساناً » .

هنا سوف تحس عزيزي القارىء أنه منذ ذلك الحين عرفت الفلسفة طريقها إلى الضلال والزيف والانحراف نعم ... تلك النوعية من الفلسفة المجردة من الواقع والحق التي جعلت من الإنسان أضحوكة أمام ميزان العلم ... وعرفت كذلك كيف يتوارى الباطل خلف عبارات تبدو في ثوب الوقار والحكمة وما هي في الواقع غير كلمات جوفاء تقعقع كالطبول وتنتفش كالزبد .

نعم ... هنا عرفت الفلسفة بل أيقنت أنه لو عرف ذلك الفليسوف قدر نفسه وحقيقة خلق الإنسان كما حاول أن يدرى لكان أكثر تواضعاً وأشد خضوعاً لله عز وجل ولو أنه أراد الحق فعلاً لرآه وصدق الحق تعالى إذ يقول : ــ

**« فإنها لا تَعْمَى الأبصارُ ولكن تَعْمَى القلوبُ التي في الصدورِ[2] »**

## ٤ ــ المعضونات دليل قاطع على استحالة النشوء : ــ

إن حقيقة المعضونات[3] أو التوجيه الذاتي كالإنشاء الخاص بكل عضوٍ دليل قاطعٌ على استحالة النشوء فهذه الحقيقة تقطع بأن كل مخلوق يتكون بعمل المعضونات أو ما يسمى بوساطة التوجيه الذاتي وقد وفق الباحثون لمعرفة مادة خاصة تُولد في أدوار التكوين الأولى ما

---

(١) الأنبياء (٢٢)

(٢) الحج (٤٦)

(٣) المعضوضات اصطلاح اطلقه اسبيمان على مجموعة معينة من خلايا الجنين .



http://al-maktabeh.com

يعرف بالقرص الجنيني عند تكوين غلاف الطبقات البدائية . تنشأ عقدة تسمى العقدة الأولية و تتكون بها مادة عجيبة تنتشر في الكتلة الجنينية وتسمى بالمعضونات أو مواد التوجيه الذاتي .

ينتقل كل جزء منها إلى جزء معين في كتلة الجنين لتوجيه خلاياه فبعضها خاصٌ بتوجيه خلايا لتكوين الرأس والآخر لتكوين الطرف العلوي وثالث بالجسم لتكوين الصدر والبطن ، ورابع لتكوين الطرف السفلى ، وهكذا كل إلى جزئه بالجسم ، لتوجيه خلايا الجنين المتماثلة نوعاً وشكلاً وتركيباً إلى أجزاء مختلفة بالجسم خاصة بكل جزء في نوعه وفي وقته منظماً ومتنسق عجيباً وحكيماً في الجسم لاكتمال أجزاء الجنين المختلفة المتباينة مكوناً جسماً كامل الأجزاء منسجماً تمام الانسجام بترتيب بديع وتعقيب محكم وموفق[1] .

وبعد انتشار هذه المعضونات كلٌ إلى جزئه الخاص يحافظ كل جزءٍ ويتمسك بنوعيته وخواصه حتى إذا بتر طرفٌ من جنين حيوان في دور ميكر نشأ طرف آخر متماثل تماماً للطرف المبتور .

وهكذا يحتفظ كل جزء بخواصه تبعاًللمعضونات التي وجهته أولا .

ونخلص من كل هذا إلى استحالة النشوء ويتأكد لنا تكوين كل عضو على حدة وبالتالي ينهدم كل دليل تطوري أو ... دارويني .

ولكن ما العلاقة بين نظرية التطور وعلم الحفريات وإلى أى مدى تمَكَّن العلماء من الاستفادة من هذا العلم وتطويعه لخدمة تلك النظرية .

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل القادم إن شاء الله .

(١) الدكتور / شفيق عبد الملك المرجع السابق



http://al-maktabeh.com

## رابعاً : نظرية داروين والحفريات

اعتمدت نظرية داروين على الحفريات لكن الاكتشافات العلمية الحديثة المتطورة والأجهزة العلمية الدقيقة والتي لم تكن متوفرة في عصر داروين قد كشفت عكس ما ذهب إليه فقد قام الدكتور ليكي مدير المتحف الوطني في كينيا وأحد أقطاب الأنثروبولوجيا بأبحاث في هذا المجال دامت حوالي ٢٨ سنة ، وانتهت عام ١٩٦٤ م . وقد اكتشف خلالها نموذجين من الجماجم وقيس عمرها بأجهزة الإشعاع الذري فبلغ عمرها مليونين وستمائة ألف سنة ، وحجم مخهما ضعف حجم مخ القرد ، واستنتج من ذلك أن الإنسان الحديث أقرب انتماءً لهذه السلالة من القرد[1] ولقد نشرت صحف العالَم ذلك في أوائل نوفمبر عام ١٩٧٢ م نقلاً عن وكالات الأنباء العالمية في واشنطون ويومها قال ذلك العالِم الجليل بالحرف الواحد : ـــ

إن هذا الأثر يمكن أن يقلب ما قيل عن نظرياتٍ بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ .

هذا ، وقد تمكَّن أيضاً بعض العلماء في هذا المجال من اكتشاف عظام جمجمة وساق بشرية ترجع إلى هذه الحقبة نفسها من التاريخ في جبل حجري في صحراء تقع شرقي بحيرة رودلف في دولة كينيا .

لقد حرص الداروينيون على الاستشهاد بالحفريات كدليل من أدلتهم على حدوث التطور في الكائنات الحية منذ أزمان بعيدة وبعون الله تعالى سوف نفند تلك الدعاوي ونرد على فساد استدلالهم وسوف يتضح لنا بجلاء كيف أنه قد فاتهم الكثير والكثير من الملحوظات الهامة وأن ما حصلوا عليه من حفرياتٍ قد أعطتهم في بادىء الأمر أملاً يعضد وجهة نظرهم ويرفع شأنها ثم ما لبث أن تلاشى هذا الأمل وضاع هباءً وبدلاً من أن يكون أداةً فعّالةً لهم انقلب دليلاً عليهم وأضحتْ أمانيهم سراباً في صحراء وأمستْ نتائجهم زيفاً في حقيقة وضرباً من ضروب الخيال الذي لا يستند على واقع علمي مادي ملموس ولكن قبل أن نتعرض لذلك نود أن نعطي فكرة واضحة عن ماهية هذا العلم .

فما هي هذه الحفرية ؟ وكيف تتواجد ؟ وما هي أنواعها ؟ وما مدى صحة تلك العصور الجيولوجية في الاستدلال بها ؟ وما هو القول الحق والفصل فيما توصل إليه من اكتشافات حفرية في جبال كينيا وغيرها ؟

---

(١) الأمة القطرية العدد الثامن والأربعون



http://al-maktabeh.com

## أ ــ ماهية علم الحفريات : ــ

هذا العلم هو أحد العلوم الهامة في علم الجيولوجيا ، بل أحد الأقسام الهامة والتي بنى على أساسها الكثير من التفسيرات والشروحات الكبيرة لكثير من المناطق في الكون وتقدير عمرها ، ويبحث هذا العلم-علم الحفريات في بقايا الكائنات الحية التي كانت تعيش على كوكب الأرض منذ أزمان سحيقة بعد أن اندثرت الأجزاء الرخوة منها وتحللت وبقيت تلك الأجزاء أو هذه البقايا لتلك الكائنات لتعرف باسم الحفريات ومفردها حفرية .

### ١ ــ تعريف الحفرية : ــ

مما سبق يتضح لنا أن الحفرية هي أى أثر مادي يدل على وجود الكائنات الحيوانية أو النباتية على سطح هذا الكوكب في الأزمان الغابرة حيث يعطى ذلك الأثر الباقي فكرة واضحة عن تركيب هذه الكائنات الحية في أى صورة من الصور .

وبمعني علمي أدق وأوضح يمكننا القول بأن الحفرية هي ما دفن من بقايا الكائنات الحية أو ما ترك من آثارها ، ضمن الرواسب التي تكون الصخور الرسوبية من القشرة الأرضية .

ولكن يلزمنا أن نعرف كيف تتواجد الحفرية وهل يلزم لدفنها توافر بعض الشروط وإذا لم تتوافر تلك الشروط هل بالإمكان أن تتواجد أم لا تنطبق عليها أوصاف الحفرية .

### ٢ ــ كيف تتواجد الحفرية : ــ

في الحقيقة أنه لكى يتحول أى نبات أو حيوان إلى حفرية يلزم توافر بعض الشروط والظروف الخاصة التي بدونها لا يمكننا أن نطلق عليها هذا المصطلح أو ذاك التعريف . ومن أهم هذه الشروط الواجب توافرها .

**أولاً : دفن الكائن الحي بعد موته مباشرة ، وذلك للأسباب التالية : ــ**

١ ــ لكي يعزل بقايا ذلك الكائن الحي عن فعل الأكسجين الجوي فلا يحدث له تحلل أو تأكسد .

٢ ــ لتجنب حدوث تعفن لبقايا ذلك الكائن بفعل البكتريا .

٣ ــ لو بقيت تلك الآثار أو البقايا نباتية كانت أو حيوانية على ظهر الأرض لكانت عرضة لالتهامها من الحيوانات الأخرى وكان ذلك سبباً لاندثارها وفرصة لضياعها .

وأصلح البيئات لتكوين الحفرية هي بيئات الترسيب سواء كان ذلك الترسيب مائياً أو أرضياً في بيئة مائية أو يابسة .

http://al-maktabeh.com

**ثانياً : يجب أن يكون للكائن الحي هيكلٌ من نوع قوي : ــ**

هيكل صلب فالحيوانات اللافقارية لها هيكلٌ خارجي في صور متعددة والحيوانات الفقارية لها عمود فقاري صلب مكون من فقرات متتالية والنباتات لها هيكل سيليلوزي في صور مختلفة كالخشب والقلف واللحاء .

وتبدو أهمية تلك الهياكل في تكوين الحفريات إذا علمنا أنه ان لم تترك الحيوانات الرخوة مثلاً طابعها أو أثرها على صخر رخو تحللت ــ ولم تترك أثراً يدل عليها .

**٣ ــ أنواع الحفريات : ــ**

بعد تلك النبذة السابقة عن ماهية الحفريات وظروف تواجدها نود أن نعطي فكرة عامة عن أقسام تلك الحفريات أو أنواعها فمن الممكن أن تنتمي إلى ثلاث أقسام كالتالي : ــ

**١ ــ الحفريات الحية : ــ**

وهي كائناتٌ حية لم يحدث لها أى تحور تطوري في خلال تلك الأزمان الجيولوجية السحيقة أى أنها كائنات لم تختلف في التركيب أو الشكل عن أسلافها التي عاشت في العصور والأزمنة البعيدة .

ومن أمثلة تلك الكائنات اللينولا ، والأسماك الرئوية .

**٢ ــ الحفريات الدالة : ــ**

وهي آثار وجود الكائنات الحية التي عاشت عصوراً جيولوجية صغيرة نسبياً ، وانتشرت في أنحاء هذا الكوكب انتشاراً كبيراً وتستخدم تلك الحفريات في مضاهاة ، ومقارنة الصخور في طبقاتها لتقدير أعمارها وأعمار الرواسب التي تحتويها ... ومن هنا تبرز أهمية ذلك النوع من الحفريات وخاصة الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه .

**٣ ــ الحفريات البيئية : ــ**

وهي تستعمل في الدلالة على الأحوال البيئية التي كانت تميز العصر الذي عاشت فيه تلك الكائنات الحية والتي تحولت فيما بعد إلى حفريات ومنها على سبيل المثال حفريات مصاب البحيرات والأنهار وحفريات الماء المالح ... وحفريات الماء الحلو . والأرض اليابسة .

إن الارتباط الوثيق بين هذه الحفريات بأنواعها المختلفة وأقسامها المتباينة وبين العصور الجيولوجية بأزمانها البعيدة يدفعنا دفعاً للتعرض لمسألة الأحقاب والعصور الجيولوجية لأننا بمشيئة الله تعالى سوف نتعرض لتلك المسألة ( الحفريات ) واستخدامها في تجارب العمر النسبي للطبقات بالنقد لأن لنا رأياً خاصاً فيها .

إن الحفريات في نظر علماء الجيولوجيا تعتبر من أقوى الأدلة المادية على حدوث التطور ،

http://al-maktabeh.com

ولا أدري كيف يكون ذلك ؟ وهم يعلمون علم يقين وراسخ أن حفريات بعض الكائنات الحية مازالت تعاني من القلة والنقص فهم بذلك إنما يغالطون أنفسهم أو يحاولون إقناع العقل بأدلة ليس لها نصيبٌ من الواقع ويرى الكثيرون من الباحثين في علم الحفريات أن ذلك النقص أو تلك القلة مما يعوق أبحاثهم في ذلك المجال ويعلنون ذلك مراراً وتكراراً .

إن هذا هو ما تحدث عنه داروين نفسه عندما تعرض للحفريات ودراستها واتخاذها كأدلة على حدوث التطور حيث قال : ــ

إن السجل الجيولوجي أشبه ما يكون بكتاب فُقِدَ بعض صفحاته ، ولم يبق منه سوى صفحات قليلة متناثرة ، وفي تلك الصفحات الباقية لم يبقَ إلا كلمات قليلة في كل صفحة .

**ب ــ الأزمنة والعصور الجيولوجية : ــ**

سوف نوجز بإذن الله تعالى فيما يلي الحقب والعصور الجيولوجية ثم نعلق على ذلك فيما بعد حتى تتضح الصورة كاملة للعيان .

**١ ــ حقب ما قبل الكمبرى ــ وتنقسم إلى :ــ**

**ما قبل الكمبرى الرابع ... ويقدر عمره بما يزيد على ٣٠٠٠ مليون سنة .**

**ما قبل الكمبرى الثالث ... ويقدر عمره من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ مليون سنة .**

**ما قبل الكمبرى الثاني ... ويقدر عمره من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ مليون سنة .**

**ما قبل الكمبرى الأول ويقدر عمره من ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ مليون سنة .**

ويعتقد علماء الجيولوجيا بأنه عندما بدأ هذا الحقب لم تكن الأرض إلا كتلة نارية ملتهبة .. وبالقرب من نهايته برد سطحها وابتدأت تنشق فيه البحار والمحيطات كما كانت تنتابه ثورات البراكين من آنٍ لآخر .

ويمتاز حقب ما قبل الكمبرى بهطول الأمطار الغزيرة وحدوث الزلازل العنيفة والتغير المتطرف في الطقس .

ولنا تحفظٌ على ما سبق من حيث تصور العلماء حول وضع الأرض في بداية تكوينها ، فهذا بطبيعة الحال يدخل في باب التخيل والتصور ولا يقوم عليه دليل حقيقي واحد يمكن أن يعتمد عليه وصَدَقَ الحق سبحانه إذ يقول : ــ

**« ما أشهدتُّهم خَلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ أنفسِهِم وما كنتُ متخذ المُضِلِّين عَضُداً[1] »**

---

(١) الكهف (٥١)

http://al-maktabeh.com

**٢ ــ حقب الباليوزوي ــ ينقسم هذا الحقب إلى ستة عصور وهي كالتالي : ــ**

**أولاً : العصر الكمبري : ــ**

سمى بذلك نسبةً إلى جبال كمبريا بويلز في انجلترا ويعتقد العلماء أنه قد استغرق مائة مليون عام ، حيث أنه في الفترة من ٥٢٠ إلى ٤٢٠ مليون سنة ونصف ومن أهم الكائنات المميزة هي : ــ المسرجانيات والإسفنج وقناديل البحر والمحاريات ، ولكن أهم الحيوانات البحرية التي تميز بها عصر الكمبرى الترايلوبيت ، والجرابتوليت .

**ثانياً : العصر الأردوفيشي : ــ**

سمى بالأراوفيش نسبةً إلى الإسم اللاتيني لجماعةٍ قديمة جداً من شعب ويلز بانجلترا وقد استمر سبعين مليون عام تقريباً حيث امتد في الفترة مابين ٤٣٠ إلى ٣٦٠ مليون سنة مضت ويمتاز هذا العصر بظهور الأسماك المدرعة عديمة الفكوك كيروليبس ، وكذلك بازدهار المرجان والحيوانات البحرية والإسفنج .

**ثالثاً : العصر السيلوري : ــ**

ينسب هذا العصر إلى الإسم اللاتيني بقبيلة السيلون البركانية التي كانت تعيش بالقرب من مقاطعة مورجان بالقرب من ويلز ويمتاز مناخ هذا العصر بالدفء والاعتدال ... ويبلغ مدة العصر السيلوري ثلاثين مليون سنة ، حيث امتد في الفترة من ٣٦٠ إلى ٣٢٠ مليون سنة قضت .

ولقد ظهرت في خلال هذا العصر النباتات البرية ، والعقارب كذلك امتاز هذا العصر بتطور بعض أنواع القشريات وانتشار النباتات على وجه الأرض .

**رابعا : العصر الديڤوني : ــ**

سمى هذا العصر بالدڤوني : نسبةً إلى مقاطعة ديڤون شير بجنوب غرب انجلترا ويتميز العصر الديفوني بمميزات خاصة مثل الحركات الأرضية العنيفة التي ابتدأت في أواخر العصر السابق له ويقدر مدته كما يرى علماء الجيولوجيا بخمسين مليون سنة ... حيث استمرت في الفترة ما بين ٣٣٠ إلى ٢٨٠ مليون سنة مضت .

ويمتاز العصر الديفوني بظهور البرمائيات لأول مرة على وجه الأرض .

**خامساً : العصر الكربوني : ــ**

ترجع تسمية هذا العصر بهذا الإسم إلى تكون رواسب الفحم الحجري المشهورة في ذلك العصر يبلغ مقداره كما يقدره العلماء إلى ٦ مليون عام حيث امتد من ٢٨٠ إلى ٢٢٠ مليون سنة مضت .

http://al-maktabeh.com

**وينقسم العصر الكربوني إلى قسمين : ــ**

الزمن الكربوني السفلي : من ٢٨٠ إلى ٢٦٠ مليون عام مضى
الزمن الكربوني العلوي : من ٢٦٠ إلى ٢٢٠ مليون عام مضى

ومن أوضح الظواهر في هذا العصر هي النمو الهائل لغابات الأشجار البدائية الضخمة التي كونت أصل رواسب الفحم المشهورة ، التي تُستغل الآن في بقاع كثيرة من العالم ، ومنها فحم المغارة بشبه جزيرة سيناء في مصر .

ويؤكد العلماء على أن تلك الغابات الفحمية لم تتكون من أشجار حقيقية كالتي نراها الآن لأن تلك الأشجار تعد من أرقى النباتات تطوراً ، ولم تكن قد ظهرت بعد في ذلك العصر ... بذلك يعتقدون بأن غابات الفحم تكونت من السرخيات والنباتات الأولية والطحالب ، التي وصل ارتفاع بعضها ما ينيف على المائة قدم ، والصنوبريات الكبيرة ونبات ذيل الحصان الضخم وهو سلف نبات ذيل الحصان المعهود لنا[1] .

وفي هذا العصر ظهرت الحشرات والنباتات البرية والزواحف الأولى .

**سادساً : العصر البرمي : ــ**

تأتي تسمية هذا العصر نسبةً إلى مقاطعة برم الروسية حيث أن صخور ذلك العصر منتشرة في ذلك الإقليم الروسي ويبلغ طوله عشرين مليون عام ، حيث أنه امتد في الفترة من ٢٢٠ إلى ٢٠٠ مليون عام مضى ، وقد تميز بالعصر الجليدي الأول الذي شهدته الحياة على كوكبنا هذا ... كذلك تميز بالحركات الأرضية العنيفة وقد انقرضت في خلاله معظم صور الحياة التي كانت تميز حقب الحياة القديمة .

ويرى علماء البيولوجيا والجيولوجيا بعض الظواهر الهامة في ذلك العصر والتي اعتبروها مميزة له وهي : ــ

أولاً : تطور الحشرات حتى وصلت إلى شكلها الحالي كما أنها أصبحت منتشرة في جميع بقاع الأرض .

ثانياً : تطور الزواحف الأولى حتى وصلت إلى شكل الزواحف الشبيهة بالثدييات .

ثالثاً : ارتفاع الجبال وظهور الصحارى .

رابعاً : اختلاف المناخ في ذلك العصر وتباينه .

خامساً : انقراض حيوانات الترايلوبيت واختفاؤها تماماً من البحار

---

(١) نظرية التطور بين العلم والدين .

http://al-maktabeh.com

**٣ ــ الحقب الميزوزوي : ــ**

ينقسم هذا الحقب إلى ثلاثة عصور أساسية وهي كالتالي : ــ

**أولاً : العصر الترياسي :**

لقد وضع الجيولوجيون الألمان هذا الاسم أو تلك التسمية نسبةً إلى التقسيم الثلاثي للصخور الذي كان متبعاً في ألمانيا ، ويقدر هذا العصر بثلاثين مليون عام ، حيث يعتقد أنه قد امتد في الفترة ما بين ٢٠٠ إلى ــ ١٧٠ مليون عام مضى .

ويتميز العصر الترياسي بظهور الرخويات كالقواقع والمحاريات كما بدأت تظهر فيه رتبة الامونيات .

كذلك انتشرت الزواحف في هذا العصر وابتدأت تظهر فيه الثدييات ومن حيث الحياة النباتية فقد انتشرت غابات المخروطيات والصنوبريات ، والسرخسيات ، ولنا تعليقٌ على ذلك وسوف يجيء في حينه .

أما أهم المعالم الجيولوجية والأوقيانوسية في العصر الترياسي ، فيمكننا تلخيصها فيما يلي : ــ

١ ــ اختفاء ثورات البراكين والزلازل العنيفة وبذلك كان العصر الترياسي أهدأ العصور جيولوجياً من العصر السيلوري .

٢ ــ تعرضت الجبال لعوامل التعرية والتآكل والنحات أو النحت ، بذلك سويت معظم أسطح القارات .

٣ ــ كانت صخور ذلك العصر تتميز باللون الأحمر لذلك سمي هذا العصر بعصر الحجر الرملي الأحمر الجديد .

٤ ــ توقف تكوين الفحم الحجري .

٥ ــ جفاف معظم الأراضي وتكوين الصحارى .

٦ ــ اختفاء معظم الثلاجات كذلك كانت البحار دافئة وغمرت البحار الضحلة أغلب منخفضات اليابسة وانتشرت المستنقعات في معظم الأراضي .

وأهم الظواهر الميتورولوجية لذلك العصر هو التغير التدريجي للمناخ القاسي إلى مناخ معتدل يميل إلى الدفء نوعاً ما .

**ثانياً : العصر الجوراسي : ــ**

ترجع تسمية ذلك العصر إلى جبال جورا التي تفصل بين الحدود الشرقية لفرنسا والحدود الغربية في سويسرا حيث تنتشر هناك رواسب ممثلة لذلك العصر مقداره ٢٥ مليون عام حيث


http://al-maktabeh.com

استمر في الفترة ما بين ١٧٠ مليون عام ، ١٤٥ مليون سنة مضت .

وفى العصر الجوراسي سيطرت الديناصورات على الحياة بجميع صورها وأشكالها وبيئتها .

والديناصور حيوانٌ ضخمٌ يتبع فصيلة الزواحف ويخص الديناصورات الضخمة الحجم رتبتان فقط من الستة عشر رتبة التي تحتويها الفصيلة .... ورتبتا الديناصور ، هما : ــ

رتبــة السوريسكيا
رتبــة الأورنيشاكيا .

وديناصورات الرتبة الأولى من آكلات اللحوم ومنها عدة أنواع مثل :
البرونتوزوراس والديبلودوكاس .

أما الرتبة الثانية فتضم ديناصورات آكلة الأعشاب مثل اليشيوزوراس .

البرونتوسرر Brontosaure احد الزواحف الضخمة المنقرضة يبلغ طوله ١٨ مترا ووزنه ٢٠ طنا .

ومما هو جديرٌ بالذكر أنه ظهرت في أوائل هذا العصر الزواحف الطائرة التي تشبه الخفافيش الجبارة المسماة بالتنين الطائر ظهرتْ أيضاً في أوائله ( أى هذا العصر ) الأسلاف الأولى للطيور . وحاول الكثيرون من العلماء استخدام تلك الزواحف والاستدلال بها كحلقة ربط بين الزواحف والطيور .

ولقد تعرضنا لتلك المسألة بالنقد والتمحيص وبينا خطأ هذا الفهم في الفصل الثاني من هذا الباب .

http://al-maktabeh.com

**ثالثاً : العصر الطباشيري : ـــ**

تأتي تسمية هذا العصر من كلمة كريتا باللاتينية تعنى الطباشير ، حيث سمى ذلك نسبةً إلى كميات الصخور الطباشيرية البيضاء الكثيفة التي ترسبت أثناء هذا العصر .

ومقدار العصر الطباشيري سبعين مليون عام حيث يعتقد أنه امتد في الفترة من ١٤٥ مليون سنة مضت إلى ٧٥ مليون عام انقضى .

تميز هذا العصر بسيطرة الديناصورات الأرضية على جميع معالم الحياة فيها وبلغ أحجام بعضها حجماً خيالياً ، كما وصل طول البعض منها إلى ثلاثين متراً . وبعد ذلك العصر الجنة الحقيقية للزواحف .

وبنهاية هذا العصر انقرضت هذه الديناصورات وأبيدت عن آخرها ولم يستطع العلماء حتى تلك اللحظة كشف النقاب عن سبب الانقراض المفاجيء لتلك الكائنات الضخمة في نهاية العصر الطباشيري فهناك مِنْ أساتذة الجيولوجيا من يُرْجح سبب إنقراض الديناصورات إلى رقة جدار بيضها فبملاحظة البيض الذي عثر عليه وجد أنه كلما رقت قشرة البيضة كلما أدى ذلك إلى انكسارها وبالتالي إلى انعدام الجيل وهكذا لا يمكنها مواصلة الحياة لأن تلك القشرة إنما تمثل وقاية الجنين ومن أصحاب هذا الرأى الأستاذ الدكتور / محمد الأمين بسيوني أستاذ الحفريات والطبقات بجامعة عين شمس وقد لوحظ أن الطبقات الأحدث تحتوي على بيض رقيق القشرة بينما تحتوي الطبقات الأقدم على بيض سميك القشرة إلى حدٍ ما من النوع السابق وهذا إن يدل على شيىء فإنما يدل على الانقراض التدريجي لتلك النوعية من الكائنات الهائلة الحجم وليس مفاجئاً في حقيقته وذلك لأنه كان تدريجياً منذ أن تدرج البيض في حجمه وسمك جداره .

إن بإمكاننا عزيزي القارىء أن نأخذ من ذلك دليلاً على عدم صحة قانون التطور لأن الديناصورات انقرضت أو اندثرت ولم تتحول في الحقيقة إلى كائنٍ أكثر رقياً كما يدعون حتى تكتمل إحدى حلقات سلسلة الرقي أو التطور ألم يدعوا بأن الكائنات الحية لا تندثر مرة واحدة بل تتحول إلى الصنف الأعلى مرتبة والأكثر رقياً لمواءمة ظروف الحياة البيئية الجديدة ... فأين هذا الكلام في تتبع حياة الديناصورات .

وهناك في الحقيقة من يرى أن سبب انقراض الديناصورات إنما كان لانقطاع السلسلة الغذائية وعدم وجود الطعام أو النبات المناسب الذي اعتادته تلك الكائنات العملاقة وذلك نتيجة تغير الأحوال البيئية في الوسط الجديد فماتت وانقرضت ولكن الحقيقة أن ذلك لايعدو إلا أن يكون فرضاً ليس إلا ...

في مقال بعنوان « اختفى الديناصور أثر هجوم صاعق للتيازك والسهيث » . للأستاذ / عدنان عضيمة كتب يقول : ـــ

http://al-maktabeh.com

« لعل من أهم الأحداث في تاريخ الحياة على سطح كوكبنا هي ظاهرة الانقراض المفاجيء لأنواع عديدة من الزواحف واللافقاريات البحرية والنباتات الأولية في أواخر الحقبة . الوسطى أو ما يدعى بحقبة الميزوزوي منذ ٦٣ مليون سنة وبالتحديد في العصر الطباشيري .

وبالرغم من تعدد النظريات التي وضعت لتفسير هذه الظاهرة إلا أن الدراسات الحديثة التي قام بها الجيولوجيون في السنتين الأخريتين أثبتت عدم مطابقة تلك النظريات للحقيقة . ووضعت نظرية حديثة نفترض أن أختفاء هذه الأحياء يعود إلى الكوارث التي حدثت على سطح الأرض خلال ذلك العصر .

والاعتقاد بحدوث الكوارث خلال التاريخ الجيولوجي للآدميين ليس جديداً إلا أنه كان يفتقر إلى الإثباتات والشواهد المؤدية ففي بداية القرن التاسع عشر الميلادي عندما كان علم الجيولوجيا في بداية عهده وَضَعَ عالم التشريح الفرنسي جورج كوفيه نظرية مفادها أن تاريخ الأرض تميز بحدوث سلسلة في الثورات أو « الكوارث » وكان من نتائج هذه الثورات اختفاء الماموث في نهاية العصر الجليدي وكذلك اختفاء الكثير من الحيوانات الثديية الأولية التي حفظت الصخور هياكلها على هيئة أحافير كما أدت تلك الثورات إلى اختفاء الزواحف الضخمة كالديناصورات التي حفظت آثارها في طبقات الطباشير .

**سلسلة الانقراض : ــ**

ويبدو أن كارثة الانقراض قد أصابت الزواحف بدرجة أساسية ، إذ في نهاية العصر الطباشيري كانت تعيش ١٥ عائلة من الديناصورات تتوزع في حوالي سبعين صفاً منفصلاً استوطنت شمال أمريكا . ولكن وجد أن الصخور التي ترسبت بعد العصر الطباشيري لم تكن تحتوي على أى أثر لهياكل الديناصورات ولم تذهب الديناصورات وحدها ضحية الانقراض ، بل شمل أنواعاً أخرى من الأحياء .

فمن بين ٣٣ عائلة من الزواحف التي استوطنت شمال أمريكا انقرضت أربع عائلات كاملة من السلاحف البحرية بالرغم من أن ثلاثاً من هذه العائلات المنقرضة تابعت حياتها في أماكن أخرى على سطح الأرض ، وسجل انقراض عائلة واحدة من أصل العائلات الثلاثة المعروفة في التمساحيات وهي عائلة غوينوفوليداى وكذلك انقرضت عائلتان من عائلات بيتروسور أو الزواحف الطائرة كما انقرضت عائلتان من أصل ثماني عائلات من السحالي .

وبقى السؤال الذي حير الجيولوجيين ما هو سبب الانقراض ؟

وهل كان تدريجياً أم حدث بشكل مفاجيء ؟

لقد تعددت نظريات الجيولوجيين في محاولة تفسير هذه الظاهرة فمنهم من افترض أن السبب يعود إلى أنقطاع السلسلة الغذائية في البر والبحر وكذلك إلى التغيرات البيئية الهامة

http://al-maktabeh.com

التي حدثت في نهاية حقبة الميزوزوي كانحسار البحار ، والارتفاع الكبير في درجة الحرارة الذي أعقبه انخفاضٌ كبيرٌ بها بسبب امتلاء جو الأرض بالغبار البركاني ولم تكن أيٌّ من هذه النظريات كافية لتفسير ظاهرة الانقراض المفاجيء للأحياء .

**طبقة الطين التي حيرت الجميع : ــ**

في سنة ١٩٧٩ جذبت ظاهرةٌ هامة انتباه الجيولوجيين وأدت إلى صياغة مختلفة تماماً في النظريات السابقة لتفسير سبب الانقراض .

لقد تم اكتشاف طبقة من الطين تحتوي على نسبةٍ كبيرة من معدن الإيريديوم الثقيل في منطقة غوبيو في جبال الإبينين بإيطاليا ولا يتجاوز سُمْك هذه الطبقة سنتيمترين وهي تفصل بين طبقتين من الحجر الكلسي البحري .

الطبقة السفلى من الحجر الكلسي ترسبت في العصر الطباشيري ووجدت فيها أحافير الأحياء التي عاشت في ذلك العصر ولم توجد أية أحافير مماثلة في طبقة الطين التي تعلوها ، أما الطبقة الكلسية العليا فلوحظ فيها غياب أحافير لأحياء مختلفة ميزت الحياة في عصر الباليوسين الأحدث . إذن تعتبر فترة ترسب الطين انقطاعاً مفاجئاً لسلسلة الحياة التي كانت سائدة في العصر الطباشيري .

والظاهرة التي أثارت حيرة الجيولوجيين هي وجود معدن الإيريديوم بنسبةٍ كبيرة في طبقة

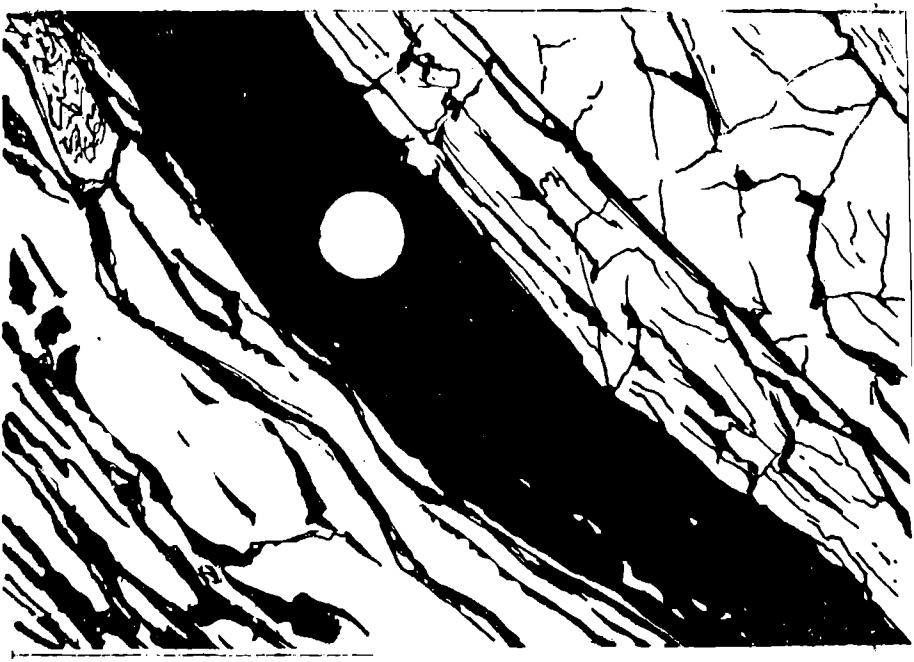

طبقة الطـــين

http://al-maktabeh.com

الطين لأنه من المعروف أن هذا المعدن نادراً ما يتواجد في صخور القشرة الأرضية ، ولكنه معدنٌ سائدٌ في النيازك والشهب التي تنفصل عن النجوم أثناء ثوراتها وبينت التحاليل التي قام بها الجيولوجيون أن نسبة الإيريديوم في هذه الطبقة أكبر بثلاثين مرة من نسبة وجوده في طبقات الطين المماثلة والموجودة في مناطق متباعدة من سطح الأرض .

هنا تساءل العلماء : هل يعني ذلك أن الأرض تعرضت لهجوم واسع النطاق قامت به النيازك والشهب نتيجة لانفجارات نجمية غير عادية حدثت في ذلك العصر .

في سبيل الإجابة عن السؤال ركز الجيولوجيون جهودهم على دراسة طبقة غوبيو وتأكدوا من أن نسبة وجود الإيريديوم فيها تماثل نسبة وجوده في النيازك والشهب .

وفي سنة ١٩٨٠ تم اكتشاف طبقات أخرى من الطين شبيهة بطبقة غوبيو ويرجع زمن ترسيبها إلى أواخر العصر الطباشيري في الدانيمارك وأسبانيا ونيوزيلندة وفي العينات الصخرية المستخرجة من قاعي المحيطين الأطلس والهادي ، وتضمن تقريرٌ لمجموعة الجيولوجيين التي قامت بهذه الاكتشافات نظريةٍ تفترض أنه من خلال الفترة الزمنية التي تم أثناءها انقراض الأحياء البحرية الصغيرة والذي رافقه انقراض الكثير من الزواحف الأحياء الأخرى .

حدث ترسبٌ لكمياتٍ هائلة من الرواسب غير الأرضية وبشكلٍ مفاجيء وتساءل العلماء عن مصدر هذه المواد المترسبة . هل أتت من داخل النظام الشمسي ؟؟ أم من خارجه ؟

وما هي الالية التي نقلتها إلى سطح الأرض ؟

واستلزمت الإجابة عن هذه الأسئلة مزيداً من تفكير وتأمل العلماء الذين فسروا طريقة وصول الرواسب إلى الأرض بعد انفصالها عن النجوم إثر الانفجارات النجمية العنيفة التي حدثت على سطحها في نهاية العصر الطباشيري وتسببت هذه الانفجارات في اندفاع دفعات هائلة من أشعة جاما التي استطاعتْ أن تجرف معها الدقائق النيزكية من الفضاء لترسبها على سطح الأرض .

لقد استنتج بعض الجيولوجيين أن هذه الانفجارات حدثت على بعد ١٠٠٠ سنة ضوئية عن المجموعة الشمسية وأن المذنبات الضخمة التي انفصلت نتيجة الانفجار تناثرت عند اقترابها من سطح الأرض بفعل القوة الجاذبة وأمطرت الأرض بحطامها دون أن تترك على سطحها ندوباً أو فوهات .

ويقول الجيولوجيون إن اصطدام مذنبٍ كبيرٍ واحدٍ في مثل تلك التي اندفعت نحو الأرض في أواخر العصر الطباشيري يمكن أن ينشر على سطحها موجات بإمكانها أن تقضي على كل الحيوانات والنباتات الضخمة التي تستوطن الأرض ، وإذا ما سقط مثل هذا المذنب في المحيط فبإمكانه أن يسبب مداً يرفع من مستوى أسطح البحار بحوالي ثمانية كيلو مترات ، وهذا

http://al-maktabeh.com

الاصطدام لم يتسبب فقط في انقراض الأحياء الكبيرة بل تسبب أيضاً في امتلاء جو الأرض بدقائق الغبار مما أدى إلى نقص كبير في شفافية الغلاف الجوي الأرضي ومنع أشعة الشمس من الوصول إلى سطح الأرض بالشكل الذي تحتاجه النباتات في عملية التمثيل الضوئي مما أدى إلى انقراض الكثير منها .

ولم تَنْجُ من الانقراض حتى الحيوانات البحرية الدقيقة كالرخويات وخاصة منها الرأسقدميات ، وعائلات الحيوانات البحرية التي كُتِبَ لها أن تنجو من الانقراض فقدتْ الكثير من أنواعها .

وبشكلٍ عام ، بينت دراسة الأحافير أن ٧٥٪ من الحيوانات التي كانت تستوطن الأرض في نهاية العصر الطباشيري قد انقرضت بفعل ذلك الهجوم العنيف الذي شنته النيازك والشهب . والذي جعل الجيولوجيين يكثرون من ذكر الديناصورات كأشهر مَنْ انقرض مِن الأحياء ، فلأنه من أكبرها وهو المميز للحياة في ذلك العصر .

وقد خطر ببالنا أن نتساءل : هل يمكن أن يتكرر في عصرنا الحديث ما حدث في العصر الطباشيري ... ؟

**الله أعلـم .**

لقد آثرت أن أنقل إليك عزيزي القارىء ما قرأت في هذا الموضوع لأنه يعرض وجهة

**احد الديناصورات التي عاشت في اواخر العصر الطباشيري يبلغ طوله ثلاثة أمتار وهو واحد من الأحياء الكبيرة التي ذهبت ضحية الانقراض**



http://al-maktabeh.com

نظر جديدة وعلى قدرٍ كبيرٍ من الصواب فيما أرى لأن تفسير انقراض أو اندثار الديناصورات بالكوارث أياً كانت فيه من المنطق الصواب والرأى الرجح عن تفسيرها بمنطق التطور العاجز والذي به من القصور ما به .

**إن أهم الظواهر الأقيانوغرافية والجيولوجية لهذا العصر : ــ**

أولا : اتساع البحار والمحيطات إلى أقصى حدٍ لم تبلغه في أى عصر من قبل .

واستمر ذلك الاتساع إلى سبعين مليون سنة فيما يعتقد علماء الجيولوجيا ... أى أكبر من عصري الترياس والجوراس ...

ثانياً : كثرة فيضانات مياه المحيطات والبحار ، وغزوها للأراضي اليابسة ، بحيث أنها غطت مساحات شاسعة منها .

ثالثا : تكون طبقات الطباشير البيضاء المترسبة والتى تميز بها هذا العصر ، وذلك في المناطق التي تعرضت لعوامل النحات والتعرية

وفي عالم الحيوان تَميَّز ذلك العصر بظهور الثدييات الكلسية ، كذلك تميز بانقراض حيوان الآمونيت ، الذي ظهر لأول مرة في العصر الترياسي .

وهنا نريد أن نتساءل : عندما ظهرت الثدييات الكلسية هل كانت تطوراً عن نوعٍ سابق أم بينه وبين ذلك النوع الأدنى مرتبة حلقة مفقودة . لم يعثر عليها أصحاب التطور والرقي بعد ؟ أرجو أن يخبرونا عنها عندما يحصلون عليها حتى لا يبقى الأمر مجرد فرض جدلي لا يعني شيئاً .

وهل بانقراض الآمونيت ظهر نوعٌ أرقى منه مرتبةً مشابهٌ في تركيبه أو شيءٍ فيه أم ظَهَرَ نوع يختلف عنه تماماً . ألا يعني ذلك شيئاً في بالهم .

كذلك ظهر في عالم الحيوان ، في العصر الطباشيري حيوان البلمونيت وهو من الحيوانات البحرية ويرجع علماء الحيوان أنه سلف حيوان السيبيا أو الجبار الذي نراه في مياه بحارنا . وكذلك ظهر أيضا في هذا العصر السرطانات البحرية .

لقد انقرضت في العصر الطباشيري أسماك البلاكودرم التي ظهرت في العصر الديفوني وظهر بدلاً منها أسماك أخرى لا تختلف كثيراً عن الأسماك الحالية .

ولكن تلك الأسماك باختلافها عن أسماك العصر الديفوني إنما تعطينا إشارةً واضحة الدلالة على بداية صنف آخر بتركيب جديد وليس شرطاً أن يكون تطوراً عن سابقه .

**أما في عالَم الحشرات : ــ**

فلقد تميَّز هذا العالَم العجيب بظهور صغار الحشرات ( الدراجون ) بدلاً من الكبيرة

http://al-maktabeh.com

الضخمة وحلتْ محلها ... وبدأت تظهر وتنتشر حشرات عائلة النطاط ذوات القرون القصيرة والجراد ، وفصيلة النطاط ذي القرون الطويلة ورتبة الفراشات ، ورتبة الحشرات ذات الجناحين ، ورتبة الحشرات عمدية الأجنحة « الخنافس » .

أما في عالَم النباتات في ذلك العصر فنجد أنه من أهم مظاهرها انتشار مغطاه البذور والنباتات الزهرية كما تكونت المراعي واتسعت رقعتها ، وانتشرت الغابات .

**٤ - الحقب السينوزوي : -**

ينقسم الحقب السينوزوي أو حقب الحياة الحديثة كما يسمى بذلك إلى العصور التالية : ـــ

**أولاً : العصر الثلاثي : ـــ**

يستغرق هذا العصر معظم الحياة الحديثة ومقداره ٥٠٧ مليوم عام تقريباً وأهم ما يميز الحياة فيه :

١ ـــ انقراض الزواحف الماردة من الديناصورات والتنين الطائر .

٢ ـــ انتشار الثدييات وظهور الماشية والأفيال والكلاب والخيول والخفافيش وسباع البحر والقردة والليمور ... الخ .

٣ ـــ انتشار الأسماك والحيتان ، والقواقع والمحاراتا بصورة أحدث وأنواع جديدة وهي الموجودة الآن .

٤ ـــ انتشار الغابات والأشجار والمراعي بصورة مزدهرة .

**ثانياً : العصر الرباعي : ـــ**

يمثل هذا العصر المليون سنة الأخيرة من حقب الحياة الحديثة ومن عمر الأرض أيضاً ، وإن كان لنا رأيٌ آخر في مسألة تحديد عمر الأرض هذه ، سبق أن عرضنا له في الفصل الأول من هذا الباب وأهم الميزات لهذا العصر : ـــ

أ ـــ ظهور العصر الجليدي في نهايته تقريباً .

ب ـــ ظهور الإنسان .

ويعتقد أصحاب فروض نظرية التطور أن تطور الإنسان في أنماطه المختلفة واشكاله المتباينة بالنسبة للقردة ، وبدأ في هذا العصر الرباعي ولنا أيضاً رأيٌ في تلك المسألة وسوف نعرضه في حينه .

http://al-maktabeh.com

**ثالثاً : العصر البليستوسيتي : ــ**

أحياناً يسمى هذا العصر بعصر الجليد وتعد تلك الأزمنة من أهم العصور من وجه الأنثروبولوجي أو ما يسمى بعلم الأجناس لما يعتقد بأن هذا العصر مميز لحياة الإنسان وأنه واصل تطوره في تلك الأزمنة الجيولوجية ومن ثَمَّ كان الجدل والنقاش حول تلك الحقبة من الزمن بالذات وما أعرضه الآن إنما هو من تقسيمات قدامى الجيولوجيين الذين صنعوا الإنسان ككائن حيواني مترق في تكوينه الجسدي مرتبة بعد الأخرى وهذا ما يناقض في الحقيقة وجهة نظر القرآن الكريم وعلم الحديث ولكننا سوف نعرض لتلك الحقبة من الزمن على سبيل السرد العام ليس إلَّا .

يقسم الجيولوجيون أزمنة الجليد هذه إلى الأقسام التالية : ــ

**١ ــ ما قبل الجليد : ــ**

يُقدَّر بنحو ٤٠٠ ألف عام يعتقد أنه قد ظهر فيه أحد أسلاف الإنسان وهو كان ذا ثقافة بدائية وتسمى ما قبل الإبفيليه .

**٢ ــ المثلجة الباكرة : ــ**

يعتقد أنها بدأت منذ نحو ٦٠٠ ألف سنة ويعتقد بعض علماء الجيولوجيا أنها استغرقت ١٠٠ ألف سنة .

**٣ ــ فترة ما بين المثالج الأولى : ــ**

يعتقد أنه قد حدث فيها أول تراجع للجليد وتمتاز هذه الفترة بظهور جنسين منقرضين من الإنسان الأول وهما : ــ

**ا ــ الإنسان القردي منتصب القامة : ــ**

ومعنى ذلك أنه كان أشبه بالقردة ولكنه كان منتصب القامة أليس من العجيب أن يوصف الإنسان بتلك الصفة مع أن تلك الصفة خاصة به وحده ولا يمكن أن يوصف بها غيره وذلك على سبيل التكريم من الله جل شأنه .

**ب ــ الإنسان الصيني القديم : ــ**

وتمتاز أيضاً هذه الفترة بظهور الثقافة الإبفلية .

**٤ ــ المثلجة القديمة : ــ**

ويعتبرونها ثاني مثلجة في أزمنة الجليد ويعتقد أنها بدأت عام ٥٠٠ ألف وانتهت عام ٤٠٠ ألف قبل الميلاد .

http://al-maktabeh.com

تمتاز بظهور أحد الأجناس البشرية التي لعبت في اعتقادهم دوراً هاماً في تاريخ الإنسان ، وهو إنسان هايدلبرج .

وتمتاز هذه الفترة بظهور الثقافة الكلاكتونية ، التي تتمثل في الأدوات الصوانية الطويلة المدببة الحادة .

**٥ ــ فترة ما بين المثالج الكبرى : ــ**

حدث فيها ثاني تراجع للجليد وهي تمتد بين ٤٠٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف عام قبل الميلاد . وتمتاز هذه الفترة بظهور أحد الأجناس البشرية المنقرضة ألا وهو إنسان سوانسكومب

**كما ظهرت في هذه الفترة الثقافة الآشولية : ــ**

سميت بذلك نسبةً إلى « سانت آشول » بوادي نهر السوم بفرنسا « تتمثل هذه الثقافة في فئوس يدوية مهذبة جيداً حادة الجوانب وقطع من الصوان ذات جانب واحد مسننة كالسكين »

الذي يعجب له الإنسان هو لفظ الإنسان المنقرض أو أحد الأجناس البشرية المنقرضة كما يقول علماء الأنثروبولوجي مع أنهم في ترتيبهم يعتقدون أن الماشية والأفيال والكلاب والخيول والخفافيش وسباع البحر والقردة أقدم من الإنسان وجوداً في سلمهم الزمني ومع ذلك لم تنقرض تلك الكائنات لظهور الإنسان ألم يسألوا أنفسهم هذا السؤال ؟ فلماذا الإنسان بالذات حرصوا على أن يضعوه في هذا الإطار أو يصورونه . بتلك الصورة المقززة ؟

**٦ ــ المثلجة قبل الأخيرة : ــ**

هذه المثلجة الثالثة في زمن الجليد بدأت منذ ٢٥٠ ألف سنة تقريباً وانتشعت بعد عام ٢٠٠ ألف قبل الميلاد . تمتاز بتقدم الثقافة الآشولية ، وظهور الحضارة الليفالوازية ( نسبةً إلى ليفالوازميريه أحد أحياء باريس ) .

**٧ ــ فترة ما بين المثالج الأخيرة : ــ**

وهو يعتبر ثالث وآخر تراجع للجليد في اعتقادهم . انتهت تلك الفترة عام ١٥٠ ألف قبل الميلاد . وإن كان بعض العلماء يرجح انتهاءها عام ١٠٠ ألف قبل الميلاد ، وكلٌّ يحكم أو يقدِّر حسب ما يتراءى له من الحسبان وتقديرات نظرية تفتقد الدليل القوي المرجح ، ويرون أن ظهور إنسان . فونتشيفاد كان في هذه الفترة .

كذلك تميزه أيضاً هذه الفترة لظهور الثقافة الموسيترية ( نسبةً إلى كهف الموستير بوادي نهر الفيزير بفرنسا ) .

http://al-maktabeh.com

### ٨ ــ المثلجة الأخيرة : ــ

بدأت قبيل عام ١٠٠ ألف وانتهت عام ١٥ ألف قبل الميلاد ، ظهر خلالها أحد الأجناس البشرية الهامة في تاريخ الإنسان وهو إنسان يناندرتال كما يزعمون .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا النوع من الجنس البشري الذي انقرض بالطبع على حد زعمهم ، أقرب أعضاء العائلة الإنسانية شبهاً بالإنسان الحديث .

وبالطبع أيضا ازدهرت في هذه الفترة الثقافات الكبيرة والتي أعطوها مسميات غريبة مثل : الأورينياسية والمجدلية والسوليتيرية .

ألا تحس معى عزيزي القارىء بأنها توليفة أشبه بالأساطير أو قصة تكاد أن تكون محبوكة الأطراف نسجها خيال الإنسان حديثاً ليشبع غريزته من القصص العلمي الخيالي ليذهب كل إنسان في تصوره كل مذهب مع أنه لو تأمل خلقته وتكوينه قليلاً لأدرك أنه أفضل وأعظم من تلك التصورات السخيفة وأن هذا ليس إلا هراء ودجل .

### رابعاً : العصر الهولوسيني أو الحديث : ــ

فى اعتقاد علماء الجيولوجيا أن هذا العصر استغرق نحو الخمسة عشر ألف سنة الأخيرة

| العمر بملايين السنين | الأحقاب | العصور |
|---|---|---|
| ١ | الرباعي | البليوسنوسين والحديث |
| ١٠ | حقبة | الباليوسين |
| ٢٠ | الحياة | الميوسين |
| ١٠ | الحديثة | الاوليجوسين |
| ٢٠ | | الايوسين |
| ٥٥ | حقبة الحياة | الطباشيري |
| ٤٥ | الوسطى | الجوراسي |
| ٣٥ | « الميزوزوي » | الترياسي |
| ٣٠ | حقبة | البرمي |
| ٦٠ | الحياة | الكربوني |
| ٤٠ | القديمة | الديفوني |
| ٣٠ | | السيلوري |
| ٦٠ | | الاردوفيشي |
| ٨٠ | | الكمبري |
| ٢٥٠٠ | ما قبل الكمبري | عصور ما قبل الكمبري |

التقسيم العام للزمن الجيولوجي

http://al-maktabeh.com

من عمر الأرض وأنه يمتاز بانقراض جميع أجناس البشر البدائية وسيادة الإنسان الحديث .

لقد حاول أنصار التطور مراراً وتكراراً الاعتماد على الحفريات والتقسيمات الخاصة بالعصور الجيولوجية في إثبات وجهة نظرهم الخاصة بنشأة الإنسان وتطورت من كائنات أصغر ، فهل أفلحوا في ذلك وإلى أى مدى .

## خطأ الاستدلال بالحفريات في التطور لماذا ؟

بعد هذا الذي قدمناه سابقاً من تعريف الحفريات ومن تقسيمات للأزمنة الجيولوجية فمن الطبيعي أن يبرز أمامنا السؤال التالي هو : ــ

ما الذي تزودنا به الحفريات ؟

وهل تخدم قضيتنا وبصورة واضحة وقاطعة ؟

ربما استنتجت عزيزي القارىء أنني أستطيع تغطية هذه النقاط بطريقة سطحية ومختصرة . هذا لا يهم كثيراً فلا بد أنهم قد أخبروك في المدرسة ثم الجامعة أن النشوء حقيقة ، أما ما يسمى بالإثباتات المتعلقة به فيشار إليها بشكل سطحي ومختصر جداً ، وسوف أكون سعيداً لو تتوصل إلى معرفة أن الأمور تختلف تماماً عما يدعيه معظم أساتذة البيولوجيا والجيولوجيا .

بدايةً ، أنت تعلم أن القشرة الأرضية تتكون من عددٍ من الطبقات وهذه تكونت إما بسبب انبعاث الصخور المنصهرة من داخل الأرض من البراكين مثلاً وتصلبها أو بسبب الرياح التي تحمل ذرات الرمل والطين وتجمعهم في مكان ما ، أو أن الأنهار الجليدية تدفع الرمل السطحي والأكثر حدوثاً هو الرمل والطمي مع الحجر الكلسي ... الخ . التي ترسبت في البحار والبحيرات والأنهار في النوعين الأخيرين من الطبقات نجد بقايا متحجرة تعد لنباتات وحيوانات عاشت مرةعلى وجه البسيطة والأقسام الصلبة منها بشكل خاص كالقواقع والخراشف والعظام تحجرت بسهولة .

من الطبيعي أن تكون الطبقات السفلى أقدم عهداً والطبقات العليا أصغر عمراً وادعى النشوئيون بناءً على ما قرره علماء الجيولوجيا في ذلك الوقت الآتي : ــ

في الطبقات السفلى ( الأكثر قِدَماً ) نجد كائنات بسيطة متحجرة وعندما نأتي إلى الطبقات العليا ( الحديثة ) نجد إلى جانب الكائنات الدنيا المتحجرة أخرى عليا أكثر تعقيداً ، يمتد عهد الطبقات التي تحتوي على متحجرات إلى فترةٍ تُقارب الـ ٦٠٠ مليون سنة ( هكذا يجزمون ) وفي تلك المدة نرى كيف أن تاريخ الحياة يبدأ بكائنات بسيطة جداً وكيف أن الكائنات العليا تبدأ تدريجياً بالظهور على امتداد العصور .

**رائع أليس كذلك ؟**
**ألا يكون هذا أفضل برهان على النشوء ؟**

http://al-maktabeh.com

بالتأكيد ـ لو أن القصة حقيقية . هذا ما يقصونه عليه عادةً . وهذا بالضبط هو عين الضلال على هذه الحال نستطيع أن نسلم بأنه لا أثر للحقيقة في كل القصة إذ أنه لا يوجد أى مكان في العالم كله تستطيع أن تجد فيه كل هذه الطبقات مرتبة الواحدة فوق الأخرى في وضع تتواجد معه الكائنات الدنيا في الأعماق ، وكلا النوعين من الكائنات العليا قريبٌ من السطح ، بالإضافة إلى ذلك لا تتواجد الكائنات البسيطة فقط في طبقة الحفريات التي تعتبر قديمة ، بل تم الكشف عن أن جميع الفصائل الحيوانية كانت في منطقة معينة أو ممثلة فيها إلا أن الفقريات تمثل الشذوذ الوحيد هنا ولكنها سرعان ما تظهر في الطبقات التالية بدون أى نوع من الأشكال الانتقالية .

**ونود هنا أن نسأل : ـــ**

من أين تأتي هذه المجموعات المختلفة من الحيوانات ؟
أين هم الأجداد المشتركون لتلك الحيوانات كما تفترض النظرية ؟

إذا كانت النظرية صحيحة فثمة ثلاثة أرباع أو حسب ما يرى آخرون تسعة أعشار تاريخ الحياة مفقود . إذن لماذا لا نجد شيئاً من الحفريات من تلك الفترة الشاسعة ؟

ترى ألا يمكن ألا يكون الأجداد المشتركون قد وجدوا بتاتاً ؟

افترض أنك تتوقع من الطبقة القديمة أن تكون دائماً في الأعماق ولكن الحال ليست تلك أبداً . لأن ترتيب الطبقات قد يختلط بكامله فالطبقات ذات الحفريات الخاصة بالكائنات العليا قد تكون في الأسفل بينما تظهر على السطح طبقات من ذوات الحفريات الخاصة بالكائنات البسيطة فقط .

في بعض الأوضاع تستطيع أن ترى بوضوح أن الطبقات قد انقلبت رأساً على عقب بعد ما يشبه الزلزال ، ولكن في الغالب ينعدم أى أثر لمثل هذه التغييرات الكبيرة في قشرة الأرض ، وعلى هذا النحو حقاً سنخلص إلى القول بأن الطبقات كانت قد تكونت بالتتابع الذي نجدها فيه .

إذاً كيف يجرؤ النشوئيون من علماء طبقات الأرض والحفريات على الإعلان ببساطة أن الطبقات منقلبة رأساً على عقب على الرغم من هذا كله ؟

إنها قصة مزعجة كيف يستطيع النشوئي تعيين عمر الطبقات ؟

ألا ترى أنه لا يستطيع أن يبحثه من خلال المادة المكونة لها ... وواضحٌ أن تتابع الطبقات لا يفيده أكثر ( لأن الطبقات المدعوة حديثة قد تكون تحت ، والطبقات المدعوة قديمة قد تكون على السطح ) ربما تتوقع منه أنه يملك طرقاً خاصة لقياس العمر ( كما بيَّنا آنفاً ) ، وخطأً آخر ناتج عن تطبيق تعيين العمر من الطبقات المختلفة إذ لا يعود علينا

http://al-maktabeh.com

بالفائدة المرجوة .

كيف نستطيع إذن أن نفحص طبقة ما إذا كانت أكثر قدماً أو حداثة من الأخرى ؟

أنت لن تحوز الجواب اما هو فيقرر بواسطة الحفريات الموجودة فيها خصوصاً ما يسمى بالحفريات الدليلة أو المرشدة التي ليست عامة بل هي مميزة ( هذا ما يقولون لنا ) لفترة جيولوجية خاصة . أليس هذا لطيفاً ؟ إذ حين تظهر الحفريات البسيطة ( الناشئة من الكائنات الدنيا ) في واحدةٍ من الطبقات فهي طبقة قديمة أما عندما توجد حفريات معقدة ( الناشئة من الكائنات العليا ) في إحدى الطبقات تكون تلك طبقة حديثة .

قد يكون التعبير عن ذلك في غاية البساطة ولكنه في الحقيقة لب القضية بل إن التفكير الدوراني المنبوذ معترف به في المقالات الجيولوجية العلمية ويدور على النحو التالي : ــ

سؤال : كيف تستطيع أن تبرهن أن الكائنات العليا هي أصغر عمراً من الكائنات الدنيا ؟

جواب : لأن الأولى وجدت في الطبقات الحديثة .

سؤال : ولكن كيف عرفت أى الطبقات أحدث وأيها أقدم ؟

جواب : يمكن أن نراقب ذلك عن طريق الحفريات الموجودة بها فالكائنات العليا موجودة في الطبقات الحديثة .

سؤال : فكيف تبرهن إذن أن الكائنات العليا هي أحدث من الكائنات الدنيا ؟

جواب : لأن الأولى موجودة في الطبقات الأحدث من الأخرى .

سؤال : ولكن كيف تعرف أى طبقة ؟

أتوقف هنا وقد لاحظت أننا ندور في حلقة مفرغة وتلك كما ترى تعتبر الإثبات على الحفريات .

بالإضافة إلى ذلك توجد مشاكل أخرى لا تعد ولا تحصى ولا يمكن حلها تتعلق ببرهنة الحفريات والاعتماد عليها كدليل على النشوء بالنسبة للكائنات المختلفة .

لا تنسَ بأنه لو كانت الكائنات البسيطة حقيقة أول ما ظهر وبعد ملايين السنين جاء دور الكائنات العليا ( فرضية مختلف في أمرها كثيراً كما رأينا ) لكان قيام تلك بمفردها غير كاف لتكون البرهان بأن الكائنات العليا قد تطورت من الكائنات الدنيا ولكى يجعلها الجيولوجيون مقبولة عليهم أن يبادروا بتقديم الآلاف من الأشكال المتوسطة والانتقالية بين مجموعات الحيوانات المختلفة وبين مجموعات النباتات المختلفة .



http://al-maktabeh.com

قبل حوالي مائة سنة تفاءل العلماء جداً بأن هذه « الحلقات المفقودة » سوف توجد ولكن نشوئيين مشهورين بدأوا بالاعتراف علناً بأن هذه الحلقات المفقودة ربما لم توجد أبداً . هذه الفجوات التي لا يمكن تخطيها بين مختلف المجموعات كانت في السابق على نفس الاتساع الذي توجد فيه اليوم بغض النظر عن مقدار المرارة الذي يسببه للنشوئيين تجرعها .

وأخيراً أتساءل كما تساءل الكثيرون :

هل تدل الحفريات على وجود النشوء ؟

ربمـــا .

لكن ذلك عند الذين لديهم مسبقاً إيمان مطلق بالنشوء فقط ، أما ذوى الفطنة فلهم بلا شك معرفة أفضل .

**لا تقحموا الدين ... لا تظلموه : ــ**

وأخيراً فإننا نود أن نتساءل صراحة هل مسألة تحديد عمر الأرض وبداية وجود الإنسان على ظهر هذا الكوكب الذي نعيش عليه أمر يهمنا كمسلمين في شيىء أو بمعنى آخر هل تعدل أهميته تلك ، أهمية أن نعرف أين نحن الآن من ركب التقدم العسكرى والتكنولوجى بصفة عامة .

أهو أمر ذو علاقة قوية بعقيدتنا بحيث إن لم نعلمه لجرحت عقيدتنا أو من الممكن أن نصدم في ديننا .

ثم ما المراد بإثارة تلك المشكلة على وجه الخصوص .

ونجيبك عزيزي القارىء ــ بنفس الصراحة التي طرحنا بها تلك التساؤلات فنقول : ــ

إن تحديد عمر الأرض ومعرفة أصل الإنسان على النحو الذي يعرفه الأنثروبولوجيون لا يهمنا كمسلمين في شيىء ، والحقيقة أنه لو كان يهمنا في ديننا و عاقبة أمرنا لذكره الله في القرآن الكريم ، ويكون بطريقة تفصيلية وتوضيحية على حسب أهميته .

وفكرة تحديد عمر الأرض بالتقصير تارة والتطويل تارة أخرى إنما هي شبيهة جاء بها اليهود للتآمر على الأديان الأخرى وخاصة الديانة الإسلامية فكان هدفهم من تقصير المدة هو نفى نبوءة عيسى عليه السلام ، وإثبات نبوءة المسيح الدجال ، وإنما هدفهم من تطويل المدة فهو لتأييدهم لنظرية داورين التي تعتبر ركيزة أساسية من ركائز الشيوعية التي جاء بها اليهود أيضاً . نعم ... فهذه النظرية الفاجرة الباطلة بالطبع كما سبق أن أسلفنا تنص على تطور الإنسان عن القردة ولما كان هذا التطور يحتاج إلى زمن طويل جداً حتى يتطور أو ينتقل الإنسان من طورٍ إلى آخر أو من مرحلة إلى أخرى . لذا فكان ولا بد لهم من تطويل هذه المدة وابتكار

http://al-maktabeh.com

الوسائل الظنية لإثباتها ، وتقديم الفروض العلمية التي تفتقر إلى البرهان القاطع والدليل القوي والحجة الثابتة كطرق قياس الطبقات من حيث السُّمْك وكذلك قياس الملوحة ثم أخيراً طريقة اليورانيوم المشع ولقد أوضحنا في الفصل الأول من هذا الباب نواحي القصور في كلٍّ من هذه الطرق .

ثم أريد أن أنبه إلى نقطةٍ هامةٍ جداً وهي أننا يجب ألا نقحم الدين في تلك المسائل إقحاماً لأن القرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل أجمل في ذلك إجمالاً شديداً دون أن يتعرض لتفصيلات تلك الأمور ورقائقها بل تَرَكَ لنا ذلك الأمر كي نتفكر في بديع صنع الله ونعظم قدر الحق سبحانه وتعالى .

لا أن يطرح أمثال تلك الموضوعات أو تثار كمسائل فلسفية نشغل بها أوقاتنا فنضيعها في غير فائدة أو نفع ؟

وكم من الأحاديث قد وضعت في هذه الأمور والكثير منها إسرائيليات وتلك محاولات من اليهود تتم ليلبسوا على المسلمين أمر دينهم مثل ماذا ؟

مثل الحديث النبوي الذي رواه الديلمي في مسند الفردوس عن النبي ﷺ قال : ـــ « **الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة** » وهو حديث ضعيف .

والواقع كما يقول الأستاذ / حسن كتكت إن اليوم من أيام الآخرة غير معروف وذلك قول الله سبحانه وتعالى يقول : « **وإنَّ يوماً عند ربِّكَ كألفِ سنةٍ مما تعدُّون**[1] » .

**ويقول أيضاً : عن يوم عروج الملائكة إليه :**

« **تَعْرُجُ الملائكةُ والروح إليه في يومٍ كان مقدارُهُ خمسين ألف سنةٍ فاصبر صبراً جميلاً**[2] »

ومن الجائز أن يكون اليوم مثل ذلك أو أقل منه أو أكثر والحق أن أى تحديد في هذا الموضوع إنما هو ضَرْبٌ من الخيال .

وما أورده ابن جرير الطبري في مقدمة تاريخه عن ابن عباس من قوله الدنيا جمعة من جمع الآخرة كل يوم ألف سنة فغير ثابت فالأخبار الثابتة في الصحيحين كما قال الحافظ ابن حجر تقتضي كون مدة هذه الأمة نحو الربع أو الخمس من اليوم لما ثبت أن في حديث ابن عمر إنما أصلكم فيمن مضى قبلكم كما بين صلاة العصر وغروب الشمس .

قال فإذا ضم هذا إلى قول ابن عباس زاد على الألف زيادة كثيرة والحق أن ذلك لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ١٠ . هـ

---

(١) الحج (٤٧)

(٢) المعارج (٤ ـــ ٥)



http://al-maktabeh.com

**الحديث الثاني : ــ**

رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل عن الضحاك ابن زمل وهو حديث ضعيف ( الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألف ) . أى أن عمرها ذلك بعدد النجوم السيارة لكل واحد ألف سنة قال الحراني الألف كمال العدد كمال ثالث رتبة والسنة آخر تمام دورة الشمس وتمام اثنتى عشرة دورة القمر ( أنا ) وفي رواية ( وأنا ) بالواو ( في آخرها ألفا ) فإذا تمت السبعة فذلك وقت تعرض العالم وطَيِّ الدنيا .

وقد أكثر الناس الخوض في ذلك فأخذ البعض بما صرح به هذا الخبر المعلول وبَالَغَ العارف البسطامي فنادى في كتابه ( مفتاح الجفر ) اتفاق وجود الملل عليه فقال : ــ

اتفق أهل الملل الأربع المسلمون والنصارى الصابئة واليهود على أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وقال : ــ

قال على كرم الله وجهه الباقي إلى خراب الدنيا ألف سنة وجاء فى التوراة كذلك أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وهي سبعة آلاف سنة وإن الله يبعث في كل ألف سنة نبياً بمعجزات واضحة وبراهين قاطعة لرفع أعلام دينه القويم وظهور صراطه المستقيم فكان في الألف الأولى آدم وفي الثانية إدريس والثالثة نوح والرابعة إبراهيم والخامسة موسى والسادسة عيسى والسابعة محمد وتمت به الآلاف .

أرأيت عزيزي القارىء كيف أننا نظلم ديننا الإسلامي ونحمِّل نصوص الكتاب والسنة أكثر مما تحتمل من معان وذلك أيضاً نتيجة الاعتماد على أحاديث ضعيفة أو موضوعة فقد ذكر ابن الأثير في مجال الطب أن ألفاظه مصنوعة ملفقة وهو متداول بين رواة الحديث وأئمته . وذكر بعض الحُفَّاظ أنه موضوع ولما ذكره أبو الفرج في العلل وصف بعض رواته بالوضع وقال الذهبي قد جاءت النصوص في فناء هذه الدار وأهلها وكشف الجبال وذلك تواتره قطعي لا يحيد عنه ولا يعلمَ متى ذلك إلا الله فمن زَعَمَ أنه يعلمه الحساب أو شيىء من علم حرف أو بكشف أو بنحو ذلك فهو ضال مضل ( الطبراني والبيهقي ) وكذا ابن لال الديلمي عن ( الضحاك بن زمل ) الجهني تبع المصنف في تسميته الضحاك الطبراني والضحاك من أتباع التابعين ، قال ابن المدني أما ابن زمل هذا فلا أعلمه تسمى في شيىء من الروايات .

قال مغلطاى وذكر العسكري وابن مذة وابن حبان اسم ابن عبد الله ولما ذكر ابن حبان زملا في الصحابة قال يقول له صحبه غير أدنى لا أعتمد على إسناد خبره وقال في الروض الآنف هذا الحديث وإن كان ضعيفاً فقد روى موقوفاً على ابن عباس من طرق صحاح وتعضده آثار هو قال ابن حجر هذا الحديث إنما هو عن ابن زمل وسنده ضعيف جداً وأخرجه ابن السبكي في الصحابة وقال إسناده مجهول ، ما قال ابن الأثير ألفاظه مصنوعة وأورده ابن

http://al-maktabeh.com

الجوزي في الموضوعات .

يتضح لنا مما سبق أن ما ورد في ذلك من أحاديث إنما هي في حقيقة الأمر موضوعة أو ضعيفة وبالتالي لايصح الإستدلال بها ؟ أما بالنسبة لورود هذا الأمر في القرآن الكريم فالحقيقة أنه لم يرد في القرآن الكريم نصٌ صريح يحدد عمر الأرض وليس فيه من الآيات التي تتحدث عن عمر الأرض سوى آية واحدة تشير فقط إلى قِدَم العالم الذي نعيش فيه قِدَماً نسبياً . وليس مطلقاً وذلك في قوله تعالى : ــ

« وعاداً وثموداً وأصحابَ الرَّسِّ وقروناً بين ذلك كثيراً[1] »

لذا وجب علينا ألا نقحم القرآن والسنة في هذا الموضوع إطلاقاً لأن هذا الأمر يعتمد على قدر ما ييسر الله سبحانه للإنسان من أسباب علمية ويفتح على العلماء في سبيل إعانتهم على تحقيق غرضهم .

واجبٌ علينا كمسلمين أن نفوض عمر الأرض وما شابه ذلك من أمور إلى الله سبحانه تعالى كما جاء في القرآن الكريم فكل دعوة إلى تحديد عمر الأرض أو بداية وجود الإنسان في الحياة والحديث عن نشأته الأولى ومراحل تطوره كما يزعمون إنما هو دعوة باطلة لأنها تعتمد على الظن وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً .

## خامساً : المشاهدات الإنسانية لم ترصد أى ارتقاء أو أدنى اعتلاء

لقد بات من الحقيقة المؤكدة أن البشرية لم تشهد في أى وقتٍ عبر دهور أى كائنٍ ما أنه قد تحول إلى كائنٍ آخر سواء بالتطور أو بالرقي خاصة وأنه يوجد علماء متخصصون واقفون بالمرصاد يرصدون أدنى تغير في المظهر الخارجي لتلك الكائنات أو تركيبها الداخلي ( الفسيولوجي ) لبيانها الجسدي . لقد حرص هؤلاء العلماء حقبة طويلة من الزمان أن تتناول علومهم تلك الكائنات بعد أن سجلوا قديماً عنها كل دقائق حياتها .

نعم ... ها نحن اليوم نرى الحصان الذي كان بالأمس هو نفسه ذلك الحصان ، فأين هذا التطور الذي يحكون عنه ونحكيه عنهم ؟

### ١ ــ موقف نظرية التطور من نشأة الإنسان : ــ

إننا لو استعرضنا سوياً الصورة التي نظر من خلالها داروين إلى الإنسان أو الإطار العام لظنه هذا ، لوجدنا تناقضات عدة وأموراً يساورها الكثير من الشكوك وآراء مردود عليها وباطلة في مزاعمها .

لقد تحدث داروين في كتابه أصل الأنواع عن المراحل الانتقالية التي تطور فيها الإنسان

---

(١) سورة الفرقان (٣٨)

http://al-maktabeh.com

وذلك بعد أن تعرض لتسلسل الكائنات المختلفة في مراحلها وأشكالها المتباينة إلى أن وصل الى القردة وهي من الرئيسيات عديمة الذيول .

ومن هنا كانت المشكلة العويصة التي أعيت الباحثين وأجهدت العلماء وخاصة علماء البيولوجيا والأنثروبولوجيا ، وهي كيف ظهر الإنسان بعد ذلك ومن أى الشعب تفرع ؟ .

وبطبيعة الحال بدأت الاحتمالات والتكهنات تحتل مكانتها وخاصة بعد أن عاد العقل البشري يجر أذيال الفشل صفر اليدين .

نعـم ... إنها طبيعة الإنسان عندما يكتنف الغموض الحقائق العلمية فيجنح إلى الخيال فيحلم ويحلم هروباً من واقعة المعجز .

وما زال هذا الموضوع وهو أصل الإنسان موضع مناقشات وجدل إلى يومنا هذا . وسيستمر كذلك حتى تنجلي حقيقته إن كانت هناك حقيقة غير ما أقره الدين وأخبر به العليم سبحانه وكشف عنه العلم الحديث .

يرى تشارلس داروين فيما يرى أن الأنواع الدائمة التحول ، وأن الإنسان وباقي الكائنات الحية منحدرة من أصل واحد فيقول[1] : -

ما يقال بأن كل نوع من الأنواع خلق مستقلاً بذاته ، خطأ محض وإني لعلى تمام الاعتقاد بأن الأنواع دائمة التحول وأن الأنواع تلحق بما نسميه الأجناس واصطلاحا هي أعقاب متسلسلة عن أنواع طواها الانقراض .

وإني فوق ذلك لشديد الأقتناع بأن الانتخاب الطبيعي هو السبب الأكبر والمهيأ الأقوى لحدوث التحولات ، ولو لم يكن السبب الأوحد الذي يسبب حدوثها في عالم الوجود[2] .

لقد اقتصر بحث داروين في أصل الإنسان على ناحية واحدة هي أن الإنسان يعود بأصله العضوي إلى عالم الحيوان[3] كأن كل همه أو اهتمامه هو تلك الحيوانية الموجودة في الإنسان ولم يمر بذهنه قط أن يقيم وزناً لتلك الظاهرة العجيبة في الإنسان أو ذلك النصف الملائكي من الإنسان الذي به سما الإنسان إلى عالم الطهر والصفاء وأعنى به الروح ، لم يفكر داروين ولم يَدُرْ بخلده ظاهرة الازدواجية الموجودة في الإنسان وأنه مكون من جسدٍ ونفسٍ أو روح لقد استطاع حقاً أن يثبت أن الإنسان بجسده حيوان ولكن ما خطب النفس ؟ وما مكانتها في نظريتك كعالِم وباحِث ؟ هل ألغيت وجودها ؟ بالطبع لا يقدر على ذلك . وإذا اعترفت بوجودها ألا يشكّل ذلك فرقاً جوهرياً في الحديث عن أصل الإنسان ومدى اختلافه عن غيره

---

(١) أصل الانواع تشارلس داروين

(٢) أصل الانواع ــ داروين

(٣) أصل الإنسان ــ د. محمد السيد غلاب

http://al-maktabeh.com

من الكائنات .

ولذا فهو لم ينفها ولم يثبتها ولم يشأ أن يتعرض لذلك ، وذلك ما يتعارض مع الأمانة العلمية للعالِم أو المفكر ، فكان لزاماً عليه أن يبحث الموضوع برمته ويقدف بقصوره إذا ما أعياه البحث وقعدت به التجارب عن الوصول إلى بغيته أو تحقيق ما يريد .

نعم ... لقد حدد موضوعه تحديداً وحصره في دائرة أن الإنسان حي ، تجرى عليه سنة التطور ، جَرْيها على بقية الأحياء التي هي من دونه بكل بساطة وسذاجة . وجميعنا يعلم أن هذه الأفكار إلى أى مدى قد اختلفت في علم الأحياء عما كان في عصر داروين ، لقد اختلفت من حيث علاقتها وتعليلها لماهية الحياة ولم تصبح تلك الفكرة العلمية المحصورة في حدود الإدراك الحسي ، بل إنها ومعها جملة من العلوم التي اتخذت ركيزة للقول بالمادة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، قد أطلت جميعاً من قممها العالية على فراغ فسيح إلى أبعد الحدود .

ولذا إزاء هذا التحول الكبير في وجهة النظر الأحيائية وإن شئت فقل في موقف العلم من ماهية الحياة ، يتعذر على كاتب يحاول أن يصف الفكر ، أن يهمل في بحث الإنسانية إحدى الناحيتين ناحية جسده بما أودع فيه من حيوانية وشهوة غريزية ، وناحية روحه بما فيها من شفافية ولطف وثقاء .

ولكن داروين قصر بحثه على جانبٍ واحدٍ فقط من جانبي تكوين الإنسان واكتفى به بحثاً في أصل الإنسان ونشأته .

نعم ... منذ أن اختمر مذهب التطور في ذهنه كفكرة واستوى في تصوره كنظرية ، واعتقد فيما اعتقد أن الأنواع تتغاير وتتحول شجعه ذلك على أن يعتقد بأن الإنسان لابد من أن يكون قد مضى في طوال تاريخه العضوي خاضعاً لنفس السنن التي خضعت لها جميع الأحياء ، وبعد أن نشر كتابه أصل الأنواع وَقَبِلَ الماديون نظريته في الجملة فكر أن يطبق هذه النظرية على الإنسان فأكب على دراسته التي استجمعها وتوهم فيها الحقيقة ، يرتبها ويصنفها ويوازن بين بعضها البعض ، باذِلاً كل جهده محاولاً أن يستخلص منها النتائج التي يثبت بها أن الإنسان ناشيءٌ من صورٍ دنيا . صور هي أقرب إلى القردة العليا منها إلى صورةٍ أخرى من صور الأحياء .

وإن من يريد أن يقضي بحكمٍ ويصل إلى نتيجةٍ معقولة أو رأى قاطع فيما إذا كان الإنسان خلقاً متطوراً عن صورةٍ حيوانية كانت موجودة من قبل ثم انقرضت أم أنه قد خلق خلقاً مستقلاً عن غيره من الكائنات الأخرى ينبغي له أولاً وقبل أى شيء أن يبحث في عدة أمور هامة وهذا من الناحية العلمية الصرفة فنحن حتى تلك اللحظة لم نتعرض لدارسة الإنسان من حيث النشأة ، أو الأصل في القرآن الكريم فنحن مؤمنون بذلك وبما أخبر الله به من أن الإنسان قد خلق خلقاً مستقلاً ، ولكن مجاراة منا لتصورات الدروانيين وتفكيرهم

http://al-maktabeh.com

حتى نصل إلى النتيجة السليمة والرأى الصواب في هذا الأمر .

**وهذه الأمور هي : ــ**

أولاً : هل الإنسان يتحول في تراكيبه الجسمانية وكفاياته الذهنية ؟ وهل تنتقل هذه التحولات إلى اخلاقه وفقا للسنن التي يمتد سلطانها إلى الحيوانات الأدنى منه مرتبة ؟

ثانياً : هل هذه التحولات إن كان لها وجود نتيجة لنفس الأسباب الطبيعية العامة ؟ وهل تحكمها نفس السنن التي تؤثر في غيره من العضويات مثل ما يسمى بالتبادل الثمائي واستعمال الأعضاء وإغفالها ... الخ .

تساؤلات وتساؤلات يمكنك أن تجيب عليها بشيءٍ من الاتزان في المنطق والروية في التفكير وهدوء النفس .

نجيب بدورنا على تلك الأسئلة قائلين : ــ إنه على المدى البعيد والأزمنة السحيقة التي عاشها الإنسان على ظهر الأرض ما عرفت عن الإنسان تحولاً إلى إنسان آخر يريد عنه بشيء أو جديد ، فالإنسان هو الإنسان منذ أن ظَهَرَ على ظَهْر هذا الكوكب بتكوينه الجسماني المعروف أو تركيبه العضوي الواضح الأجزاء والمعالم وإلَّا فلماذا لم ينقل إلينا السابقون شيئاً من ذلك ؟ ولم نشاهد نحن إنساناً ارتقى إلى انسانٍ من نوعٍ آخر ؟

اما عن انتقال التحولات إلى اخلافه فنقول من المعلوم أن الإنسان تجرى له دائماً بعد سابع يوم من ولادته عملية الختان أو ما يتعارف عليه باسم عملية الطهارة للذكور وكذلك الإناث أحياناً ويتناسل الجنس البشري بعد ذلك وهو على تلك الحالة ورغم ذلك نجد أن الأجيال الجديدة لا تولد وبها صفة الختان بل كما هى بدون ختان فلماذا لم تورث تلك الصفة أو تنتقل هذه التحولات وفقاً للسنن التي يمتد سلطانها إلى الحيوانات الأدنى من الإنسان مرتبة كما يدعون أو يزعمون .

وإذا فرضنا أن هناك تحولاتٍ وتعيراتٍ تورث إلى الأجيال التالية ، فهل تحكمها نفس السنن السائدة مثل قانون الإهمال والإستعمال بالطبع لا وألف لا .

متى أهمل الإنسان عضواً من أعضائه ؟ وهل خلق فيه عضوٌ وركب به جزء ليس له فائدة حتى يصبح في غنى عنه بل كل عضوٍ إنما يؤدي رسالةً خاصةً ومهمةً فهو لا يهمل أى عضوٍ من أعضائه ولا يمكنه ذلك أبداً .

فعلى سبيل المثال قال الدارونيون : إن كل شق وكل طية في دماغ الإنسان لها ما يقابلها في دماغ الأرطال(إنسان الغابة) وهو من القردة ولكن «بيشوف» نفسه القائل بذلك لا يلبث أن يعترف بأن دماغيهما لا يتماثلان في أى طور من أطوار نمائهما ، وهذا دليل على عدم تماثلهما وعلى تفارقهما أصلا . فكلٌّ له خلقه المستقل وتكوينه الخاص ولابد من أن نجد فرقاً ولو يسيراً

http://al-maktabeh.com

بين هذا وذاك .

ومهما أطنب التشريحيون في سرد الكثير من التفصيلات الخاصة بعمل التشابهات الكائنة بين الإنسان والحيوانات العليا ، من حيث تركيب الدماغ وبقية أجزاء الجسم فإنهم لا محالة سوف يجدون أن هناك فرقاً ما بين هذا وذاك مما يقطع الصلة بينهما ويدل دلالة واضحة على أن هناك فرقاً جوهرياً بينهما .

وبغضّ النظر عن الاختلافات الظاهرية بين الإنسان وغيره من الكائنات فإننا نجد أن هناك اختلافاتٍ جوهرية في مبنى الإنسان وغيره من الكائنات حاول داروين وأتباعه اتخاذها كدليل على صحة زعمهم فانقلبت عليهم وقامت كدلائل ضد فكرهم ونظرياتهم .

فقاموا بالمقارنة بين الإنسان في طوره الجنيني الأول والأطوار الجنينية للكائنات الأخرى مثل القرد وغيره ، ولكن خاب مسعاهم . وفي ذلك يقول توماس هنري هكسلي : —

« في مدارج متقدمة من تطور الجنين البشري ، تبدو الانحرافات التي تميزه من جنين القرد في حين أن جنين القرد ينحرف عن جنين الكلب في تخلقه بمقدار ما ينحرف جنين الإنسان عن جنين القرد وبالرغم مما في هذه الحقائق من الروعة البالغة فإنها حقائق تؤيدها المشاهدة[1] .

وقالوا بأن التوالد في الكائنات كلها والإنسان يتم بطريقةٍ واحدةٍ وأسلوبٍ واحد .

نعم ... فلو حتى اتفقنا معهم في ذلك فلابد وأن نأخذ في الاعتبار الاختلاف الواضح في الطباع وغير ذلك من الفروق الواضحة .

عندما نشر داروين كتابه نشوء إنسان عمل الكثيرون على نقض مذهبه ببراهين عدة ربما كانت ضعيفة في وقتها ، وهذا أمرٌ يختلف عن كثيرٍ من التصورات التي كانت موجودة في أوروبا مثل تصورهم حول وضع الأرض في الكون وكونها متحركة وأنها مركز المجموعة الشمسية إلى أن ظَهَرَ جاليليو وصحَّح هذا المفهوم بالتجربة العلمية والمشاهدات التلسكوبية . أما داروين فإنه لم يصحح مفهوماً خاطئاً بل خطأ مفهوماً صحيحاً وحاول الاستدلال على زعمه بملابساتٍ واضحة ومغالطات غريبة .

لقد أثَّر هذا المفهوم في حياة البشرية تأثيراً سيئاً فَوَقَفَ إنسان القرن التاسع عشر يترنح من أثر الصدمة ، هل يكذب عقيدته ودينه ويصدق أوهام ومزاعم ومشاهدات ينقصها الكثير من الدقة وينْتَحل لها المعاذير ليصل بها إلى مكانة الحقيقة العلمية ويكسبها صفة المسلَّمات من الأمور أو القضايا التي لا تحتاج إلى دليل أو برهان ؟

لقد أخذ الكثيرون من طالبي العلم والباحثين عن الحقيقة يتساءلون عن أصل الإنسان

---

(١) أصل الأنواع — داروين



http://al-maktabeh.com

ونشأته في كثير من الحيرة : هل هو حيوانٌ ولا شيء غير ذلك ما خطب إنسانيته ؟

وما خطب طبيعته المزدوجة التي رافقه الاعتقاد بها مئات الألوف من السنين .

ثم ما شأن الروح التي تخالط الجسد مخالطةً غريبة وأبدية وتحيط به إحاطة السوار بالمعصم .

لم تكن هناك إجابات لكل تلك الأسئلة وإنما تركت الإثارة الشك والبلبلة في نفوس المؤمنين ومزيداً من حيرة المثقفين والمتعلمين .

وسوف تظل الثغرة الموجودة في تصور تلك النظرية عن نشأة الإنسان قائمة تشهد بعجزها وقصورها تلك الحلقة المفقودة بين الإنسان وبين القردة العليا . ويجب أن يستقر في أذهاننا مدى الفرق الشاسع بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية فالحقيقة العلمية هي التي ثبتت نصوصها وموادها بما لا يدع مجالا للشك . نعم الحقيقة العلمية غير قابلة للتغيير أو التبديل والتعديل : كما أن الحقيقة العلمية لا تغير من تفسير الحقائق التي ثبتت صحتها[1] بينما النظرية العلمية أمثال تلك النظريات العاجزة هي التي لم يقم على صحتها دليلٌ يجعلها غير قابلة للتعديل أو التغيير أو التطور . كذلك فهي لديها القابلية بأن يضاف إليها عناصر أخرى هامة كانت تنقصها . كما أنها تعطينا التفسير العلمي لظواهر جديدة ، أثيرت حولها الشكوك ، ويمكنها أن تتنبأ بظواهر أو علاقات جديدة .

إذاً ... هناك فرقٌ بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية ، لذا وجب علينا أن نتريث قليلاً ... بل نقف كثيراً أمام كل نظرية جديدة وندرسها بعناية حتى نتأكد من صحتها . صحة مواد تلك النظرية بما لا يدع مجالا للشك فيها ... أى تتحول تلك النظرية إلى حقيقة علمية .

كان هذا ما ينبغي فعله على فكرة داروين عن نشأة الإنسان ، ونظريته ككل قبل أن تكون هناك صيحات أو أصوات تنادي باتباعها وتعجب بالجديد من العلم وما جاءت به قرية البشرية دون تحقيق أو رَوِيَّة . وإذا كان هذا هو موقف نظرية التطور من نشأة الإنسان فماذا كان من القرآن الكريم ككتابي سماوي ومنهج رباني فإن هذا الكائن العجيب ... الإنسان هذا ما نود الحديث عنه الآن .

## الإنسان في القرآن الكريم : ــ

إننا لو ألقينا النظر على ما عرض القرآن الكريم في قضية نشأة الإنسان وشرحه لمكانته لوجدنا الأمر مختلفاً تماماً عن تصور داروين وأتباعه ، إن مكانة الإنسان في القرآن الكريم لهى أشرف وأسمى مكانة له بين الكائنات الحية جميعاً .

---

(١) نظرية التطور بين العلم والدين ــ على أحمد الشحات

http://al-maktabeh.com

فهو الكائن العاقل الذي وهبه الله عقلاً راجحاً ، والمفكر الذي يزن قضايا الحياة بفكره الثاقب والمدبر الذي يدقق ويحلل فيدبر أمره على خير وجه وأحسن حيطة والمكلف الذي رضى لنفسه أن يحمل عبء الأمانة مع ما فيها من ظلم لنفسه وجهل لعواقب تلك المسئولية .

وهبه الله روحاً سامية ترنوا إلى عالَم الطهر والنقاء والحب والصفاء فتهفو إلى عالَم الملائكة تتشبه بها ... وجسداً في البنية قوياً وفي الأعضاء متناسقاً متماسكاً سخره الله لخدمته ، وجعله طوع إرادته ورهن إشارته إن شاء سلك به طريق الخير فكان من المهتدين واستحق الثواب في الآخرة وإن شاء سلك به طريق الشر والهلاك فكان من الضالين واستحق عقاب الله له في الآخرة .

**فقال في كتابه الكريم : ــ**

**« ولقد كَرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضَّلْناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً[1] » .**

نعم ... ذلك هو الإنسان الذي كرَّمه الله أيما تكريم وأعلى شأنه وسخر له ما في السموات والأرض مكَّنه فيها وجعل له فيها معايش وأحلَّ له الطيبات ورزقه منها وسَخَّر له الشمس والقمر والنجوم والسحاب والبحار والأنهار .

ذلك الإنسان الذي كرمه الله جل شأنه على كثير ممن خلق وفضله عليهم تفضيلاً . الإنسان الذي كرمه الله بالعلم والقدرة على الحفظ والمثابرة على الفهم والإدراك .

ذلك الإنسان الذي خلقه العزيز الحكيم في أحسن تقويم وأكمل هيئته ، فجعله يمشي منتصباً قائماً على قدمين اثنين بلا ذيل يعيبه أو حركات هستيرية تخرجه عن وقاره وهيبته .

ذلك الإنسان الذي انفرد دون سائر مخلوقات الله بأفعال لم تتواجد في كائن آخر واختص بصفات غاية في الغرابة والإبداع في نفس الوقت مثل الطغيان والفجور والظلم والكفر والخسران والكنود والجدل والهلع والجزع والضعف .

نعم ... ما كان لكائن أن يوصف بالظلم والجهل إلا الكائن العاقل لأن غير العاقل لا تُناطبه أى معرفة ، ولا يُطْلب منه أن يعرف الحد الذي يجب أن يقف عنده ولا يتعداه ... إنما الكائن العاقل فقط هو المسئول عن أعماله وإغفاله .

وهكذا يتحدث القرآن الكريم عن الإنسان حديثاً مستفيضاً ، يتناول خلقه ومنشأه وطبيعته وحقائقه ومكانته بين الكائنات الأخرى ومركزه في هذا الكون وعبوديته لله سبحانه وتعالى ومقتضيات ومستلزمات تلك العبودية ... كما يتحدث عن صفات الإنسان ونواحي

---

(١) سورة الإسراء (٧٠)



http://al-maktabeh.com

ضعفه وقوته وواجباته ومسئولياته وتكاليفه وكل ما يتعلق بحياته في دنياه ومآله في الآخرة .

**قال تعالى : ــ**

**« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفَلَ سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ[1] »**

معني ذلك أن الله تعالى قد خلق الإنسان في أكمل صورة وأحسن هيئة منتصب القامة ثم حدث أن سخط أو ارتد إلى هيئة أقل ورتبة أدنى وربما يصدق على ذلك ويقويه قوله تعالى : ــ

**« قل هل أنبئكم بِشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله ، مَنْ لعَنَهُ اللهُ وغَضِبَ عليه ، وَجَعَلَ منهم القِرَدَةَ والخنازيرَ وعَبَدَ الطاغوتَ ، أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواءِ السبيلِ[2] » .**

وربما كانت نشأة القردة والخنازير منذ ذلك الحين وأخذت شكلها وهيئتها الحالية من تلك الفترة ، أى أن هناك ارتداداً في الجنس البشري لجنس أقل وليس العكس هو الصحيح .

**خلق الله للإنسان : ــ**

**وقال تعالى : ــ**

**« ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنونٍ[3] »**

**وقال تعالى أيضاً : ــ**

**« إني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين[4] » .**

**« ولقد خلقناكم ثم صورناكم[5] »**

**« وخلقتَهُ من طـينٍ[6] »**

**« قال لم أكن لِأسجدَ لِبَشرٍ خلقتَهُ من صلصالٍ من حمإٍ مسنون[7] » .**

**« قال أأسجد لمن خلقت طينا[8] »**

من تلك الآيات القرآنية الكريمة من كتاب الله عز وجل يبين سبحانه وتعالى أن الإنسان الأول خُلِق من صلصالٍ من حمأ مسنون ، وهو الطين الذي يتكون منه الإنسان ، ثم صوره

---

(١) التين (٤ ــ ٦)
(٢) المائدة (٦٠)
(٣) الحجر (٢٦)
(٤) الحجر (٢٨)
(٥) الأعراف (١١)
(٦) الأعراف (١٢)
(٧) الحجر (٣٣)
(٨) الإسراء (٦١)

http://al-maktabeh.com

الله وسواه ونفخ فيه من روحه ومن هذا يتضح مقومات الإنسان ولم يتكون وفي هذا رد على من يدعى ويقول بفكرة التوتم .

وتقوم فكرة التوتم على الاعتقاد بأن الإنسان قد انحدر من كائنات حيوانية أو نباتية أو من ظواهر طبيعية كالبرق والرعد والشمس والقمر ، وأنه كان في الزمان الأزلي متحداً معها ، ثم خلقت له أعضاء بشرية فأخذ يمشي على الأرض من حيث بقيت هي على طبيعتها الأصلية وبذلك يكون التوتم هو الحيوان أو النبات أو الظاهرة الطبيعية التي انحدر منها الجد الأعلى أو الجد الأسطوري واستحال إلى إنسان .

**٢ ــ إخبار الله بمهمة الإنسان في الكون : ــ**

**قال الله تعالى : ــ**

**« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة[٢] » .**

فالله سبحانه وتعالى أخبر بالإنسان وبيَّن مهمته وأنه سيكون خليفة الله في الأرض ليعمرها فإذا دققنا النظر في هذا نجد أن الله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيىء والمتصرف في الكون كيف يشاء يقدم للحدث الكبير ــ وهو وجود الإنسان بالإخبار عنه وحتى لا يكون ذلك مفاجأة لتعيه مخلوقاته المكوِّنة للمجتمع الكوني في السموات والأرض وما بينهما وحتى يوجد الاستعداد النفسي عند هذه المخلوقات والرضا بوجود هذا المخلوق الجديد والاقتناع بوجوده ومكانته والتعاون معه وفي خدمته لأن المخلوق المأمور إذا كلف بشيىء وكان مقتنعاً به ومسلِّماً بضرورته كان أداؤه على أكمل وجه وكان طائعاً عن رضا واختيار .

كما أننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يخبر بالحدث العظيم اختار الملائكة بالإخبار الأول ذلك باعتبارهم أفضل مخلوقاته ــ قبل وجود الإنسان ــ وأرقاها خلقاً وتكريماً وليرى الله أثر هذا الخبر عليهم وإجابتهم على علم الله مسبقاً بذلك . ولكن لينطقوا بما يضمرون ويعترفوا بما في نفوسهم فيحاسبون بما بدر منهم وظهر .

**٣ ــ موقف الملائكة من الإنسان : ــ**

**قال الله تعالى :**

**« قالوا أتجعلُ فيها من يُفْسدُ فيها ويَسْفِكُ الدماءَ ونحن نسبحُ بحمدك ونقدسُ لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون[٣] » .**

---

(٢) البقرة (٣٠)

(٣) البقرة (٣٠)



http://al-maktabeh.com

وفي هذه الآية الكريمة يتضح موقف الملائكة من هذا الحدث وهو عدم الاقتناع بوجود الإنسان ولكن بأسلوب مهذب وهو ما يجب لأنه صادر من الأدنى للأعلى ، فكان اعتراضهم بإظهار مساوىء الإنسان وهو الفساد والإفساد وسفك الدماء وفي مقابل ذلك إظهار المحاسن في الطرف الآخر وهو تسبيحهم بحمد الله وتقديسه وبذلك أظهروا ما يكتمون واعترفوا بما في نفوسهم وبيَّنوا نظرتهم لهذا المخلوق الجديد وهو الإنسان ــ وأوضحوا رأيهم فيه .

ويتلخص كلامهم في أن الإنسان لن ينفع الكون ولن يستفيد منه وأنه لن يكون مسبحاً بحمد الله ولا مقدِّساً لذاته وإنما سيكون أسلوبه في الحياة الإفساد وسفك الدماء . وهناك من المفسرين من قال : إن سبب ردهم إنما راجعٌ في أساسه لعلمهم بما فعلته الجن في الأرض قبلاً عندما سكنت فيها قبل وجود الإنسان فأفسدوا الحياة فيها وسفكوا الدماء .

ومعنى ذلك أنه لا حاجة لوجوده بل الضرورة والمصلحة تحتم عدم وجود الإنسان فهم قد نظروا لمساوىء الإنسان وبينوها ولم يلتفتوا إلى محاسنه ، ولم يفهموا إشارة الله سبحانه وتعالى إلى ذلك ، حيث بيَّن مهمة الإنسان في الأرض وهي الخلافة وأن الإنسان سيكون خليفة الله في الأرض وفي ذلك من المحاسن مالم تدركه الملائكة أو لم تذكره ولذلك رد الله عليهم بقوله تعالى : ــ

**« قال إني اعلم ما لا تعلمون »**

**٤ ــ تعليم الإنسان لتأكيد أفضليته وتسليم الملائكة لذلك : ــ**

**قال الله تعالى : ــ**

**« وَعَلَّم آدمَ الأسماءَ كلها ثم عَرَضَهُمْ على الملائكةِ فقال أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتم صادقين . قالوا سبحانكَ لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليمُ الحكيمُ . قال يا آدمُ أنبئْهُم بأسمائِهِمْ فلما أنبأهُم بأسمائِهِمْ قال ألم أَقُلْ لكم إني أعلمُ غيبَ السمواتِ والأرضِ وأعلمُ ما تُبْدُون وما كنتم تَكْتُمون[1] » .**

بيَّنت لنا الآية أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم الإنسان الأسماء كلها ، وأن الإنسان الأول لم يكتسبها بمجهوده وذلك بخلاف ما قالت به النظريات المادية من حدوث الكون بالصدفة وتعلم الإنسان للغات وأيضاً بما يشبه ذلك من طرق تشبه الهذيان كما أثبتت الآية أن الإنسان لم ينشىء هذه الأسماء أو اصطلح عليها وإنما الحقيقة المؤكدة والأمر الواقع بأنه تعلمها من الله سبحانه وتعالى .

كما وضحت لنا هذه الآية أن الله تعالى العالِم بكل شيىء علم الإنسان الأول الأسماء

---

(١) البقرة ( ٣١ ــ ٣٣ )

http://al-maktabeh.com

ليثبت للملائكة بالحجة والبرهان أن الإنسان الذي خلقه هو مخلوقٌ أفضل منهم ولذلك ميزه بما لم يميزهم به حيث علمه الأسماء كلها ولم يعلمها لغيره من المخلوقات ، حتى يبقى ما عداه دونه وليكون الإنسان دائماً متفوقاً على جميع مخلوقات الله .

كما أننا إذا لاحظنا ما فضَّل الله به الإنسان على سائر خلقه ، نجد أن الله فضله بالعلم دون غيره من أسباب التفضيل ولذلك علمه الأسماء كلها .

وبعد أن بيَّن الله للملائكة أنه خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأ مسنون وعلم الملائكة مقومات الإنسان ومكوناته وبناءً على ذلك عرفوا عيوبه ومساوئه فوجدوا في أنفسهم شيئاً بعد أن أخبروا بمهمة الإنسان في الكون وأنه سيكون أفضل منهم ومن جميع المخلوقات لأنه سيكون خليفة الله في الأرض ليعمرها بالذرية الصالحة ويملؤها بالعمل الصالح وطاعة الله وإقامة شعائره أراد الله سبحانه وتعالى بعد علمه بما يكتمون في نفوسهم وأن يثبت للملائكة بالحجة والبرهان أن الإنسان الذي خلقه هو مخلوق أفضل منهم ، فميزه بما لم يميزهم به فعلمه الأسماء كلها ثم اختبرهم فيها وتحداهم بآدم ، وهو يعلم عجزهم حتى يقتنعوا ويسلموا بأفضلية الإنسان عليهم فكانت إجابتهم تبريراً لعجزهم حيث قالوا : ــ

**« سبحانك لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليمُ الحكيمُ[1] » .**

نعم ... طلب الله من آدم أن يجيب عما عجزوا عنه فلما أنبأهم بأسمائهم وثبت تفوقه عليهم وعلمه بما لا يعلمون مما يجعله أفضل منهم ، وذلك بالحجة الدافعة والبرهان القوي والدليل القاطع أراد الله أن يؤكد خطأ توقعهم في اعتراضهم على وجود الإنسان وذلك بوصف الإنسان بالفساد وسفك الدماء وأنهم تحدثوا بما لا علم لهم به ، وأنهم لم يقدروا الإنسان حق قدره حيث ذكروا المساوىء ولم يذكروا محاسن الإنسان لأنهم يكتمون خلاف ما يظهرون وأنه كان يجب عليهم التسليم بأمره وعدم الاعتراض ــ أو بمعنى آخر الإستفسار ــ وبذلك قال الله للملائكة بعد أن أنبأهم آدم بالأسماء .

**« ألم أقل لكم إنى أعلمُ غيبَ السمواتِ والأرضِ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكْتُمون[2] » .**

نعم ... لم يكتفِ الله تعالى بالتسليم السلبي وهو السكوت لأن السكوت هنا ليس علامة على الرضا وخاصة بعد اعتراضهم الضمني بذكر مساوىء الإنسان الفاسدة بل طلب من الملائكة السجود لآدم وذلك غاية التسليم بتفوق الإنسان وأفضليته وعندما حدث التسليم الفعلي وسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، ظهر المعترِض الذي لم يصرح قولاً بالاعتراض المنفرد وذلك واضحٌ من قوله تعالى : ــ

---

(١) البقرة (٣٢)

(٢) البقرة (٣٣)

http://al-maktabeh.com

« **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون إلا إبليسَ أبى أن يكونَ مع الساجدين**[1] » .

وأخيراً نود أن نعود إلى ما كتبه الأستاذ فتحى رضوان بشأن خلق الإنسان وخلافته في الأرض فلقد تعرض لتلك المسألة وشرحها شرحاً واعياً وناقش آراء كبار المفسرين لتلك المفاهيم أمثال الإمام القرطبي عن أحمد بن يحيى وابن زيد والطبري عن الحسن وقتاده واستشهد أيضا بما ورد في تفسير المنار حيث أنه يرى أن خلافة الإنسان معناها خلافته لله عز وجل في عمارة الكون وامتداد الحياة بها لا خلافة الإنسان لغيره من الجن وما أشبه ذلك فيحسن الرجوع إلى ذلك .

ولكننا نستطيع أن نوجز بعض ما ذكر من حقائق القرآن الخالدة في هذا الصدد كالتالي : ــ

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى أنبأ الملائكة بأنه سيستخلف في الأرض خليفة .

ثانياً : إن هذا الخليفة هو آدم بالذات .

ثالثاً : إن الملائكة استفسروا أو أظهروا الدهشة ، أو اعترضوا لأن الله تعالى أذن لهم أن يقولوا ما بدا لهم باعتبار أن خلق صنفٍ آخر من مخلوقات الله أمرٌ يحتاج إلى تلقين وتفهيم وتعلم لعظم المهمة التي ستقوم بين الملائكة وهذا الصنف الجديد الذي سيكون منه الأنبياء والمقربون والشهداء والصالحون كما سيكون منه الكفار والمشركون وشياطين الإنس وسيصدر عن ذريته الفساد وسفك الدماء .

رابعاً : إن هذا المخلوق الجديد الذي خصه الله تعالى بعنايةٍ خاصةٍ كانت بدايتها كلام الله تعالى إلى ملائكته عنه وإنبائهم باستخلافه وتساؤلهم عن مسوغ هذا الاستخلاف مع ما في هذا المخلوقٌ من آفات كأن هذا المخلوق الجديد وظهوره على الأرض امتحانٌ للملائكة فاكتفوا بالدهشة والتساؤل إلا إبليس أبى واستكبر .

خامساً : إن الله تعالى لم يلبث حتى امتحن الملائكة بما يعرفه آدم فثبت لهم أنه أعلم منهم فأدركوا أن الخلافة ما يسوغها .

سادساً : ثم انتهى هذا كله إلى أمرٍ من الله للملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا .

هذه الآيات هي ركن الزاوية في البناء الفكري ، الذي أقامه الإسلام على قاعدة المبدأ العام « **ولقد كرّمْنا بني آدم**[1] » وان تمييزه الإنسان على من سواه من المخلوقات سواء مرئية أو غيبية .

---

(١) الحجر ( ٢٩ ــ ٣١ )

(١) الإسراء (٧٠)

http://al-maktabeh.com

سابعاً : استعداده العقلي والنفسي والروح للتلقي والتعلم والتقدم .

ثامناً : إنه معرضٌ للخطأ والزيف والضلال وإنه قادرٌ على الإتيان بجلائل الأعمال والتردي في المعاصي والذنوب وإن ما بدا من نقص في هذا الجانب هو ما هيأه لمقام الخلافة دون غيره من عباد الله حتى الملائكة .

**التطور والمفهوم الحقيقي له : ــ**

لقد راجع العلماء مفهوم التطور المطلق الذي أضفى على نظرية التطور فأثبتوا أن حقائق الأشياء ثابتة لا تتغير ولا تتبدل وإنما الذي يتغير هو الصور فقط فعلى سبيل المثال نزعة الطعام والميل إليه لا تزال ثابتة وكائنة في الإنسان وإنما الذي تغير هو صور الطعام بتعدد أصنافه وأشكاله وكذلك نزعة اللباس لازمةٌ وثابتةٌ ولكنها تأخذ صوراً وأشكالاً وهيئاتٍ مختلفة وكذا القتال واتخاذ المسكن ... الخ .

وبرهن العلماء كذلك على أن التطور ليس قانوناً أخلاقياً لأن الأخلاق كذلك ثابتةٌ والقيم أيضاً ليست من المتغيرات فإنها لا تخضع لهذا المفهوم فصفة الشجاعة مثلاً كمفهومٍ متعارف عليه في أى بلدٍ من بلدان العالم هو في أي بلدٍ آخر أى سوف تُفْهَم كصفةٍ لها متطلبات كالجبن والخور مثلاً فلن يتطور مفهوم الجبن يوماً ما ويحمل معنى من معاني الشجاعة جديداً أو متطوراً ، وليس من الضروري كما أثارت نظرية التطور أن يكون كل طور أفضل من الطور الذي سبقه فإن التطور قانونٌ اجتماعيٌ يتحرك في إطار الثوابت ولا يقتضي مطلقاً تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة فربما كان العكس هو الصحيح وكان الطور الأخير أسوأ من سابقه فالتطور ليس كله تقدماً وليس كل جديد هو الأصلح دوماً ، وهذا معروفٌ في عالمنا اليوم فما أن يصمم المخترعون مثلاً جهازاً جديداً بإضافاتٍ تكنولوجية حديثة إلّا وتظهر معه بعض السلبيات والنقائص كأجهزة القياسات الخاصة بتعيين تركيز العناصر في المواد بواسطة أشعة الامتصاص الذري وغيرها جعلوا منها أنواعاً مزودة بدوائر إلكترونية وشاشات تليفزيونية وذلك لسهولة الاستعمال وعدم بذل الكثير من المجهود في تشغيلها ولكن ما إن يحدث فيه أى عيب ولو كان على قدرٍ صغيرٍ جداً حتى يمله الإنسان ويود لو أنه استعمل نوعاً أبسط في تركيبه وأقل في تعقيداته فيحبذ استعمال النوع السابق له . هذا في عالَم الآلات والأجهزة فما بالنا بالإنسان أو الكائنات الأخرى .

ثم إن التطور غير التطوير فالتطوير معناه التعديل داخل إطارٍ خاص أو مجالٍ محددٍ ومعينٍ في بعض وظائفه أو تحسينها لتؤدي دورها على وجهٍ أحسن أو بطريقةٍ أفضل أما التطور فهو حالةٌ ينتقل فيها الوضع من شيء إلى شيء آخر يختلف عنه في الكثير من حالته السابقة ، وإذا ما أردنا أن نستصحب فهمنا للغة العربية فنقول : ــ

إن التطور يُقْصَد به التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها ومعنى



http://al-maktabeh.com

تطور أى تحول من طور إلى طور أو من حالٍ أو هيئةٍ وذلك من قوله تعالى : ــ « وقد خلقكم أطواراً[1] » أى المراحل المختلفة التي مر بها تكوين الإنسان من نطفةٍ معلّقة فمضغة فعظم ثم كساء العظام اللحم وتسوية بشراً سوياً متكاملاً في الخلقة والتكوين آ

فالعلماء بذلك إنما زيفوا زعم سبنسر بأن التطور الاجتماعي تطورٌ حتميٌ لا شعوري بل إنه يتحرك في دائرة الثواب فقط ثم إن التطور في الحياة قد يكون ارتقاءً وقد يكون أيضاً ترديا وانتكاساً « وكنا نود في الواقع ألا يلتزم رجالُ مجمع اللغة العربية في تفسيرهم أو بيانهم لمفهوم كلمة التطور في باب طور بالتفسير العلمي التجريبي الذي يخضع في ظاهره للواقع والمشاهدة ولكنه بالطبع متغير وليس له صفة الثبات مع التقدم العلمي المعملي ولكن كان أحرى بهم أن يبحثوا في أصل الكلمة واشتقاقاتها من الناحية اللغوية البحتة بعيداً عن متغيرات العلم والاستشهاد به .

**يقال : عدا فلان طوره ــ أى تجاوز حده .**
**يقال : فعل كذا طوراً بعد طور ــ أى تارةً بعد تارة .**

وقوله تعالى : « **وقد خلقكم أطواراً** » قيل هو إشارة إلى نحو قوله تعالى « **خلقكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ** » .

وقيل إشارة إلى نحو قوله تعالى : ــ

« **واختلاف ألسنتكم وألوانكم** » ــ أى مختلفين في الخُلق والخَلْق ولكم أعجبني حقيقةً مفهوم التطور في المعجم الفلسفي الذي وضع مفهوم الكلمة ومدلولها لغوياً قبل أى شيىء آخر فقال : ــ

**التطور في الفرنسيـــة**
**التطور في الانجليزيـــة**
**التطور في اللاتينيـــة**

**التطور الحال ، وجمعه أطوار قال تعالى : ــ**

« **وقد خلقكم أطواراً** » أى ضروباً وأحوالاً مختلفة أو قيل الناس أطوارٌ أى اضياف على حالاتٍ شتى وقد اتخذ أهل زماننا من هذا الاسم فعلاً جديداً فقالوا : طور الشيىء نقله من طورٍ إلى طور وتطور الشيىء أى انتقل من طورٍ إلى طورٍ كلٌ واحد إلى حدة واشتقوا من فعل طور اسم التطوير ومن فعل تطور اسم التطور .

إن اكثر العلماء يقولون اليوم إن معنى التطور يتضمن معنى الارتقاء ولكننا إذا أردنا بالتطور مجرد التبدل لم نضمنه معنى الارتقاء ، لأنه يدل في هذه الحالة على التبدلات الضرورية التي تطأ على الشيىء من غير أن تكون متجهة إلى غاية معينة ، خلافاً للارتقاء الذي يتضمن

(١) نـوح

http://al-maktabeh.com

معني الانتقال من الأدنى إلى الأعلى ومن الحسن إلى الأحسن ففي كل ارتقاء تبدل وليس في التبدل الارتقاء[1] .

وبهذا على ما أعتقد يكون قد وضح المفهوم الصحيح لنا لمعنى التطور ولكن ماذا عن العلاقة بين الوراثة بقوانينها ونظرياتها ونظرية التطور وإلى أى مدى كانت الوراثة بمثابة الضربة القاضية لتلك النظرية ، هذا ما نود نعرض له في الفصل القادم إن شاء الله

## سادسا : الوراثة تهدم نظرية داروين

إن الإكتشاف العلمي الذي هدم نظرية داروين من أساسها هو إكتشاف اختلاف وحدات الوراثة التي أثبتت إستحالة تطور الكائن الحى وتحوله من نوع إلى آخر .

ويرحم الله صاحب الظلال حينما قال في خواطره الإيمانية الفياضة وتفسيره الجليل المبدع لآيات القرآن الكونية .

« هناك عوامل وراثية كامنة في خلية كل نوع ، تحتفظ له بخصائص نوعه ، وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ منه ، ولايخرج أبداً عن نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد ، فالقط أصله قط وسيظل قطاً على توالي القرون ، والكلب كذلك والثور والحصان والقرد ، وكل ما يمكن أن يقع ــ حسب نظريات الوراثة ــ هو الارتقاء في حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر » [2]

وهذا هو الإكتشاف العلمي الطبيعي الذي أعدم نظرية داروين وأقبرها وقضي عليها وهو ما أشار إليه الفليسوف برتراند راسل حين قال :

« لقد أخطأ داروين في قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين مندل تغييراً كلياً[3] بل وتبلغ نظرية داروين قمة التفاهة والسخافة حين أعلن عن موقفه من نظريته حيث قال :

موقفي حول هذا الموضوع ــ أى أصل الإنسان هو موقف ال ( لا أدري ) ولا أستطيع أن ألقي بصيصاً على مثل هذه المشاكل العميقة [4] ولكننا نود أن نتساءل ما هي ميكانيزم تطور الكائنات وتعقيدها ؟

---

(١) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية للدكتور / جميل صليبا ــ المجلد الأول ص ١٩٤

(٢) للشهيد / سيد قطب ــ في ظلال القرآن

(٣) النظرية العلمية ــ برتراند رسل .

(٤) الإسلام بنظرة عصرية ــ ص ١١٤ محمد جواد



http://al-maktabeh.com

## ما هي ميكانيزم تطوير الكائنات وتعقيدها ؟

هل هناك ميكانيزم أو خطة عمل بيولوجية تتطور بها تدريجياً الكائنات البسيطة الدنيا إلى كائنات راقية أكثر تعقيداً ؟

إن خطة عمل كهذه يجب أن تتبع علمياً علم الوراثة .

نعم ... ففي القرن الأخير بدأ العمل في تلك القضية بروح التفاؤل ظناً بأن الإجابة عن مقدار المرارة التي تسبب لأصحاب النشوء والارتقاء عند تجرعها .

إننا نعرف اليوم كل أنواع القواعد التي تجتاز خلالها مجموعةٌ سكانيةٌ معينةٌ من أحد أنواع الحيوان مثلاً عدداً من التحولات الوراثية خلال أجيال متعاقبة . تتواجد العوامل الوراثية في الكائنات الحية على ما يسمى بالجينات . وهى كما بيَّنا قبلاً تراكيب متناهية الدقة موجودة في قوى الخلايا الجسديةوالخلايا التناسلية أمام مختلف أنواع التأثيرات الخارجية تجتاز الجينات المتحكمة مختلف أشكال التحولات الاعتباطية ( طفرات ) .

كنتيجة لذلك تبدأ الجينات بالتصرف على نحوٍ مختلفٍ وعلى الغالب بفاعليةٍ أقل ، أو حتى تتوقف عن العمل كلياً ، كائنات ذوات جينات كهذه هى بالطبع أقل قدرةً على الإبقاء على نفسها ولذلك تموت في فترة مبكرة أو لا تكون قادرة على التكاثر بشكلٍ كافٍ .

يدعي النشوئيون بأن التطور يتم عندما تنشأ الطفرات التي تكون موائمة في ظروف معينة فتزود الجسم بإمكانيات افضل لحماية نفسه . الواقع أن هذا يحدث نادراً . فعند تغيير الظروف البيئية فإنه قد يؤدي إلى طفرة معينة ( أى يحدث تغيُّر إلى وضعٍ أفضل ) وعندئذ ترى أن الكائنات التي لا تمتلك هذه الطفرة الخاصة تختفي تدريجياً من بين المجموعة السكانية .

ولكن يجب أن نعلم وبصورة أكيدة أن هذه في منتهى الندرة وحين تظهر تكون ذات طبيعةٍ مؤقتةٍ على العموم هذه تحدث لأن الإنسان أدخل تغيراً جذرياً على البيئة . فضلاً على ذلك فهى تبرهن فقط على أن المجموعات السكانية تستطيع تحمل ذبذبات معينة ، وليس لهذه أية علاقة على الإطلاق مع موضوعنا وهو كيف أن الكائنات العليا التي هي أكثر تعقيداً ، وذات تركيبٍ أكثر تكاملاً فلا يمكن أن تتطور من الكائنات الدنيا .

لقد اقتنع علماء علم الوراثة منذ أمدٍ طويل بأن طرق العمل الوراثية في الكائنات الحية لا تحاول تغيير المجموعة السكانية بل بالأحرى تحافظ على توازنها وثباتها قدر الإمكان . تحت تأثير التغيرات البيئية ، ومن الممكن أن يظهر ضمن نطاق المجموعة السكانية ذاتها كل أشكال التغيرات ولكن هذا شيءٌ يختلف بالمرة عن التطور السكاني بكامله نحو حلقةٍ أرقى في سلم النشوء .

http://al-maktabeh.com

الأفضل عزيزي القارىء أن تتأكد من أنك فهمت هذا الأمر كما يجب ، لأنه يوجد مقدارٌ كبيرٌ من التضليل في هذا المجال فإلى حدٍ بعيدٍ تتعلق معظم البراهين البيولوجية للتطور الموجود في الكتب العلمية عامةٍ والتعليمية بصفةٍ خاصةٍ بتغيراتٍ داخل نطاق المجموعة السكانية .

أحيانا ندعو هذه التغيرات النشوء الصغير ولكن هذا التعبير في الحقيقة مضلل لأنه لا ينطوي على شيءٍ من النشوء .

إنه مجرد تغيير أو إختلاف ... تذبذب لا ترقي .
وليس لهذه البراهين البراقة من النشوء الصغير أى إرتباط بموضوعنا .

## سابعا : لماذا هـذه اللمسـة الجمالية في المخـلوقات

إننا نريد الآن أن نساير داروين في تصوره إلى حدٍ ما ، لنرى إلى أى حدٍ بَعُدَ عن الحقيقة وشط عن الصواب . فنقول :

إذا كانت الطبيعة كما يعتقدون تبقى حقا على هؤلاء الأفراد الذين يملكون الصفات التي تؤهلهم لمواءمة البيئة وتساعدهم على مواجهتها ، فلماذا إذا أبقت على هذا الجمال دون أن تمتصه عند كل تطور ، أو تذيبه أو تختزله عند كل ترقٍ فتجعل الصنف الواحد موحداً ، والنوع الواحد نمطياً .

ولماذا لم تتلاشى هذه الصفة من تلك الفراشات ذات الأجنحة الزاهية في ألوانها الرائعة في رسمها إعمالاً بقانون الاستعمال والإهمال ؟

كذلك لم يفسر لنا داروين أو يجيب ...
لماذا ظل تاج هذا الهدهد قائماً على رأسه حتى الآن ؟
كذلك أسباب جمال هذا الديك المتميز عن الدجاجة ؟
كذلك لم يفسر لنا أسباب وجود بعض الأشجار التي ليس لها فائدة ولا ثمر ولا حتى ظل يذكر ، لا يمنع من حر ولا مطر ؟

ألاَ يعد ذلك قصوراً واضحاً في نظريته وعيباً كبيراً يبقى لدهر شاهدٌ على عجزها ؟

### أ ــ ماذا عن أنواع الجمال في الطبيعة ؟

هذه مسألة غفل عنها الداروينيون بل ربما غابت عن ذهنهم تماماً ولكنها في الحقيقة من الممكن أن تقوم دليلاً ضدهم ولم يحاولوا أن يجدوا لذلك تفسيراً ...

ما فائدة ما تبديه الطبيعة من أوجه الجمال المتعددة الألوان ؟

http://al-maktabeh.com

هل يمكن لنظرية الإنتخاب الطبيعي أن تجد تعليلاً لمنشأ الجمال في شتى ألوانه في الطبيعة غير الحية ؟

هذا الجمال بألوانه المتعددة لا يمكن تعليل وجوده على أسس نظريات النشوء . تلك النظريات العاجزة والتي سوف يتضح لنا أنها لن تثبت معنا في تلك المسألة .

فجمال ريش الطيور لا يجديها فتيلا بل العكس يعمل على إبراز لونها وكشفها لأعين أعدائها وريش الطاووس الزاهي الألوان إنما يجعل الطائر الذي يتجمل به في مأزق عندما يهاجمه عدوٌ مثل الثعلب .

إن داروين في الحقيقة عندما لمس هذه الظاهرة أو تعرض لتلك المعضلة أخطأ فى تفسير تلك الظاهرة أو جَانبه الصواب كثيراً عندما تقدَّم بما سماه نظرية الانتخاب الجنسي ليوفّق بين نظريته حسب مفهومه وبين وجود نواحي الجمال في ما يختص بعالم الحيوان فإنه وإن كان أمراً متفقاً عليه أن الألوان الزاهية والروائح الجذابة في النبات لها نفعها وقيمتها إذ يجتذب بها صنوف الحشرات التي تقصده سعياً وراء الرحيق وبذلك يعمل على التلقيح الخلطي له بنقل حبوب اللقاح من زهرةٍ إلى أخرى هذه حقيقةٌ لا ينكرها أحد ولكنها لا تستطيع أن تعلل الداعي لوجود أنواع الجمال أم كان يكفي لونٌ واحد أو لونان زاهيان للأزهار ليؤديا نفس الغرض ؟ على أن الأمر الأكثر غرابة والذي لا يمكن تفسيره بأمثال هذه النظرية المفتعلة أن بعض الزهور التي يتم فيها التلقيح ذاتياً نراها زاهية الألوان كغيرها من الزهور التي تحتاج إلى إغراء الحشرات المتنوعة لتلقيحها وعلى العكس من ذلك توجد كثيرٌ من الأزهار غير الجذابة في ألوانها وبالرغم من ذلك تقوم الحشرات بتلقيحها فماذا تفسر هذه الحقيقة ؟

إن داروين فى نظريته عن الإنتخاب الجنسي يقول أن الحيوانات في فترة التلقيح تلبس أبدع رداءٍ لها أو تغنى أجمل أغنية مدعياً أن هذه المغريات التي تبديها تقصد بها إثارة متعة الجنس الآخر فيكون بحسب هذه النظرية أن الذكر القبيح اللون أو البشع الصوت من نصيبه الإشاحة عنه من الإناث ولذلك فلا ينسل نسلاً يخلف قباحته وهذا على حد زعم داروين هو سر بقاء الأصناف الجميلة وانتشارها في الكون ولكننا نريد أن نتساءل :

هل الأصناف السيئة أو القبيحة لم يَعُدْ لها وجود واندثرت تماماً ؟
بل على العكس من ذلك فهي موجودةٌ جنباً إلى جنبٍ مع الأصناف الجميلة من ناحية وإنه من الواضح أن هذا التفسير خاطئٌ من ناحية أخرى لأنه يفترض وجود إحساس أدبي سامٍ عند الطيور ولكن هذا في الحقيقة بعيدٌ عن الواقع ومجافٍ له تماماً.

كما أنه لا يجب أن تفوتنا تلك المشاهدات التي سجلها العلماء وهى أن الألوان

http://al-maktabeh.com

الجميلة إنما توجد بكثرة بين أنواع الفراش الدنيئة وفي الطيور أكثر مما نجده في الثدييات الأرقى والتي من المفروض أن يوجد قسط أكبر من الذكاء لديها عما هو في الحشرات ، فهل يتألق الفراش حقا بألوانه الزاهية ليجذب الجنس الآخر .

أعتقد بعد هذه التساؤلات يتضح لك الإجابة عنها لأنه بشيىء من الروّية التفكير تستطيع أن تقول بكل ثقةٍ إن هذا المحض خرافةٍ لأنه إذا كان الجواب بالإيجاب فكيف تفسر هذه النظرية سر وجود الجمال بين عذارى الفراش التي بلغ بعضها من الجمال حداً رائعاً رغم أنه ليس بينها ذكور وإناث فلماذا وجد هذا الجمال فيها ولأى غرض ؟

هل حقا كانت للإغراء الجنسى الذي قال به داروين وأتباعه ؟

بالطبع كلا ....

ثم إننا نريد أن نتوقف هنا قليلاً ..

ماذا تكون حال الدنيا لو خَلتْ من ألوانها ومن كل ما فيها من أصوات رخيمة ولنتخيل لون السماء وقد بدا الدوام أسود مغبراً أو نتخيل غروب الشمس وقد لاح بشكلٍ رمادي ولنتصور حالة الكون وقد خلا من زنابق الحقل وألوان الزهور اليافعة وجمال ألوان ريش الطيور وأشكالها البهيجة وشجى أصواتها وأنواع الحيوان متعدد الأشكال والألوان .

وغير ذلك من ألوان الجمال المتنوعة وضروبه المختلفة والمتعددة في الطبيعة .

ماذا لو تصورنا مثلاً أن الكون لم يحوِ إلا القليل من أنواع الحيوان فقط ؟ الأمر الذي ما كان يستلزم أن يكون الإنسان مزوداً بآذان تتذوق جمال الموسيقى ونغماتها الرفيعة ولا حاسة فنية تستطيع أن تتذوق الجمال وتتمتع به لنقارن بين تلك الصورة القاتمة للحياة الذي كان من الممكن أن تظهر بها إن كانت هى بالطبع وليدة الصدفة العمياء ....

نعم .. لنقارن بين تلك الصورة العامة التعيسة القاتمة وبين شكلها الحالي البهيج لذي تجملت به وما نحن عليه من القدرة على التمتع بمباهج ما حولنا ، فلا نجد مناصاً من قبول الحقيقة السافرة الواضحة في يسرها وبساطتها ، وهى أن السبب الحقيقي والمعقول أيضا لتعدد أنواع الجمال وكثرتها في الطبيعة كما نراها من حولنا ليس إلا كونها من صنع الخالِق ، صنع الموجد الأول المنشىء من عدم .. صنع الحكيم الذي يضع الشيىء في موضعه السليم المبدع الذي تحدي خلقه أجمعين في إبداعه ورونقه .

إن تعدد أنواع الجمال وتباين صنوفه وتنوعها قصد بذلك الحق تبارك وتعالى أن يجعل ذلك مسرة لخلقه ونفعهم وتعليمهم .. وإن ما نراه من دقة الصنع والروعة في

http://al-maktabeh.com

التركيب في أدنى المخلوقات ليدلنا على مدى عناية الخالق بمخلوقاته وما نراه بين النجوم من مسافاتٍ تتحدى مدى التقدير ليشعرنا بمدى عظمة قدره واتساع ملكوته وأزليته ذلك الخالق العظيم سبحانه .

**ب ــ هل محاكاة البيئة نتيجة للانتخاب الطبيعي ؟**

أولا : نريد أن نوضح مفهوماً هاماً وهو المعنى بحديثنا الآن ... ما هو مفهوم المحاكاة لدى الكائنات لقد استغل هذا المفهوم استغلالاً سيئاً أو أسيء فهمه وسوف نرى ذلك بوضوح .

المحاكاة ظاهرة يقصد بها تقليد الكائن الحى لشكل أو لون السلوك لكائن حى آخر وقد فسر التطوريون هذه الحقيقة كما أسلفنا ــ لصالح الانتخاب الطبيعي فقالوا بأن هذه الخاصية ساعدت على بقاء الأحياء إذ مكنتها من الدفاع السلبي عن نفسها باختفائها من أعين أعدائها أو بتقليدها لكائنٍ حى آخر شر الطباع أو غير مستساغ الطعم بالنسبة للأعداء فتنجو بذلك من هلاكٍ محقق وضربوا لذلك أمثلةً لأول وهلة صحيحة وتؤدي الغرض الذي سيقت من أجله ولكن بشيءٍ من الرويَّة في التفكير وهدوء النفس نرى الحقيقة جلية واضحة ومغايرة تماماً لِما يعتقدون أو يؤمنون .

فقالوا مثلا :

١ ــ إن الذبابة التي تقلد شكل النحلة تنجو في الظروف التي تنجو فيها النحلة .
٢ ــ إن الفراشة التي تقلد شكل أنواع أخرى من الفراش غير المستساغ الطعم لدى الطيور تكون لها فرص للنجاة من فَتْك تلك الطيور مثل ما للفراشة المقلدة غير المستساغة الطعم .

ولكننا نريد الآن أن نمعن النظر قليلاً فيما سبق لنرى إلى أى مدى يكون نصيب ذلك من الحقيقة أو الصواب .

ولقد أثبت البحث العلمي أن هذا ادعاءٌ مبالَغٌ فيه إلى حدٍ كبير وأنه تفسيرٌ فاسدٌ كليةً ويتضح ذلك من الحقائق التالية :

١ ــ وجد فعلاً أن عدداً كبيراً من الفراش المقلد إنما يقلد أنواعاً أخرى من الفراش مستساغة الطعم لدى الطيور كما وجد أن بعض الحشرات تقلد الشكل الظاهري للبعوضة وليس من المعقول أن هذه المحاكاة تهدف خداع الطيور عن شكل الحشرة فما الداعي إذن لهذه المحاكاة ؟

هذا سؤالٌ كان يجب أن يطرحه الدروانيون على أنفسهم قبل أن يعلنوا على الناس تفسيراتهم ومعتقداتهم حول الانتخاب الطبيعي على الأقل من باب

http://al-maktabeh.com

الأمانة العلمية التي تفرض على الباحث أن يدرس الموضوع أية مسألة من المسائل العلمية من جميع نواحيها لأن يحاول أن يوفق بين ما يعتقده وما يشاهده من باب لوى الحقائق ووضع شروحات وتفسيرات غريبة وأبعد ما تكون عن الحقيقة والصواب .

٢ ـ يوجد في أفريقيا نوعٌ من الفراش كبير الحجم يعرف باسم (Papilo dardenas) وبينما نجد الذكور من هذا الفراش محافظة على شكلها ولونها نجد الإناث تتخذ ثلاثة أشكال مختلفة كل منها بعيد الشبه جداً عن شكل الذكر ولكنه عظيم الشبه بشكل نوع آخر من الفراش . فإذا كانت الذكور لم تجد داعياً لتقليد أى نوع آخر من الفراش لحماية حياتها فبأى حق يمكننا أن ندعى أن تقليد الإناث لأنواع أخرى من الفراش كان ضرورياً لحفظ حياتها ، فالذكور كانت أولى بذلك منها بطبيعة الحال .

٣ ـ في جزيرة مدغشقر نجد نفس هذا النوع من الفراش ولكننا نجد أن الإناث هناك تشبه الذكر . إن الإناث في مدغشقر بالذات لا تقلد أى نوع من أنواع الفراش الأخرى حفظاً لحياتها كما يدعي الدروانيون ورغم ذلك فهى باقية وموجودة في أعداد هائلة كغيرها من الأنواع الأخرى .

٤ ـ وهناك مثل أغرب من الخيال يُعَدُّ ضربة قاصمة لأدعياء تنازع البقاء والذين يعتقدون بصحتها فلقد أكتشف أن أى مجموعة من بويضات أى شكل من الثلاثة أشكال التي لإناث نفس هذا النوع من الفراش في أفريقيا قد تفقس إلى الثلاثة أشكال المختلفة للفراش وهذه الحقيقة الغريبة كل الغرابة لا يمكن تفسيرها على أساس فكرة تنازع البقاء التي قال بها داروين .

٥ ـ والآن نسوق مثلًا آخر ولكن من عالم النبات حتى تكتمل الأدلة من المملكتين الحيوانية والنباتية ففي عالم النبات هناك حقائق أكثر عجباً مما ذكرناه في عالم الحيوان ففي جنوب أفريقيا يوجد نوعٌ من النبات كبير الحجم يعرف علمياً باسم مسيمبريا تحورت أوراقه الشحمية فصارت تشبه تماماً شكل الأحجار التي تنمو بينها إلى حدٍّ كبير لدرجة أن هذه الأوراق التي تبلغ طول الواحدة منها من ١٠ إلى ١٢ سم يصعب على الإنسان تماماً أن يميزها من الأحجار التي حولها ومع ذلك فلا يوجد تنازع البقاء بين هذا النوع من نبات وغيره من الأحياء ولا يوجد ما يدعو هذا النبات بالذات أن يلجأ إلى هذه الحيلة حيث أن الأنواع الأخرى التي توجد في نفس البقاع الموجود بها هذا النبات والتي تحتفظ بأوراقها العادية دون تحور لا تزال باقية نامية ومزدهرة دون عناء .

بعد هذا العرض المجمل وتلك الأمثلة الحية التي لا ينكرها كل ذي عينين يتضح

http://al-maktabeh.com

لنا أن الاستشهاد بعنصر المحاكاة والتقليد باطل من أساسه في عملية الانتخاب الطبيعي لأنه إن دلَّ على شيء فهو ذو دلالةٍ واضحةٍ على أشياء وأشياء فلا يجب أن تنظر إلى الأمور من زاويةٍ معينةٍ أو واحدةٍ حسب ما يتفق مع هوانا بل يجب أن تكون النظرة شاملة وعامة حتى يكون الاستشهاد أو الاستدلال قوياً في حجمه وعظيماً في دلالته وهذا في تقديري من أهم أسس البحث العلمي المنهجي السليم .

## ثامناً : التنوع الهائل في الخلق ليس له تفسير عند داروين

يجب ألا تنسى ما ذكرنا في بداية تقدنا لنظرية التطور العضوي بشأن الخلية الواحدة وما نشأ عنها من تنوع وتعدد في أشكال المخلوقات قبل أن نستدير سائلين داروين أن يعطينا تفسيراً واحداً عن أسباب اختلاف تلك الأشجار المتجاورة في سماء واحدة تتنسم كلها بهواء واحد وتستقي جميعها بماء واحد لكنها مع هذا كله تعطي فاكهة مختلفة ألوانها ومذاقاتها حتى أننا نفضل بعضها على بعض في الأكل فهل تستطيع أن تفسر أسباب ذلك يا داروين ؟

عفوا يا أنصار داروين فإن داروين قد مات .

مات وترك الناس في الأرض ينهبون في الأرض خبط عشواء بين مصدق ومكذب نعم ... بعد أن تزلزل الإيمان في قلوبهم ، فخامرها الشك وخالطتها الحيرة .

## تاسعاً : وحدة الخلق تنطق بواحدانية الخالق

لقد تمسك أنصار نظرية داروين عند إثباتها بوجود تشابه عامٍ بين الأحياء في أداء الوظائف الحيوية لكلٍّ منها ( تشابه فسيولوجي ) وذلك عن طريق إمتلاكها أجهزة متشابهة في التكوين لتحقيق هدفٍ واحدٍ مشتركٍ ( تشابه تشريحي أو تركيبي ) .

والحقيقة أن السلاح الذي أشهروه يوماً ما كان يجب أن توجهه لهم دوما كسلاحٍ ضدهم ، إذ أنه ليس من المعقول أن يكون التطور قد تم بهذه الحكمة البالغة لتتنوع هذه الأجهزة الهضمية والتنفسية والعصبية ليؤدي كل منها الوظيفة المناظرة ، إن هذا كله يدل على أن لهذا الكون العظيم وتلك المخلوقات المتباينة في أجناسها وأنواعها عظيماً واحداً إنه دليلٌ على وحدانية الخالق سبحانه .

منذ أشهر قليلة وفي أواخر عام ١٩٨١ ظهر في انجلترا كتابٌ يحمل عنواناً طريفاً هو «التطور من الفضاء» قام بتأليفه عالم الفلك الشهير سير فريد هويل وعاونه في ذلك أستاذٌ هندي يدرس الرياضيات في جامعة كارويف ويعترف الأستاذان بصراحة في ذلك الكتاب بأنهما ملحدان ولا ينتميان لأى دين أو عقيدةٍ وأنهما يعالجان أمور الفضاء


http://al-maktabeh.com

وحركات الكواكب بأسلوبٍ علميٍّ بحتٍ ومن زاويةٍ عقلانيةٍ خالصة لا تخضع ولا تتأثر بأى موقف ديني ويدور الكتاب حول مسألة احتمال وجود حياة على الكواكب الأخرى ويتناول بالبحث الدقيق الفكرة التي سادت في بعض الكتابات التطورية عن ظهور الحياة تلقائياً من الوهلة الأولى نتيجة بعض الظروف والتغيرات البيئية . ومع أن هناك نظريات معارضة لهذا الاتجاه وهي نظريات ترى أن احتمال ظهور الحياة من هذا الوحل أو الطين الأولى لا تزد عن ١ : ١٠ فإن هوبل يرى بعد حساباتٍ رياضية معقدةٍ طويلةٍ دقيقة إن هذا الإحتمال لا يزيد عن ١ : ١٠ أى ( ٤٠,٠٠٠ ) أى واحد إلى عشرة أمامها أربعون ألف صفر .

مما يعني أنه لا تكاد توجد فرصة لظهور الحياة عن طريق التواجد التلقائي من هذا الطين وبالتالي فإن الحياة لا يمكن أن تكون نشأت عن طريق الصدفة البحتة وأنه لابد من وجود عقلٍ مدبرٍ يفكر ويبدع لهدفٍ معين ..

وعلى الرغم من اعتراف المؤلفيْن الصريح كما قلنا بإلحادهما فإنهما لا يجدان أمامهما مفراً من أن يكتب الفصل الأخير تحت عنوان الله .

والآن عزيزي القارىء نود آن نثير بعض التساؤلات الهامة والتي تعتبر بحق ضربات قاصمة لنظريات التطور لم يشأ أحد من الدروانيين التعرض لها أو حتى لمحاولة الإجابة عليها من قريبٍ وإن أثيرتْ أمامه فإذا به يحاول جاهداً أن يحمل الأمور أكثر مما تحتمل فيعطي اللفظ العلمي أكثر مما يحتمل من معان أو يخرج به كلية عن معناه الحقيقي ويعطيه دلالاتٍ غريبة أو مستغربة .

إنها تساؤلاتٌ حضت أسس النشوء واتت على قواعدها العلمية وسوف نعرض الآن لها في شيىء من التفصيل والإسهاب .

**١ ــ ما موقف نظريات النشوء من العامل الروحي ؟**

أوضّح وأبيّن فنقول :

إننا من الممكن أن نصوغ سؤالنا هذا بصورة أخرى ، ما هو موقف الأساس المادي لنظريات النشوء من العامل الروحي ؟

أخي القارىء ــ عندما ظهرت الدروانية روَّج لها في انجلترا توماس هكسلي وعبَّر عن الروح المادية الميكانيكية لهذه النظرية فنادى بأن الحياة هى نتيجة لتغيرات فيزيائية كيميائية ولكم كان خطيراً هذا القول وكان له أثر سيىء إلى أبعد الحدود في فهم الحياة لدى الناس عامةً والماديين خاصةً ولكم كان هذا القول مغلوطاً فكيف يفسَّر الشيىء بضده فهو يقول بأن الحياة التي هى نقيض المادة بكلياتها وجزئياتها ما هى إلا تغيرات فيزيائية وكميائية أى تغيرات

http://al-maktabeh.com

مادية صرفة .

نعم .. إن الواقع الملموس في المادة الحية عاملٌ غير موجود في المادة غير الحية وإن هناك قوة غير محسوسة روحية ( أى ليست مادية هى ما نسميه النفس ) هى التي تهيمن على حياة كل كائن حى ، ففي أوائل القرن العشرين اتجه البحث نحو اكتشاف العوامل الحقيقية التي تؤثر في نمو الفرد فأجرى هاتردريش ( وهو من تلاميذ الفليسوف الألماني آرنست ) عدة تجارب وكان دريش مندفعاً بقوة الإثبات الميكانيكية لتدعيم الأساس المادي للدارونية فهل أقنعته تجاربه وحققت له بغيته ؟

بالطبع لا ، لأن نتائج أبحاثه أقنعته بعكس ما كان ينتظره ونشر أبحاثه مبرئاً نفسه من المبادىء الدروانية . من تجاربه أنْ فَصَّص الخلايا الأولية لجنين من بعض الحيوانات الدنيئة فنمتْ كل خلية إلى فردٍ مماثلٍ للأصل فتجلتْ له قدرة المادة الحية على الاستمرار في الحياة وفي تجربةٍ أخرى جَزَّأ بويضة بعض قنافد البحر إلى جزأين وبعضها إلى أربعة وفي بعضها إلى ٣٢ جزءاً وذلك تجزيئاً اعتباطيا فنما كل جزء وأعطى يرقةً كاملةً من التجزئة الأعتباطية الفوضوية نشأت أفراد حية ذات عظام معنى هذا أن كل خلية حية تتضمن تكوين الكائن الحى بكامل دقائقه وتفصيلاته وإن تفاهت في صغرها .

ولهذا آمن دريش بوجود قدرة روحية عليا تهيمن على نمو كل فرد سماهاالأنتليكية ونحن بدورنا نتساءل :

**١ ــ ما الذي يدفع بالحياة في عناصر الخلية ؟**

لقد توصل العلم إلى معرفة العناصر التي تتركب منها الخلية ، وكذلك النسب الموجودة بها بكل دقة إلا أنه مازال يقف عاجزاً تماماً وسيظل هكذا أمام السر الذي يدفع بالحياة في تلك العناصر التي تتركب منها الخلية .. وواضحٌ تماماً لكل ذي عينين أن هناك قوة روحية هائلة ومسيطرة على الحياة في الخلية .

**٢ ــ ما الذي يحفز الخلية على الانقسام ؟**
**ما الذي يساعدها على الانقسام ويدعوها إلى ذلك ؟**

إن الحياة عندما تبدأ الكائنات الحية الراقية فإنها تبدأ ببويضة مجهرية وخلية جرثومية ذكرية أصغر منها بمراحل وهاتان الخليتان تحملان كل الصفات الوراثية من الأبوين كما تحملان الدوافع والميول والاستعدادات ومع ذلك فعندما يندمجان وتتكون البويضة المخصبة تأخذ في الإنقسام المتوالي وتمر بأشكال عدة معينة وتستمر في الانقسام إلى مئات الملايين من الخلايا التي يبدو وأنها تنمو وحدة متناسقة كلما

http://al-maktabeh.com

تكاثر عددها وفي كل ذلك يحكمها نظام دقيق فسرعان ما يبدأ التشكل رويداً رويداً فيتكون الأنسجة والأعضاء .. ثم تخرج الأعجوبة الكاملة حيواناً كاملاً إلى العالم إلى الوجود .

فأي دافع يحفز الخلية على الانقسام وإنتاج خلايا أخرى من نفس نوعها في الأعضاء ؟

إنه العمل الروحي فقط ولا شيء غير الروح التي هي من قدرة الحق جل وعلا ، وإلاَّ فهل من الممكن أن يخبرنا علماء التطور وأتباع داروين عن سبب آخر خلاف ذلك ؟

وماذا يقول أهل العلم في هذا الأمر ؟ هل يوافقوننا فيما نذهب إليه أم يؤيدون داروين في فهمه لمادية الحياة وميكانيكيتها ؟

نحن نعلم علم يقين من تجاربنا المعملية واختباراتنا الميكروسكوبية أن الخلية تقوم بكل وظائف الحياة حتى ولو كانت مفردة أي واحدة فقط فإنها تقوم بكل مظاهر الحياة كما لو كانت كائناً حياً له فرديته وهي تموت أيضاً كما لو كانت فرداً كاملاً وفي هذا يقول ليبون في كتابه .

إن ما تحققه هذه الخلايا في كل لحظة من حياتنا يسمو سمواً بعيداً عن كل ما يستطيع العلم المتقدم أن يحققه وأن الطالب القادر أن يحل بعقله المسائل التي تحكمها كل لحظة خلايا أدنى المخلوقات لهو أسمى بكثير من غيره من البشر حتى لقد يعدونه بالنسبة لهم إلهاً .

شيء عجيبٌ حقاً أن يكون عمل خلية واحدة من الصعوبة بمكانٍ بحيث لا تستطيع الدنيا كلها أو العلم بتكنولوجيته وتقدمه أن يقوم به انه اعجاز وهذا الإعجاز يجعلنا نتساءل أي قوة هذه التي تسير الخلايا وتوجهها .

إننا نجهل كل شيء عن تلك القوة مع أنها جوهر الحياة .

### ٣ ــ من الذي أوجد في المادة الحية القدرة على التمييز والاختيار ؟

نحن نعلم أن الدم يمر في جسم الكائن الحي على جميع الخلايا فتنتقي كل خلية من مجرى الدم ما تحتاج إليه من العناصر والمواد الغذائية اللازمة لها .

فالعظام مثلاً تنتقي الكالسيوم والفوسفور بنسبة أكبر من غيرها والكبد تخزن الزائد من السكر وقدرة المادة الحية على التمييز والاختيار تتضح حتى في الحيوانات الأولية فالأميبا مثلاً تترك ما لا يصلح لتغذيتها فمن الذي أوجد فيها هذه القوى وهذه الفطنة ؟

إننا نجد هذه القوى لا يقتصر عملها في الحيوانات فقط بل إنها تعمل أيضاً في

http://al-maktabeh.com

النباتات ، فنبات الدروزيرا من النباتات آكلة الحشرات يطبق على الحشرة عندما يقف على سطح الأوراق أما إذا وضعت على سطح الورقة مواد غير صالحة لتغذيته فلا يستجيب لها أبداً بحال من الأحوال .

**٤ ــ كيف تتم استحالة المواد الغذائية المهضومة الممتصة إلى مركبات حية داخل الجسم ؟**

نعم ... كيف يتم هذا الأمر ؟

إن التمثيل الغذائي يمكن الجسم من تحويل المواد الغذائية المهضومة الممتصة إلى مركبات حية تشبه أنسجة جسمه ومهما كانت طبيعة هذه القوى الروحية فهناك أدلة قوية تجعلنا نؤمن أن المادة الحية ( إن جاز هذا التعبير لأنها في الحقيقة ليست بمادة ) لاتخضع لقوانين الفيزياء والكيمياء وهذا الاتجاه هو إتجاه أغلب علماء وظائف الأعضاء المعاصرين أعني علماء الفسيولوجيا فلقد أوضح العالم الفسيولوجي الشهير « هولدين » وهو من دعاة التطور أنه في العمليات الفسيولوجية العادية توجد عدة عوامل مترابطة تعمل في تعاون وثيق وتآزر تام لا يمكن أن تفسرها قوانين الفيزياء والكيمياء فيقول :

( نعرف أن جميع الخلايا تتكون بانقسام عن خلايا سابقة وأن مشكلة عملية نمو الخلية ، وتغذيتها ليست من العمليات التي نستطيع حلها في الوقت الحاضر بأى تفسير ميكانيكي وينطبق نفس هذا القول على مشكلة الإفراز والإمتصاص وبقية العمليات الفسيولوجية في جسم الكائن الحى .

لقد غاب عن الكثيرين أن هناك أشياء لا يمكن أن يقيسها العلم بأدق أجهزته أو يرصد دقيق حركاتها .

نعم .. إنها أمورٌ يختص بها الخالق جل وعلا وحده دون سواه كى يظل القلب عالقاً به دوماً فلا يغتر الباحث بنتائجه ولا العالم بعلمه فيؤمن بالأسباب ويترك المسبب ..

ونعود فنتساءل : هل بإمكان الدروانيين ودعاة التطور أن ينكروا وجود هذه القوى الروحية الهائلة المصرفة للمادة وتكسبها الحياة التي لا غنى لأى كائن عنها ، وإن لم ينكروها فما هو تفسيرهم العلمي لها ؟

نريـــد جوابـــاً .

**ب ــ ما السر وراء صنوف التكيف ؟**

إن مسألة التكيف هذه لو أمعنَّا فيها النظر ودققنا في دراستها لوجدنا أنها تقودنا إلى



http://al-maktabeh.com

تعميق الإيمان بالله عز وجل ولدلتْ دلالةً قاطعةً على أن هناك عقلاً مدبراً وقصداً حكيماً فيما وراء ما يخلق ويبدع من تكوين عظيم ويبدع من تكوين عظيم أو بناء رائع ومعجز للجنس البشري ولكنها لاتعني بحالٍ من الأحوال وجود عامل الصدفة في خلق الكون أو وجود الكائنات أو وجود الطفرات في هذا المجال .

عزيزي القارىء إننا كلما تأملنا في مدى تعقد الحياة في المملكتين الحيوانية والنياتية ومدى انتظام ودقة وظائف أعضائها ازدادنا إيماناً بوجود القصد الحكيم والعقل المدبر الذي ضمنها بحكمته السامية المتعالية عن الأغراض والأهواء ، فأعضاء الجسم الواحد تؤدي وظائفها في ارتباطٍ تام وتآزر وثيق في كفاية ودقة معجزتين متناهيتين .

فعلى سبيل المثال « العين في الإنسان »
إن تركيب العين في الإنسان لأعظم مَثَلٍ يوضح عمق الخالق فالأجزاء المختلفة التي تتكون منها العين من قرنية وقزحية وعدسة وجسم زجاجي وشبكية ومشيمية وصلبة وغير ذلك من أجزاءمختلفة جميعها تتركب من أنسجة في غاية الدقة والروعة والإتقان .. ولولا وجود كل هذه الأجزاء والأنسجة مجتمعة معاً بنفس وضعها الموجود عليه بالضبط لما أمكن أن تؤدي وظيفتها في نقل صور مضبوطة للمرئيات ( وذلك على إختلاف بعدها عن العين وضعف الضوء وشدته في الوسط الموجود ) على شبكية العين ثم نقلها إلى المركز البصري في الدماغ فهي أفضل آلة فوتوغرافية تضبط الصور آلياً .

إن العقل الحكيم المفكر المدقق ليأبى قبول فكرة نشوء هذه المجموعة المتقنة من التركيبات المكونة للعين بفعل الصدفة أو عن طريق الطفرات مهما تعددت وتنوعت .

وهذا يا عزيزي القارىء عن عضوٍ واحد بسيط مثل العين وما يقال عن الأذن وعلى كل عضو ونسيج وخلية في جسم الكائن الحى ومع ذلك فإن كل هذا ليعد تافهاً بالنسبة إلى المظاهر التي تطرأ على العضلات عندما تتقلص أو تطرأ على الخلية العصبية عند توصيل إشارات الحس والحركة أو بالنسبة إلى سلسلة العمليات الكيماوية داخل جسم الكائن الحى وتتابعها بنظامٍ معجز فائق الدقة بالنسبة إلى فعل الهرمونات التي تهيمن على كل وظائف الحياة في الكائن الحى .

والواقع أن التمايز في نسيج الجنين موجودومستقل في المرحلة الجنينية وبعد الولادة يكون لكل عضوٍ طابعه الخاص ووظيفته الخاصة أما عن كيفية هذا التمايز المدهش في نسيج الجنين فالعلم لا يدري عنه شيئاً .

إن الملائمة التامة بين التركيب والوظيفة لهي ظاهرةٌ عامةٌ في كل الأحياء ومن ثَمَّ فلا يمكن أن تكون قد نشأت بفعل الانتخاب الطبيعي الذي يرتكن فيه حدوث التغير

http://al-maktabeh.com

على الصدفة المحضة .

ولكن ما هو الحال في المملكة النباتية ؟ إننا عندما نوجه أنظارنا إلى مختلف أنواع التكيف في مملكة النبات لملاءة الظروف المختلفة نجدها لا تقل عجباً عما هى عليه في عالم الحيوان ففي حالاتٍ كثيرة نرى أن التحورات الموجودة في الزهرة والتحورات الموجودة في الحشرة يكملان بعضهما البعض بقصد إحداث التلقيح الخلطي في الزهرة .

وفي بعض الحالات نرى خططاً لا تحصى ولا تقل عجباً عن وسائل التلقيح المختلفة في النبات فشجرة الأوركيد بجزر الهند الغربية تشبه الحشرات في تركيبها إلى حدٍّ بعيدٍ فلها ما يشبه شكل الرأس والخرطوم الطويل وقرني الاستشعار وزوج من الأجنحة وبطنٍ كبير ولا يمكن أن نعتبر أن شكلها هذا تقليدٌ لحشرةٍ ما ، إذ لا يوجد صنفٌ من الحشرات تشبهها تماماً كما أنه لا يمكننا أن نعزو شكلها هذا إلى غرض جذب الحشرات إليها بل إن العكس هو الصحيح إذ أن شكلها يزعج الحشرات ويبعدها عنها ونتيجة لذلك تظل هذه الزهرة غير ملقحة فكأن هذه التحورات إنما وجدت لضررها لا لنفعها .

ومثالٌ آخر نود أن نذكره هنا وهو نباتٌ نجده يشبه النحلة وهنا أيضا نرى أن شكل النبات ينفر الحشرات التي تقترب منه .

هناك كذلك خططٌ على غايةٍ من البراعة تلجأ إليها النباتات المختلفة بغرض انتشار بذورها ولضمان حدوث التلقيح الخلطي فتكون بذورها إما مجنحة أو مهدبة فتحملها الرياح بسهولة إلى أماكن بعيدة أو تكون لها أشواك حادة تنغرس في أقدام الحيوانات وحوافرها إلى غير ذلك من التكوينات العجيبة الحكيمة الموجودة في عالَم النبات .

نعم ... لابد من أن يكون وراء كل هذه الخطط قوة عاقلة حكيمة مدبرة تشكل تكوين الزهرة لتتلائم مع تركيب الحشرة ، ويضع الغدد الرحيقية في الزهرة بحيث تلائم خرطوم الحشرة ولابد أن تكون لهذه القوة معرفة كاملة بأشكال هذه الحشرة والنباتات إذ ليس من المعقول أن النباتات تستطيع دراسة الحشرات أو للبذور معرفة بوجود فراءٍ للحيوانات .

إلا إذا أردنا قلب الواقع ومغالطة الحقيقة وتعمدنا تعمية أبصارنا عن الحق .

كل هذه الحقيقة قليل بالنسبة لِما لا حصر له من التنظيمات والترتيبات العجيبةَ الموجودة في عالَم الأحياء الضرورية لبقاء الكون وللحياة خالقاً مدبراً صممه بحكمةٍ وبقصد ولغايةٍ عظيمة وسامية ولم نجد الكون بهذا الوضع بفعل الصدفة بأى حالٍ من الأحوال .

http://al-maktabeh.com

والآن وبعد أن تعرضنا لأسس نظرية التطور عند داروين بالنقد العلمي والديني وبيَّنا ما فيها من قصورٍ واضح ، وما حوته من أفكار هشة وفروض نظرية لا تقوم على دليلٍ قوى ولا تستند إلى براهين مقنعة فكان ولابد لنا من أن نعرض لموقف العلماء والمفكرين من تلك النظرية هو يعين على أن نوضح سبب رفضهم لها وعدم اقتناعهم بها وكذلك موقف الذين أبدوها وماذا كان دليلهم في ذلك وهذا ما سنحاول توضيحه في الباب القادم إن شاء الله تعالى .

http://al-maktabeh.com

# الباب الرابع
# مواقف العلماء والمفكرين من نظرية داروين

**أولاً** : أسس البحث العلمي

أ ــ تعريف البحث العلمي

ب ــ خطوات البحث العلمي

ج ــ صفات الباحث العلمي .

**ثانيـــاً** : موقف علماء الغرب من نظرية داروين .

أ ــ فريق الملاحدة .. والمنطق المعكوس .

ب ــ رفض علماء الغرب لنظرية التطور .

**ثالثـــاً** : موقف علماء العرب والمسلمين ومفكريهم من نظرية التطور .

أ ــ مفكري الإسلام ورفضهم لآراء داروين .

ب ــ أنصار مذهب التوفيق .. والمحاولة الفاشلة .

١ ــ العقاد .. ونظرية التطور .

٢ ــ د . زكي نجيب محمود .. ونظرية التطور .

٣ ــ الدكتور عبد المحسن صالح . والإيمان بالنشوء والإرتقاء .

٤ ــ موقف الدكتور مصطفى محمود من نظرية التطور .



http://al-maktabeh.com

# الباب الرابع
# موقف العلماء والمفكرين من نظرية داروين

إننا بعدَ أن استعرضنا النظريات المختلفة وتصور العلماء لها وبيَّنا فساد آرائهم وزيف ادعاءاتهم نود أن نلقي بعض الضوء على آراء العلماء والمفكرين في تلك النظريات ولنكشف في وضوح فساد منهج التوفيق بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي حيث أن الأول وضعي بشري بينما الآخر في أصله إلهي ثابتٌ شامخٌ ، ولقد استغلت تلك المناهج أسوأ استغلال وجعلت ستاراً لعلمنه الآراءالعلمية وقلب الحقائق الإيمانية لصرف العلماء عن الجادة والبحث العلمي النظيف .

إن نظرية التطور لداروين من النظريات التي حاولت أن تضفي على نفسها صفة العلم وهي أبعد ما تكون عن العلم وقد ذاع صيتها في القرن الهجري الماضي وأثارت ضجة كبرى في الأوساط العلمية الفكرية والثقافية ، واستعملت كسلاح للتشكيك في قيم الدين وتعاليم السماء .

وملخص النظرية كما أسلفنا هو أن جميع الكائنات الحية ترجع إلى أصل واحد مشترك أسماه خلية الحياة الأساسية الأولى ، التي تطورت عبر حقب مديدة من الزمن ، وارتقت بفعل عوامل مادية بحتة ، واتخذت أشكالا مختلفة إلى أن استوى منها الإنسان والحيوان والنبات على الصورة التي نعرفها اليوم عن مختلف أشكال الكائنات الحية المعاصرة لنا وتأسيسا على ذلك ـــ حسب النظرية ـــ فإن الإنسان والقردة إنحدرا من سلالة واحدة . (١)

وقد نشر داروين أبحاثه في كتاب أصل الأنواع ١٨٧٤ مدعياً أن أبحاثه قد قامت على الملاحظة العلمية والاستنتاج وقد تلقت هذه النظرية ضربات كثيرة ووجه إليها انتقاداتٍ عنيفة وردوداً شتى من طرف العلماء والمفكرين في العالم وانقسموا بشأنها إلى اتجاهاتٍ كثيرة . فمنهم من أيدها وهلل لها ، ومنهم من عارضها معارضةً شديدة وهناك من تحفظ وحاول التوفيق بينها وبين الدين .

## أولاً : أسس البحث العلمي :

إن أشد ما يزعج أى باحثٍ علمي اتخذ من العلم سلماً لاجتلاء الحقيقة وطريقاً للبحث في مسائله المختلفة أن يقرأ موضوعاً لكاتبٍ يدلي فيه بفكره يدعي أنها من بنات أفكاره مع أن مَنْ سبقه من العلماء والمفكرين قد دونوها في كتبهم ونافحوا عنها في مناظراتهم وهو لا يدري ، وفي مثل هذه الحالة يتهم النقاد أو الباحث إما بسرقة

(١) مشكلاتٌ نحو العلم ج . م . أرثر طومسون ص ٨



http://al-maktabeh.com

أفكار غيره ونسبتها إلى نفسه أو بالجهل بالموضوع الذي يكتب فيه وحقيقة الأمر أن أحلاهما مر .[1]

ونعني في هذا المقام أن الموضوع الذي يستحق الاحترام هو الموضوع الذي جنيت ثماره بعد بحثٍ واستقراء شاملين .

لذا كان من الضروري ونحن نعرض لنظرية من نظريات العلم بالشرح والتعقيب ولأسسها بالنقد والتحليل أن نتحدث عن البحث العلمي من حيث التعريف به وتحديد الخطوات التي يجب أن تتبع فيه أو عند تناول أية قضية علمية حتى بمجرد الخوض فيها ولو بكلماتٍ قصار وكان لازما بطبيعة الحال وهو الأهم أن نحدد صفات الباحث العلمي وما يجب أن يتحلى به من صفات وما يلزم ذلك من مؤهلات خاصة أو إستعدادات معينة .

نعم كان من الأهمية بمكانٍ أن نتعرض لكل هذا لنرى إلى أى حد التزم داروين فيما قال من آراء وما عرضه من أفكار وما استنتج من خلاصات وما قام به من تجارب إزاء منهجية البحث العلمي ومواصفات الباحث أو العالِم :

## أ ــ تعريف البحث العلمي :

أعني بالبحث العلمي : تلك السياحة الطويلة بين الأفكار المتعلقة بموضوعٍ ما ، مادُوِّن منها في الكتب وسكن في أدمغة العلماء ، وما استقر في أجهزة المختبرات والتعرف على ذلك كله ، وسبر أغواره والغوص في أعماقه كى نصل إلى وقائعه حتي يطمئن الباحث إلى أنه لم يترك شيئاً قد قيل في موضوعه إلا قد اطلع عليه . ومن البديهي أن دائرة البحث العلمي تتسع كلما اتسعت دائرة معارف الباحث وهنا ندخل في موضوع النسبية في البحث العلمي .

فالبحث الذي يعده طالبٌ جامعي مبتدىء في التدرب على البحث العلمي لا تتجاوز دائرة معارفه لأكثر من خمسة أو عشر مراجع ، يضع بعدها نقطة النهاية فيه هو بحثٌ مكتمل بالنسبة إليه ، بينما هو بحثٌ مبدئى بالنسبة لأستاذٍ جامعي تتسع دائرة معارفه لخمسين مرجعاً ،بل ولبحث هذا الأستاذ الجامعي هو بحث مبدئى بالنسبة لباحث محترف تتسع دائرة معارفه لمائة مرجع أو أكثر .

ولو أخذنا القياس المطلق لَمَا جاز لنا أن نسمي البحث الذي أعده الطالب بحثاً ولا حتى الذي أعده الأستاذ الجامعي ــ إن لم يكن باحثاً متفوقاً ــ بحثاً ، وإنما جاز لنا أن نسميها أبحاثاً أخذاً بالمقاييس النسبية إذا بحث كل إنسان بحسبه وعلى قدر ما

(١) من مقال د محمد قلعجي بعنوان البحث العلمي تاريخه ومنهجه في الإسلام ــ بتصرف ــ الأمة القطرية العدد ٢٤



http://al-maktabeh.com

يُبْذل من جهد.. وبناءً على ذلك : فإن البحث لا يشترط فيه أن يخرج منه الباحث بحقائق مطلقة ، إذ قد يوفق الباحث إليها وقد لا يوفق بل إن الحقائق التي يتوصل إليها الباحث هي حقائق نسبية ــ أي بالنسبة إليه ــ بل قد لا يتوصل الباحث بعد طول البحث إلى حقيقةٍ أبداً ، لا مطلقة ولا نسبية وعليه في تلك الحالة أن يعترف صراحةً بذلك ولا يستكثروا السنين الطوال التي يقضيها في البحث والاطلاع فيعز عليه ذلك فيلجأ إلى التلفيق فذلك عارٌ ما بعده عار .

وهذه الحقائق النسبية التي توصَّل إليها الباحث في بحثه تصبح حقائق مطلقة إذا توصل إليها بعينها باحثون آخرون درسوا ذلك الموضوع وكانوا من الكثرة والعلم والفطنة بحيث يؤمن من اجتماعهم على الخطأ وأرجو أن يكون ذلك واضحاً تماماً لأنه في حالة داروين فإنه لم يتفق معه سوى صديقه وولاس فقط أي لم يكن هناك إجماعٌ ولكن ما هي خطوات البحث العلمي في أي علم من العلوم .

**ب ــ خطوات البحث العلمي :**

إن كل من يريد أن يعد بحثاً لابد من أن يمر بالخطوات التالية :

١ ــ تحديد الموضوع الذي يريد أن يبحثه مثل تطور الإنسان أو البيئة أو تكون القشرة الأرضية أو نحو ذلك .

٢ ــ تحديد الأفكار الرئيسية التي عليه أن يبحثها في هذا الموضوع وهذا التحديد لهذه النقاط هو تحديد ابتدائي لأنه قد تجد مع الباحث نقاط أخرى يرى من المفيد إضافتها إلى البحث فلابد من إضافتها وهذا ما يحدث لكل باحث .

والجدير بالذكر أن تحديد هذه النقاط يختلف من باحثٍ إلى باحث أو قد ينتبه باحثٌ إلى نقطة فيبحثها ولا ينتبه إليها باحثٌ آخر فيكون إغفالها نقطة ضعف في موضوعه قد تؤدي إلى تغيير النتائج كلها .

٣ ــ تحديد المراجع التي يلزم الرجوع إليها ويتحكم في ذلك نوعان :
الأمر الأول سعة اطلاع الباحث على المراجع . الأمر الثاني هو معرفة كيفية استعمال تلك المراجع ومعرفة مواطن البحث فيها .

**أما سعة اطلاعه على المراجع** : فإن الطالب المبتدىء ــ بحكم قلة خبرته وعلمه ــ قد لا يعرف لبحثه مرجعاً غير خمسة أو ستة مراجع لأنه لم يطلع على غيرها ، وهنا لابد له من أن يستعين بالكتب المساعدة التي تدله على المراجع الأساسية ككتاب الدكتور نجاح الخطيب لطلاب كلية الشريعة وكتاب الدكتور عمر الدقاق لطلاب كلية الآداب وكشف الظنون للباحثين المحترفين وغيرها .

وإن النقاد ليعرفون مكانة الباحث العلمية من الاطلاع على المراجع التي

http://al-maktabeh.com

استعملها ، فهناك مراجع تغني عن كثير غيرها ، وبالرجوع إليها يتم للباحث توفير الكثير من الوقت والجهد .

فعلى سبيل المثال كتاب « جامع الأصول » يغني عن الكتب الستة لأنه جمعها كلها ، وكتاب « كشف الخفاء ومزيل الالتباس » يغني عن كتاب المقاصة الحسنة لأنه حوى ما فيه وزاد عليه ، وكتاب « لباب النقول في أسباب النزول » يغني عما عداه من كتب أسباب النزول « ورد المحتار على الدار المختار » يغني عن أكثر كتب الحنفية أو الأحناف في الفقه . وهكذا .

وهناك كتب ذاع صيتها ولكن نص العلماء على عدم جواز الفتوى بما فيها إما لشدة اختصارها ككتاب الدر المختار وكتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم وإما لأنها قد أصابها التنقيح ككتاب الأم للإمام الشافعي [1] والمدونة للإمام مالك وإما لعدم توثيق أصحابها كشرح ملا المسكين الحنفي وغيرها والباحث غير المتمكن قد يغتر بالشهرة التي نالتها هذه الكتب فيعب منها تمحيص .

بل إن النقاد ليعرفون مكانة الباحث العلمية من الاطلاع على طبعات المراجع التي استعملها فهناك طبعات علمية وأخرى تجارية ، والباحث المتمكن يميز بين هذه الطبعات ولا يرجع إلا إذا أوثقها ، فالباحثون المتمكنون يرجعون مثلا في ورد المختار إلى الطبعة البولاقية الأولى ، وفي المغني لابن قدامة إلى طبعة المنار وفي شرح علل الرمذي إلى طبعة دار الملاح وفي تفسير القرطبي إلى طبعة دار الكتب المصرية ، وفي دلائل النبوة لأبي نعيم إلى طبعة المكتبة العربية في حلب .. وهكذا .

## فهل نهج داروين ذلك النهج واتبع هذا الأسلوب في تناوله لنظريته ؟

ذلك سؤال تجيب أنت عليه عزيزي القارىء في فهمك لهذا الأمر .
وأما معرفة الباحث كيفية استعمال هذه المراجع :

فإن ذلك يحتاج إلى خبرة خاصة . مثلاً بعض معاجم اللغة تم ترتيبه بحسب الحرف الأول من الكلمة كالمعجم الوسيط ، وبعضها تم ترتيبه بحسب الحرف الأخير منها مع مراعاة الحرف الأول واعتباره كحرف ثان ، كالقاموس المحيط ، ولكي يستخرج الباحث كلمة لابد من إرجاعها إلى الفعل الماضي ، ولكن بعض المعاجم الحديثة ، كالمرجع العلايلي ، تم ترتيبه بحسب لفظ الكلمة منقطعاً عن أصلها .

وبعض كتب التراجم كتهذيب مثلاً يضع في آخره أبواباً خاصة ، باباً للنساء

---

(١) كتاب الأم للإمام الشافعي ألفه البويطي المصري وتصرف فيه الربيع بن سليمان ذلك نقلاً عن الدكتور زكي مبارك في أغسطس ١٩٣٩ ، أعيد نشر ذلك في الدوحة القطرية العدد ٨٢ في أكتوبر ١٩٨٢

http://al-maktabeh.com

وآخر لمن عُرف بأبي فلان وثالثاً لمن عُرِف بابن فلان ، ورابعاً لمن اشتُهر بنسبته كالزهري والنخض ، وهو يرتب الأعلام على كل حال بحسب الحرف الأول من أسمائها ، ومن الكتب كأعلا الزركلي ما لا يفرد لهؤلاء أبواباً خاصة ، بل يذكرهم مع نظائرهم في الترتيب العام ومن الكتب ما يرتب الأعلام بحسب طبقاتهم في بلادهم التي عاشوا فيها كطبقات ابن سعد وصفة الصفوة لابن الجوزي .

إن معرفة استعمال المرجع يفتح للباحث كوامنه ، ويضع إصبعه على ما يريده منه .

## معرفة مواطن البحث في المراجع :

إن ذلك إنما يعتمد أولاً وقبل كل شيىء على خبرة الباحث وسعة علمه فإن ضعفت خبرته كان عليه أن يرجع إلى الفهارس التحليلية التي وضعت للمرجع ولكن مراجعنا التراثية مع الأسف لم توضع لها الفهارس التحليلية الدقيقة التي تبين مواطن الأبحاث فيها وقد تنبه المعاصرون إلى ضرورة فهرست كتب التراث تيسيراً على الباحثين فأخذوا يصفون لهذه الكتب فهارس تُطْبع مستقلة عن الكتب التراثية ، فذكر من ذلك .

المعجم المفهرس لألفاظ السنة الذي وضعه المستشرق فنسك مع جماعة من المستشرقين ومعجم الفقه الحنبلي لموسوعة الفقه الإسلامي الذي صنفه الدكتور محمد رواس قلعجي مع بعض الزملاء وفهرس حاشية ابن عابدين الذي صنفه لموسوعة الفقه الإسلامي أيضاً وفهرس حاشيتي قليوبي وعميرة الذي صنفه الشيخ عبد الخالق غريب بمساعدة زميل له وفهرس الثبوت الذي صنفه الدكتور محمد الأشقر .

إن هذه الفهارس تساعد الباحث في الدلالة على مواطن البحث في الكتاب .

٤ ــ جمع المعلومات على بطاقات خاصة يذكر في كل بطاقة المعلومة التي يريدها والمرجع الذي أخذت منه على بيان الجزء والصفحة والطبعة ويضع في أعلى البطاقة العنوان المختصر المناسب الذي يساعده على التصنيف فيما بعد ولا يضع في البطاقة الواحدة أكثر من معلومة واحدة ومبلغ علمي فان هذا هو الأسلوب المتبع في جمع عينات الصخور والحفريات في علم الجولوجيا والجولوجية الحقلية بصفة خاصة .

٥ ــ بعد أن يتم جمع المعلومات على بطاقات من جميع المراجع التي حددها يبدأ بتصنيف هذه المعلومات بحسب العناوين التي وضعها في أعلى البطاقات والتي نسميها بالعناوين المساعدة .

٦ ــ ثم يرتب هذه المعلومات التي صنفها ترتيباً منطقياً ليكون هذا الترتيب المخطط

http://al-maktabeh.com

النهائي للموضوع لا أن يقفز إلى النتائج قفزاً أو يتعامل مع فرض نظري على أنه حقيقة ثابتة ويحاولأن يدلل على صحتها بكل ما تصل إليه يده وما تقع عليه عينيه .

٧ ــ ثم يبدأ بدراسة هذه المعلومات التي حصل عليها فيدرسها فكرة فكرة ، فينقد ما يحتاج إلي نقد ويحلل ما يحتاج إلى تحليل ويرجح ما يراه حقاً ، أو يخرج للناس برأى جديد وعندئذ يحق له أن يقول « أرى وأرجح » وكل استعمال لهذه الكلمات قبل المرور بهذه المراحل كلها ليس ببحث وإنما هو ضرب من العبث الذي يسجل عنه الباحث الأصيل .

وإني أرجو من القاريءالعزيز أن يلتمس لي العذر فيما ذهبت إليه من ضرب لبعض الأمثال المتعلقة بكيفية التعامل مع المراجع العلمية وكيفية معرفة الباحث للمواطن المتعلقة بموضوع بحثه في تلك المراجع مستشهداً بمعاجم اللغة العربية ومصادر الفقه الإسلامي وربما نال ذلك حظاً من الاستغراب وقليلاً من الدهشة فيقول قائل لماذا لم يستشهد الكاتب بأمثلة من واقع دراسة النظريات العلمية في مختلف ميادين العلم التجريبي وتمشياً مع تكوينه العلمي كواحدٍ من خريجي كلية العلوم .

أقول إنني عمدت إلى ذلك حقيقة حتى يعرف عالمنا المعاصر إلى أى مدى أضنت الأمة الأسلامية نفسها منذ عصورنا الأولى وتحملت الصعاب في البحث العلمي ويمضي عزيمتها في ذلك ويمدها بالصبر ايمانٌ وَّقادٌ ويضيىء جنبات قلبها وفكرها .

نعم .. فنحن لا نشك في أن البحث العلمي كان موجوداً منذ فجر التاريخ ولكننا لا نعرف أمة أرست قواعد البحث العلمي وأصلت أسسه وأركانه مثل المسلمين الأوائل الذين أسهموا بنصيبٍ وافر في بناء صرح الإنسانية وسعادتها . لقد وضعوا منهجاً واضحاً دقيقاً للبحث العلمي عرف هذا المنهج بأصول الفقه ، هذا المنهاج الذي مازال منهاجاً رائداً تعتمده كل جامعات العالم حتى اليوم .

والآن نود أن نعرض لموضوعٍ هام يرتبط مع ما سبق إرتباطاً وثيقاً ألاَ وهو صفات الباحث العلمي ... وما علينا إلا أن نقارن بين القاعدة والتطبيق في موضوع بحثنا الخاص بداروين ونظريته .

## ج ــ صفات الباحث العلمي :

إن من ينصب نفسه للبحث العلمي لابد أن تتوافر فيه الصفات التالية :

http://al-maktabeh.com

**١ ــ العلم :**

فلا يجوز أن يتصدى للبحث العلمي إلا من كان عالماً ، لأن البحث لا ينفصل عن الفهم العملي والاستنتاج الدقيق ، وهذا لا يقدر عليه إلا العلماء .

والعالم لا يكون عالماً إلا إذا جالس العلماء وأخذ عنهم ولقح فكره بفكرهم ، ولا يكفي أخذه عن الكتب من غير أستاذ يرشده لاحتمال أن يفهم منها غير المراد لقصورٍ في تعبير المؤلف مثلاً ، أو لكلالةٍ أو ضعفٍ في ذهن القارىء ولذلك كان علماؤنا يطلقون على من استغنى عن الأساتذة بالكتب اسم « الوَراقين » ، ونصوا على عدم جواز أخذ الفتوى منهم والاعتداد بآرائهم .

**٢ ــ الفطانة :**

وأعني بالفطانة الذكاء الوقَّاد مع دقة الملاحظة وصدق الحكم لأن هذه الأمور الثلاثة هى الأساس في البحث العلمي .

**٣ ــ الصبر :**

ومن لا يتصف بالصبر ليس بأهلٍ للبحث العلمي . إن الباحث قد يتطلب منه كتابة سطر واحد بحثاً يستغرق شهراً ، بل قد يبحث أشهراً ولا يكتب سطراً ، فإن لم يكن الباحث متصفاً بالصبر عصفت به رياح الشيطان وتعجل النتائج قبل استكمال البحث عنها ، وعندئذ سيكون أضحوكة بين الجادين من الباحثين والنابغة من العلماء .

**٤ ــ الأمانة :**

وأعني بالأمانة هنا ، الأمانة في عزو آراء العلماء إلى قائليها وعدم التدليس فيها أو إدعائها لنفسه ، خاصة المأخوذة منها من المصادر النادرة أو حتى يرضي أن ينسب أحد إليه شيئاً ليس له فيه فضل كما حدث من الانجليزي هارفي الذي نسب إليه اكتشاف الدورة الدموية في الإنسان مع أن ابن النفيس العالم العربي المسلم كان أسبق منه في ذلك وكذلك الحال بالنسبة لروجر بيكون الذي يعد كتابه في البصريات نسخة مكررة من كتاب « المناظر » لابن الهيثم فكانوا بمثابة ناقلين لعلوم العرب فقط ولكن عصبية مؤرخي أوروباأعمتهم فجعلتهم يسلكون هذا المسلك المشين دون وازعٍ من أمانة علمية أو رادعٍ من ضمير سواء كان ذلك من فعل المؤرخين أم علماء الغرب فهو خطأ في الحالتين وعمل يتنافى مع مفهوم الأمانة وما فرضته من واجباتٍ والتزامات .

وأعني بها أيضاً الأمانة في نقل آراء العلماء وتجاربهم كما أرادوها هم من غير تبديل

http://al-maktabeh.com

أو تحوير وكم وقفنا عند بعض الباحثين على لَيٍّ للنصوص عبارة أو فهماً ليجعلوها مؤيدة لما يقولون وهذا أكبر ما يصيب البحث العلمي في مقتل ولقد حدث هذا من بعض المسلمين للأسف الشديد في فهم لبعض نصوص القرآن فتعنتوا في فهمها حتى تساير كل جديد من العلم وكل حديثٍ من الاكتشافات دونما اعتبارٍ لمدلول ورود الحقيقة الكونية فى القرآن أو كعرض القرآن لبعض مفاهيم العلم الدنيوى من نظريات جيولوجية ومسائل بيولوجية أو أمور فلكية وكذلك في توضيحهم للناس نشأة الإنسان وخلقه وتصورهم لنظرية التطور عند داروين ومحاولة التقريب بين هذا وذاك .

**٥ ــ الموضوعية :**

وأعني بالموضوعية عدم وضع النتائج مقدماً ثم البحث عن المبررات لها ، بل يبدأ بالبحث والاستقراء بغير تحيز لفكرة ما ، ثم باستخلاص النتائج مما تنطق به نتائج ذلك البحث وتلك من أهم ركائز البحث العلمي السديد ، أما داروين للأسف فقد قدم إيمانه بنظريةٍ معينةٍ ثم حلل كل ما يراه من شواهد بناءً على ذلك .
وكانت تلك سقطة كبرى فيما ذهب إليه وما يترتب على ذلك من نتائج .
هذا ما أحببنا الإشارة إليه لأهميته في موضوعنا .

ولكن هل إلتزام علماؤنا بما سبق أن أوضحنا من أسس البحث العلمي في مناقشتهم في هذه القضية . وهذا ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل القادم .

**ثانياً : موقف علماء الغرب من نظرية داروين :** [١]

انقسم علماء الغرب ومفكروه بشأن نظرية داروين إلى فريقين :

أ ــ فريق الملاحدة والمنطق المعكوس : لقد قبل هذا الفريق النظرية رغم ثبوت بطلانها لا لشيىء إلا لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالخالق عز وجل فلم يجدوا ما يفسرون به علة ظهور أول إنسان على الأرض ، وهو آدم عليه السلام فدافعوا عن النظرية وناصروها .

ومن أولئك العلماء د . س لل الذي قال :

« إن نظرية داروين وسيلة منطقية لتفسير مظاهر الخلق وليست بملاحظة واقعية » [٢]

والقول نفسه نجده عند آرثركيت الذي قال عن النظرية :

---

(١) الأمة القطرية ــ العدد الثالث والعشرون ــ سبتمبر ١٩٨١

(٢) وحيد الدين خان ــ الدين في مواجهة العلم ــ ص ٢٧



http://al-maktabeh.com

« الارتقاء غير ثابت ولا يمكن إثباته — بهذه النظرية لأن البديل الوحيد هو الإيمان — بالخلق المباشر — و — كن حتى مجرد التفكير فيه » [1]

وواضحٌ من النص أن آرثر كيت لا يريد — في الخلق المباشر حتى ولو كان هو الحق لأنه ملحد لا يؤمن با — من الخالق المبدع الذي يقول للشيء كن فيكون .

فالنظرية عند هذا الفريق من علماء الغرب . — لتفسير خلق الإنسان الأول وليست حقيقة علمية .

ولكنه منطق غريب حقاً ، ليس سوى العناد وقائم على المكـ — فليس من المعقول أنني طالما لم أصل إلى نتيجةٍ مؤكدة أو حقيقة ثابتة في — أن أؤمن بعكس ذلك . فليس هذا بمسوغ أو مبرر على الإطلاق ؟ بل أ — الجادة والصواب والمنهج السليم للبحث العلمي . الذي يرتكز على أسس و — ة .

**ب — رفض علماء الغرب لنظرية التطور :**

الفريق الثاني من علماء الغرب قد رفض النظرية حينما اكتشـ
وأدرك زيفها ونستطيع أن نلحظ فيما يلي من هؤلاء العلماء « والا
أعلن بصراحة قائلاً :

١ — « إنه من المستحيل أن يكون الإنسان قد تم تكوينه على طريقة والارتقاء حيث أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يَصْدُق الإنسان . » [2]

٢ — إن هناك من علماء الغرب مَنْ سخر مِن النظرية وتهكم عليها لما استيقن م فسادها ومنهم العلامة الدكتور الفسيولوجي « إيلي دوسيون » الذي قال عن النظرية .

« الدروانية لا تقوم إلا على حكاياتٍ مُختَرعة لا تعلو قيمتها على قيمة حكايات المرضعات » [3]

نعم .. الآن وبعد مرور مائة عام يجيء العلماء ليعلنوا بطلان هذا كله حيث تعلن جماعة العلماء التجريبين في صراحة تامة أنه لا علاقة للإنسان

(١) مجلة منار الإسلام — العدد ٩ رمضان ١٤٠١ هـ
(٢) مجلة النصر الجزائرية ٢٧ فبراير ١٩٨٠
(٣) نفس المرجع السابق

http://al-maktabeh.com

بالقرد ولا تجانس بينهما .

٣ ــ قال جال بيفتو رئيس المجمع العلمي الفرنسي :

« لقد وقف هذا العالم نصف قرن تقريباً على دراسة أصل الإنسان واستطاع أن يؤكد أخيراً أن الإنسان ليست له علاقة تجانس بالقرد ، وهو يثبت بالأدلة أن النظرية القائلة بوجود جذع مشترك يتشعب منه كلٌ من الجنس البشري وجنس القردة الكبيرة لم تزل مفتقرة إلى البرهان الحاسم وأن هذه المشابهات بين القرد والإنسان غير كافية للجزم بوجود أصل للإنسان والقرد .

وليس من المعقول أن الإنسان الحاضر ربما انحط عن منزلة عضو من ملايين السنين القادمة ليترك المجال لحيوانٍ من الحيوانات ليحل محله ويسيطر على الكون ، وهذا الإفتراض مرفوض لأن الإنسان لم يظهر على الأرض بمجرد صدفة بل إنما بمثابة الهدف الأخير من تنظيم الكون ، ولذلك ظهر مركباً في أكمل تقويم . (١)

٤ ــ الدكتور رونالد جونسون أستاذ علم الأجناس البشرية يقول :

إن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بنسبة ٩٩,٩٪ من الدقة إن الإنسان سار منتصباً على قدميه منذ بداية تاريخه الإنساني منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة .

أعلن هذا في مؤتمر صحفي ــ مارس ١٩٧٤ وهو يمسك في يديه بخمس قطع من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنة عثر عليها في أواخر عام ١٩٧٣ في إثيوبيا ويعتبر الآن واحداً من أعظم الاكتشافات في التاريخ الطبيعي للأجناس البشرية فقد ظهر الإنسان كائناً فريداً في نوعه وسط دنيا من الوحوش الكاسرة وإن هذه العظام قد سدت الثغرة التي ظل العلماء يتحدثون عنها تحت اسم ــ الحلقة المفقودة وإن ما وصل إليه الدكتور « رونالد جونسون » كان خاتمة حفريات كثيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ ، وما بعدها في كينيا ووادي آفار في الحبشة .

ومن أهم ما تقرر أن الجماجم الفريدة في نوعها تتميز بسعة الدماغ مما جعل العلماء يخرجون بانطباع عام وهو أن الإنسان لم ينحدر من سلالة مشتركة تطورت مع الوقت إنما كانت له سلالته الخاصة المستقلة .

ويقول د . جونسون : « إن المعلومات التي أمكن التوصل إليها عن

(١) سلسلة في دائرة الضوء العدد ٢٠

http://al-maktabeh.com

طريق عظام الساق والفخذ في مجال تكوين الحوض والبناء العظمي تقرر بانتصاب الإنسان . وأقول إننا نملك أدلة واضحة على أن الإنسان القديم كان يسير منتصب القامة منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة .

٥ ــ « الدكتور بير بيرسون » الأخصائي في علم الوراثة في جامعة إكسفورد :

أكد أنه بالاستناد إلى المقارنات الطويلة التي أجراها بين عناصر الخلايا التي تحدد أصول الوراثة أن الإنسان لم ينحدر من القرد وأنه لم تعد هناك حاجة تدعو لدراسة ظهور القرد وتطوره على سطح الأرض بغية التحقق من طبيعة الإنسان الحقيقية .

لقد أصدر الدكتور بير بيرسون مع ثلاثة من زملائه قانوناً اشتهر باسم « قانون القرد » حظروا فيه على المدارس والجامعات تدريس المذهب الدرواني ــ مذهب النشوء والارتقاء ــ وذلك لبطلان النظرية التي كانت تقول إن الإنسان هو الحلقة الأخيرة من تطور انطلق من أول أنواع القرود مروراً بالشمبانزي والغوريلا حتى الأوران أوتان التي تشبه الإنسان إلى حدٍّ كبير .
وقد تبين أن فرضية الدكتور بيرسون قد أيدتها الاكتشافات الأخيرة في أفريقيا .

وبالجملة فقد أصبح العلماء الآن عن طريق الكشوف الأثرية وتقديرات العلم الحقيقي ــ لا الفلسفة ــ متأكدين مما جاء به الدين الحق وجاء به الإسلام من أن الإنسان مستقلاً وصدق الله العظيم :

﴿ سنريهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحقُ ﴾ [١]

٦ ــ في السنوات الأخيرة رويت تجربة العالم ليكي مدير المتحف الوطني في كينيا وأحد أقطاب علم الأنثروبولوجيا والذي استمر في أعماله الحفرية لمدة تقارب ثمانية وعشرين عاماً قبل أن يصل إلى اكتشافه لها وكان أول اكتشافاته عام ١٩٥٩ حينما عثرعلى جمجمة وبقايا عظام متحجرة في شمال كينيا لها صفات تختلف كثيراً عن صفات القرد ولم يحرك هذا الاكتشاف بالطبع ثائرة الأوساط العلمية المؤمنة بنظرية داروين بل حاولوا أن يتجاهلوها أو يتناسوها ولكن أنّى لهم ذلك .[٢] .

ثم أكتشفت بعدذلك جمجمة لإنسان أسماه هوموها يلس ، أى الرجل البدوي ، وبين عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦٤ اكتشف مجموعة من المخلوقات في جبل كينيا وهى تتميز بأصابع سبابة تشبه أصابع الإنسان وحجم مخها أكبر .

---

(١) فصلت (٥٣)

(٢) أجدادنا الأفريقيون . لويس ليكس . اليونسكو أكتوبر ١٩٧٢



http://al-maktabeh.com

فسر ليكي الاكتشاف بأنه فرعٌ جديد من شجرة التطور الإنساني تختلف تماماً عن شجرة داروين واستمر ليكي في أبحاثه حتى أصبح شوكة في جنب علماء الأنثربولوجيا ، وخاصة بعد أن أكتشف في أحد جبال كينيا جمجمةً وعظاماً هزت الأوساط العلمية .

نعم ... أحدثت رجة عظيمة إذ أنه بعد قياس عمرها الجيولوجي بواسطة أجهزة الإشعاع الذرية وجد أنها ترجع إلى مليون وستمائة ألف سنة تقريباً وأهم ما يميزها هو حجم المخ . فقد وجد أنه حوالى ٨٠ سنتيمتر أى ضعف حجم مخ القرد الجنوبى وتزيد عليه مليون سنة .

إن هذا المخلوق يعتبر حلقة هامة من تاريخ تطور الجنس البشري مؤكداً أننا ننتمي إلى فصيلةٍ أخرى غير فصيلة القرد الشمبانزي وقد سمى الاكتشاف الجديد باسم الإنسان ١٤٧٠ ومن أهم ما يميزه :

إن شكل الجمجمة والأسنان وعظم الساق تشير إشارةً واضحة إلى شكله وكيفية سيره لأن زاوية ارتباط العمود الفقري بقاع الجمجمة تؤكد أنه كان قادراً على المشى مثلك تماماً ، ولم تكن له صفات الوحش المفترس وذلك كله يثبت خطأ النظريات الاجتماعية التي بنيت على آراء داروين من أن الصفات العدائية في الإنسان ترجع إلى اجداده القردة .

٧ ــ أذاع البروفسيور « جوهانس هوددبر » العالم الذري في سيمتال بسويسرا بياناً في ١٠ مارس ١٩٥٦ عَارضَ فيه نظرية داروين بشدة وقال :

شكل ( ١٠ ) ليكى .. واكتشافه العلمى

http://al-maktabeh.com

« لا يوجد دليل واحد من الألف أن الإنسان من سلالات القرود وأن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .

٨ ــ أعلن الدكتور دوينر المشرف على أبحاث جامعة كولومبيا وأيده البروفسيور هوردلر ٣١ مارس ١٩٥٦ أن نظرية داروين هو رأى لا أساس له ولا أصل علمي له وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذي يعيش ويمشي على رجلين ومنها الدواب التي تمشي على الأربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها . وصدق الله العظيم إذ يقول :

**﴿ والله خَلَقَ كُلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء إنَّ الله على كلِّ شيءٍقدير ﴾** (١)

لقد تآزر دليل العلم مع أدلة الدين الحق على عدم تأكيد نظرية داروين بشقيها ، وعلى أنها أسطورة انهارت وصدقت الكشوف الأثرية رأى الدين في أن الإنسان خُلِقَ من جنس مستقل .

إن ما أثبته العلم أخيراً ، لم يكن من المفاجآت فإن علماء كثيرين متجردين أعلنوا أن الأنواع كلها ظهرت إلى عالم الوجود دفعة واحدة كاملة دون سابق إعداد أو خطوات متوسطة ، فلم يكن هناك حاجة إلى سلسلة من الأجيال المتعاقبة أو الانتخاب الطبيعي أو تنازع البقاء وقد قال بذلك كثيرون من قبل .

نعم ... فبالرغم من كل ذلك كان أنصار داروين ودعاة التطور كالكلاب الضارية يأكلون كل مَنْ يحاول أن يكتشف زيفهم في محاولة لئيمة تهدف إلى إفساد الفكر البشري كله ، وتسميم الأديم الإنساني كله بما وراء ذلك من غايات وأهداف .

لقد كانت جماعة داروين من الملاحدة والمعطلة يهدفون إلى تدمير الإنسان يقول لردن لويس (٢)

« إن المؤمن يرى كل تطور نتيجة فعل القوة الإلهية في الطبيعة لا نتيجة تطور ذاتي . وإن داروين خطر على الدين لأن مذهبه لا يعطي المقام اللازم

---

(١) النور (٤٥)

(٢) سلسلة في دائرة الضوء ــ العدد ٢٠ الاستاذ أنور الجندي



http://al-maktabeh.com

للعزة الإلهية في تطور الكون وإن فئات متعددة من الدروانيين معطلة ، تقول بأن الله نفسه من خلق الإنسان وإن أصل كل شيىء كيس هلامي كان في الماء ويتبع هذه المجموعة فخت وهيجل وبختر وكليفرد ، أما سبنسر وهكسليوتندولين و أتباعهم فيؤلفون فئة اللاإرادية التي لاتهتم بالقضية الدينية إطلاقاً لأنه في نظرها لا دخل لها في مسألة النشوء والارتقاء .

إننا باستعراضنا لآراء جهابذة العلم في الغرب من علماء متأصلين في طرق البحث العلمي في تخصصاتهم العلمية الدقيقة لا نملك إلا أن نقول « **شهد شاهدٌ من أهلها** »

فها هم علماء الغرب أنفسهم يشهدون بسقوط نظرية التطور أو ما يسمى بنشوء وارتقاء الكائنات الحية وبطلان كل ما قيل عن نشأة الإنسان وارتباط أصله بسلالة القردة العليا وزيف ما أسموه بإنسان بكين وبناندرتال .. الخ .[1]

لقد أعلنوها مدوية وصريحة وواضحة بكذب كل ذلك وفندوه بالبحث العلمي الجاد والدليل المادي الذي لا يكذب أبداً ولم يتناولوا الأمر تناول الفلاسفة وأصحاب الرأى الفطري فقط الذين يكفيهم استنباط الرأى من أقاويل هذا أو ذلك .

نعم ... شاءت إرادة الله عز وجل أن تفضح هذه الفكرة الخبيثة على يد أهلها الذين هللوا لها يوماً ما ، وآمنوا بها ، ولو كان هذا الأمر على أيد غيرهم من العلماء العرب والمسلمين ربما تدافعوا الواحد تلو الآخر يتهمونهم بالتحيز لمعتقداتهم الدينية والانسياق وراء إيحاءاتها العلمية أو إشاراتها الكونية التي وردت في كتاب الله عز وجل . وها هو ذا عالم فرنسي جليل يؤكد أن الإنسان شخصية متميزة منذ بدء الخليقة ، فلقد اعترف الدكتور « لو كنت دي نوى » [2] بأن العلم دائماً معرض للخطأ .

« يعترف الدكتور « لو كنت دي نوي » العالم الفرنسي في كتابه « مصير البشر » بأن العلم دائما معرض للخطأ ، ولا ينبغي علينا أن نثق بنظرياته ثقة عمياء ، فليس في هذا الكون الشاسع شيء نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة . لأن حواسنا الخمس لا تدركها ، ولأن أجهزتنا العلمية لم تصل بعد إلى درجة الكمال في دقتها . ونحن نعيش في كون لا يحيط به ادراكنا ، فكل ما نراه ونؤكد إنه حقيقة ،

---

(١) تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا عبد الله بن العباس الجراري دار الفكر العربي

(٢) مصير البشريه لو كنت دي نوى ( مقال نشر في جريدة الوفد )



http://al-maktabeh.com

انما هو مجرد رأى نسبي . وفي هذا الكون الواسع نجد العلم يتعامل مع قشور ضئيلة من المعرفة رغم التقدم العلمي الهائل ، فهناك فاصل كبير بين ما نعرفه ، وبين الحقيقة المطلقة .

ويؤكد الدكتور « دي نوى » انه من المستحيل علينا أن نفسر بدء الحياة وارتقاءها بالمصادفة البحتة . ولسنوات طويلة ظل الماديون يؤكدون أن المصادفة هي التي تتحكم في المخلوقات ، ويبرهنون على ذلك بنظرية التطور والنشوء والارتقاء التي وضعها « تشارلز داروين » . ولكن الانسان حُرّ في أن يطيع غرائزه أو ينشد هدفا اسمى ، وهذا الأختيار من صفات الإنسان وحده . صحيح أن في نظرية داروين بعض الحقائق الجوهرية ، ولكن كيف ولد الفكر المجرد في البشر ، وكيف ظهرت الأفكار الأخلاقية والروحية . هل ظهرت من تلقاء نفسها في شتى أنحاء الأرض ــ حتى إنها تكاد تتشابه في الحضارات القديمة ــ أم ظهرت بعض تطور الخلايا الحية والأسماك والقردة ؟ انه من المستحيل علينا معرفة كيف بدأت الحياة بدقة ، وليس هناك عالم واحد يستطيع أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي ينتمي اليها الانسان ..

ويقرر الدكتور « دي نوى » بحسم أن تاريخ تطور العالم كله مغلف بالاسرارالغامضة ، وكل خطوة تطورت فيها الاحياء الى الامام ،قد تمت على الرغم من مناقضتها لحساب الاحتمالات العلمية والنواميس الطبيعية . وكل تقدم من أدنى إلى أعلى ــ كما تذكر النظريات ــ كان تطوراً بعيد الاحتمال ، بل مستحيلاً على الإطلاق ! فقد كانت خلايا البروتوبلازم الاولية ــ مثلا ــ تتكاثر بالانشطار لملايين السنين ، وفجأة وعلى نحو غامض ، جاء أسلوب جديد وغريب في التكاثر بالتزاوج ! ومن الأمور العجيبة أن يأتي ( الموت ) قرينا بالتطور والارتقاء !! هذا الحدث البعيد الاحتمال أجبر كبار المتعصبين من الماديين على التسليم بوجود « قوة مجهولة » فسموها « نقيض أو مضاد المصادفة » وما داموا يعترفوا بها فليسموها ما شاءوا .

ويؤكد الدكتور « دي نوى » ان الانسان كان دائما شخصية متميزة منذ بدء الخليقة وانه خلق هكذا . صحيح إنه قد تعرض الى التطور هو الآخر ، ولكنه تطور من نوع آخر يشمل الافكار الاخلاقية والروحية السامية ، والتي يحمل لواءها إناس خيرون ذو ضمائر حية . وينظر كثير من الناس اليوم إلى المخترعات الحديثة كمؤشر للحضارة الحق ، ولكن الحضارة بنت الثقافة ، ويجب ان تسود الأمة أولا ثقافة عامة تصهرهم ! وفي هذا المجال يجب أن يكون المثل الاعلى لكرامة البشر لا لراحتهم بالأجهزة الحديثة . وإذا لم يخضع العقل للضمير ، اساء البشر الاختيار بين الخيروالشر . فالذكاء البشري هو الذي صنع القنبلة الذرية ، ولكن الضمير الإنساني هو الذي يمنع استخدامها . ومما يؤسف له ان هناك من لا يزالون يعتبرون الانسان

http://al-maktabeh.com

حيوانا راقيا لا اكثر . ولذلك تراهم لا يتخذون سوى حلول حيوانية لمشكلات انسانية . ولكن إرادة تلك القوة المجهولة التي يسمونها « نقيض المصادفة » هي لتطور العظيم . وهذا التطور يقتضي ان يكون الانسان حرا لكي يصل الى السمو العقلي باختياره لأن الشخصية الانسانية تعمل اختيارا للسمو ، وتجري طوعا لإرادة الله . »

**ثالثاً : موقف علماء العرب المسلمين من نظرية التطور :**

لقد إنقسم علماء العرب المسلمين في موقفهم من تلك النظرية منذ ظهورها إلى الآن أقساماً وشيعاً وسوف نعرض لكل قسم منهم شيئٍ من التفصيل إحقاقاً للحق وتبييناً للحقيقة لا أكثر نود قبل هذا أن نوضح أمراً هاماً وهو أن مفهوم نظرية التطور كان معروفاً لدى العرب قبل مجيء داروين بقرون طويلة وكان البعض يرى ما ذهب إليه داروين وفي ذلك يقول العلامة « دابر » الأمريكي [1]

تأخذنا الدهشة أحياناً عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا كالرأى الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها ، فإن هذا الرأى كما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون به إلى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم ماما جتى يشمله الكائنات العضوية والمعادن والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هوَ ترقي المعادن في أشكالها .

ويقول الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل [2] عن الانتخاب الطبيعي فهو في جيل البداوة وفي حضارة الإسلام أمر معروف ومعمول به سواء أكان في انتخاب لزوجات من النساء . وتحرى النجيبات من الأمهات فيخطبون بناتهن ، وفي ذلك أقوال مأثورة كالقول« خذ لابنك خالا » أى زوجة يكون لها من الصفات الطيبة وحسن الخلق والمزايا لإخواتها . حتى إذا جاء الولد يكون من الوراثة عن طريق أمه ما يشبه أخواله من موجبات الفخر وكذلك عن طريق الأب فيشبه الأعمام فيفتخر أو يمتدح فيقال : « فلان معم مخول » .

أما حرص العرب على الانتخاب الطبيعي في تحسين الحيوان ولاسيما في تحسين نسل الخيل فأمرٌ مشهور إذ أن البدوي إلى اليوم يطوف البراري والأمصار ليجد لفرسه جواداً أصيلًا ، ويحرصون على حفظ أنساب الخيل حرصهم أو أكثر من حرصهم على أنساب البشر .

ويقول عن النشوء والارتقاء :

أما مقصد أبي العلاء من قوله :

---

(١) أجناس البشرية ـــ م . نشتون

(٢) خاطرات جمال الدين الأفغاني ـ اختيار وتنسيق الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل .

http://al-maktabeh.com

« والذي حرث البرية فيه ، حيوان مستحدث من جماد »

فظاهرٌ وواضحٌ ليس فيه خفاء ، فهو يقصد بالنشوء والارتقاء أخذاً بما قاله علماء الغرب قبل بهذا المذهب إذ قال أبو بكر بن بشرون في رسالته لأبي السمح عرضاً في البحث الكيميائي :

إن التراب يستحيل نباتاً والنبات يستحيح حيواناً ، وإن أرفع المواليد هو الإنسان والحيوان وهو آخر الاستحالات الثلاثة وأرفعها .

وإن أرفع مواليد التراب ومنه المعادن النبات وهى أدنى طبقات الحيوان ، سلسلة تنتهي عند الإنسان .

فإذا كان بناء مذهب النشوء والارتقاء على هذا الأساس فالسابق فيه علماء العرب ، وليس داروين مع الاعتراف بفضل الرجل وثباته وصبره على تتبعاته وخدمته للتاريخ الطبيعى من أكثر وجهة ، وإن خالفته وخالفت أنصاره في مسألة « نسمة الحياة » التي أوجدها الخالق سبحانه وتعالى لاعلى سبيل الارتقاء من فرد .

نعم .. كان هذا في زمن لم تكن قد وجدت بعد فيه أجهزة متقدمة تعينهم على التحقق مما يقولون من آراء مجرد نظريات أو فرضيات إلى أن جاء داروين وحاول تأكيدها أو التحقق من تحول الأنواع المختلفة للكائنات من عدمه .

ولكننا بعون الله تعالى نود الآن أن نلقي نظرة طويلة نوعاً ما على موقف علمائنا ومفكرينا في هذا العصر أو في القرن الذي نعيشه من نظرية التطور حتى تكون على بينة من كتابات البعض منهم ولا تنساق وراء دعاواهم وحبهم للتقليد لا أكثر وللظهور بمظهر التقدميين أو العصريين كما يحلو لهم .

ولقد انقسم علماء العرب والإسلام في مواقفهم من النظرية منذ ظهورها إلى الآن كما أشرنا سابقاً إلى ثلاثة أقسام :

## أ ــ مفكرو الإسلام ورفضهم لآراء داروين :

لقد تصدى هذا الفريق من العلماء للنظرية وعارضها ورفضها جملةً وتفصيلاً ، مستلهماً في ذلك روح القرآن الكريم ومستحلياً لمعانيه العظيمة من إشاراته العلمية إلى الآيات الكونية وفهمها فهماً سليماً وفي نفس الوقت متفطنا إلى خلفيات النظرية وأهدافها الخبيثة وهى التشكيك في الدين ، وإشاعة الحياة الحيوانية بعد إيقاظ الغريزة البهيمية في الإنسان وتبرير الثورة على الأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة ومن أولئك العلماء الأفذاذ الذين يحمد لهم ذلك، ويشهد لهم بالسبق في هذا الأمر واليقظة لهذا الخبث والتشكيك « جمال الدين الأفغاني » الذي هاجم النظرية بشدة واعتبرها مما

http://al-maktabeh.com

جـمال الدين الأفغـانى

ينافي الدين وألف في ذلك كتابه « الرد على الدهريين » ، كما عارض النظرية وهاجمها عمالقة الفكر الإسلامى الحديث ودعاة الإسلام المخلصون نذكرعلى سبيل المثال الأستاذين الجليلين خالدي الذكر سيد قطب رحمه الله ومحمد قطب وكذلك الأستاذ البحاثة أنور الجندى أطال الله عمره وكثيرون غيرهم .

وقد يؤخذ على هؤلاء جميعاً أنهم ليسوا بمتخصصين في تلك الناحية من العلم « البيولوجيا والجيولوجيا » ولكنهم قرأوا ودققوا في مسائل تلك النظرية وحققوها بما أعطاهم الله من ملكات فذة ومنحهم من فهم لكتاب الله عز وجل ويقظة إيمانية من

http://al-maktabeh.com

سيد قطب

كل ذلك كان دليلهم ومؤنسهم في رحلتهم تلك أو دراستهم هذه .

**ب ــ أنصار مذهب التوفيق والمحاولة والفشل :**

أما الفريق الثاني :

من كتاب العرب من قبل النظرية وروج لها عن اعتقاد في صحتها وإيمان بها ومن هؤلاء « سلامة موسى » الذي كتب مقدمة الطبعة الأولى من كتاب « التطور وأصل الأنواع » وقال في ذلك :

نظرية التطور من النظريات الكبرى التي تسيطر على الثقافة الأوروبية وتصبغ عقلية المفكرين في جميع أنحاء العالم الآن وهي قائمة في الأصل على درس التاريخ الطبيعي والحيوان والنبات .

والحقيقة أنه لا يجب أن نستغرب هذا الموقف من سلامة موسى الذي اصطبغ فكره بالدعوة إلى العلمانية في الفكر ، والإيمان بالتغريب والدعوة إلى كل ما هو غربي ، فكان وراء الترويج للنظرية في العالم الإسلامي .

وكذلك كان الأمر بالنسبة للأستاذ إسماعيل مظهر الذي ترجم كتاب أصل الأنواع لداروين وكتب له مقدمةً زهاء المائة صفحة شارحاً لتلك النظرية مؤيداً لها ومدافعاً

http://al-maktabeh.com

عنها .

نعم .. حتى أنه حاول الاستدلال على صحتها منذ العصور الأولى للإسلام عام ٤٢١ هـ فاستشهد بكتابات لابن مسكويه الخازن بعنوان « الفوز الأصغر وتهذيب الأخلاق » والحقيقة أن الإنسان لا يملك إلا أن يعجب من الاستدلال بآراء قوم قالوا بها في وقت كان ينقصهم فيه الكثير من الأجهزة التي تعينهم على تحقيق أو إثبات ما يريد أن يصل إليه وربما بدا له أن ينسب شيئاً من هذاالفضل إلى العرب كمؤسسين لهذا النوع من الفكر ولكن أى فضل هذا ؟

وكثيراً ما أشاد في مقدمته بآراء داروين مع اعترافه أحياناً بقصورها وعجزها عن التوصل إلى إثبات بعض الحقائق وخاصةً تلك المتعلقة بأصل الإنسان ونشأته ولكنه سار مع التيار فلم يشأ أن يتخلف عن ركب التقدم والجديد في العلم وأى علم بل أين هذا العلم ؟

أما الفريق الثالث :

فقد حاول التوفيق بين النظرية والإسلام اعتقاداً منه أن يوفق بين الدين والعلم ، رغم أنه لايوجد أصلًا في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة ما يشير إلى أن الإنسان قد تطور من حيوان سبقه إلى الوجود

نعم .. لقد حملوا معاني آيات القرآن الكريم أكثر مما تحتمل وأولوها تأويلات بعيدة عن الدين واللغة أيضاً .

ومن هذاالفريق نجد الشيخ « محمد رضا » والعلامة التقي « الأصفهاني » حيث إعتمد أن النظرية ليست مما ينافي الدين وكذلك الدكتور صابر طعيمة الذي حاول التوفيق بين نظرية داروين والإسلام في كتابه : «الإسلام والتقدم والإجتماعي » .

**١ ــ العقاد ونظرية التطور :**

إن الموقف نفسه نجده عند الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله ، فقد إنزلق في هذا المنزلق عندما قرر في كتابه « التفكير فريضة إسلامية » إنه يجوز للمسلم أن يأخذ بالمذاهب الفكرية الغربية لأنه لا يحد شيء يمنعه من ذلك حيث قال :

« أما مذاهب الفكر فأكثرها ذكراً في العصر الحاضر ، مذهب التطور ومذهب الوجوديه أو مذاهبها المتعددة بمقاصدها وأن أتحدث بعنوانها فما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية أو يعمل للوحدة العالمية ؟ وما الذي يمنع المسلم من إمكان دينه

http://al-maktabeh.com

أن يقبل مذهب التطور أو يقبل الوجودية في صورتها المثلى ؟ (١)

وواضح من النص السابق أن العقاد كان يريد التوفيق بين المذاهب الفكرية الغربية والإسلام وقد فاته أن الإسلام منهج متفرد بأصالته ومميزاته الذاتيه وأنه منهج رباني يعلو ولا يعلو عليه ويفوق المذاهب البشرية كافة ، ولا مجال للتوفيق بين ما هو رباني شامل ، وما هو بشرى قاصر فالإسلام منهج مستقل قائم بذاته لا يقبل التلفيق أو التوفيق فعلى سبيل المثال :

فإن الوضع السياسى في الإسلام يختلف كثيراً عن فهم الديمقراطية والاشتراكية، تلك العبارات المطاطة والتي استوردناها من الغرب مع أننا نملك مبدأ من أعظم المبادىء في حكم الشعوب ألا وهو مبدأ الشورى الذي لا تهزم أمه تأخذ به في نظام حياتها تجعله دستورا لحكمها وما أفلتْ دولة وضاعت هيبتها وديست كرامتها إلا بجبروت حكامها وإذلالهم لشعوبهم تحت ظل هذه الشعارات الخادعة والماكرة . الديمقراطية ... والاشتراكية .

والديمقراطية إنما تنادي بحكم الشعب بالشعب فمعنى ذلك أنه إذا كان الشعب فاسداً ولاه عن مصالحه فيجور أن يتولى أمره بقوانين جائرة وفاسدة . وبذلك تكون الديمقراطية مطبقة ومعمول بها حسب مفهومها ومعناها .

أما الإسلام فيقرر أن الشعب إنما يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا مجال إذن لهوى البشر . واختلاف آرائهم وأفكارهم .
وكذلك الوجودية لا يرى العقاد حرجاً في الإيمان بها والاعتقاد فيها .

هل غاب عن علمه أن الوجودية طريقة للإباحية والتحلل من القيم الإنسانية . لقد أخطأ العقاد كثيراً في محاولته تلك . ولكن على مايبدو أنه تدارك الموقف فيما بعد في كتابه الإنسان في القرآن الكريم إذ نراه يحاول دوماً أن يدلل على نقائض النظرية مثاليا .

## ٢ - الدكتور زكى نجيب محمود ونظرية التطور :

وإني لأعجب من الدكتور زكي نجيب محمود حين هاجم جمال الدين الأفغاني لأنه رفض نظرية داروين من منطلق إسلامي مستلهماً في ذلك روح القرآن الكريم الذي كرم الإنسان ونزهه عن الحيوان وأعلى من شأنه قال الدكتور زكي نجيب محمود .

« لا ينبغي بل لا يجوز أن يؤخذ رد الأفغاني كما تؤخذ ردود العلماء بعضهم على بعض

---

(١) عباس محمود العقاد ــ التفكير فريضة إسلامية ص ١٣٨



http://al-maktabeh.com

لأنه رد خطابي صادر عن موقف وجداني رافض ليخاطب به جمهوراً ، هو بدوره يقف موقفاً وجدانياً رافضاً بالنسبة إلى الثقافة الوافدة من الغرب الحديث فلو نظرنا إلى الموقف كله على أنه موقف وطني ينشد التمييز من الغرب الهاجم بعلمه وقوته فقد كسب الأفغاني ما أراد لكننا لو نظرنا إليه على أنه رد علمي على نظرية علمية لَمَا ترددنا في القول بأنه قد خسر المعركة وترك النصر لخصومه ..[1]»

لقد عاش الدكتور زكي نجيب محمود بدمه وعصارة فكره ، غربي النزعة في كل شيء وآخرها موقفه من حجاب المرأة أو الفتاة المسلمة ووصفه إقبالها اليوم على الحجاب بأنه ردة في عالم المرأة ووصفه له بأنه حجاب للعقل قبل أي شيء . إلى آخر ما قال ورد عليه علماء أفاضل .

وإذا كان هذا حاله فلا يعجب الإنسان كثيراً من هجومه على ثائر عظيم ومفكر إسلامي كبير أيقظ الشرق الإسلامي من سباته العميق وبعثه من جديد فالدكتور في هجومه على الأفغاني كان من منطلق فهم غربي للدين وذلك المفهوم الغربي الذي يفصل الدين عن العلم ويفترض العداء بينهما ويعتبر أن للعلم ميدانه وللدين ميدانه ولا يجوز من وجهة نظره ــ أن يتدخل أحدهما في ميدان الآخر .

إن هذا المفهوم غريب أشد ما تكون الغرابة عن الإسلام الذي يختلف تماماً عن مفهوم الدين في الغرب وأعظم ما يكون بعداً عن موقف الغرب أو الإنسان الغربي من دينه الذي أصبح ينظر إليه في شك وقلق .

نعم .. إن وجه الغرابة في ذلك الأمر أن الإسلام يجمع بين العلم والدين والدنيا والآخرة والعقل والروح . يجمع بين العلم بقضاياه المختلفة فلا يصطدم مع حقيقة من حقائق الدين أو إشارة من أشاراته العلمية أو الكونية .. يجمع بين الدنيا بالسعي فيها والأخذ بالأسباب وعدم التواكل وفي نفس الوقت يطالبنا بعدم نسيان أو إغفال أمر الآخرة بما فيها من حساب وجزاء وثواب وعقاب . يجمع بين العقل فلا يحجر عليه بل يطالب منه التفكر والتأمل في الكون ومخلوقات الله فيه للفقه والاعتبار والتقدم والازدهار وبين الروح فيسمو بها إلى عالم الطهر والنقاء والعفاف والصفاء فتتكامل سيكولوجية الإنسان ويسعد في دنياه وأخراه .

لقد فات الدكتور زكي وهو المفكر الحصيف أن العالم المسلم ، إذا ما وقف أمام قضية فكرية أو مسألة علمية تتعلق بشئون الإنسان أو الكون أو الحياة وجب عليه أن يرجع إلى كتاب الله أولا يستفتيه فإن لم يجد ضالته في كتاب الله ولا سنة رسوله الكريم ، فحينئذ يجوز للعالم المسلم أن يجتهد ويستعمل عقله وهذه القاعدة المتعارف

(١) زكي نجيب محمود ــ م زاوية فلسفية ص ١٥



http://al-maktabeh.com

عليها والمعمول بها بين علماء المسلمين عكسها الدكتور الذي جعل السيادة والقول والفصل للعلم وليس للدين كأن العلم إلهٌ .

كأنه يصيح بالناس لا تؤمنوا إلا بتجارب العلماء المتفيقهين ، وطالبي الشهرة والصيت ، ودعوكم من هذا الدين الذي هو سبب تأخركم وتخلفكم ونسى .

نعم — نسى أن هذا العلم الكاذب الذي خطف بصره ببريقه الزائف يخطىء ويصيب ويثبت اليوم ما كان ينفيه بالأمس وقد ينفي اليوم ما كان يثبته بالأمس وأحسن دليل على ذلك نظرية التطور نفسها . نعم . نظرية داروين هذه التي دافع عنها الدكتور في حينها باسم العلم ثم أتى اليوم الذي يوقن أنه كان يدافع عن الأوهام ويزود عن الأباطيل حيث ثبت بطلان النظرية وكان الصواب الصالح للدين وليس لصالح العلم . العلم المتذبذب الذي لا يثبت على حال أو يصل إلى حقيقة مؤكدة أو مادة ثابتة .

ذلك أن القرآن صادر عن خالق الكون الذي رتب القواعد العلمية الكونية وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :

﴿ ألا يعلمُ مَنْ خلَقَ وهو اللطيفُ الخبيرُ ﴾[1]

بينما العلم كشوف بشرية متأرجحة وعليه فيجب إخضاع العلم للقرآن وليس العكس الذي ذهب إليه الدكتور زكي محمود حينما قال :

« لو جاءنا قائل يقول روى عن نبي أنه قال كذا وكذا مما نراه مناقضاً لما أثبته العلم لوجب علينا أن نحكم إما بكذب هذا القائل ، وإما أن نحاول تأويل روايته تأويلاً يجعلها مسيرة لما قد ثبت صوابه بالعلم الصحيح » .

إن هذا المنهج هو المنهج الذي يقيم صراعاً وعداوة وتنافراً بين الدين والعلم . ذلك أن الصراع بين الدين والعلم في الإسلام صراع مفتعل لا وجود له وكان الواجب على الدكتور ليكون أكثر دقة وقرباً من الحقيقة ووجه الصواب أن يضع احتمالين :

إما أن تكون حقائق العلم نهائية وفي هذه الحالة لن يكون هناك تعارض بين الدين والعلم بالضرورة وإما أن تكون نتائج أبحاث العلم غير مستقرة وفي هذه الحالة يجب على العالم أو العلم أن يعيد التجربة لتصير أبحاثه حقائق نهائية ويستقيم مع الوحي لا أن نحاول التوفيق بين نتائج لم تثبت صحتها بعد ولم تصل إثباتاتها إلى درجة اليقين وبين الدين عن طريق تطويع النصوص الثابتة الصحيحة بتأويلها تأويلات لا تحتملها ، وكأنه يقدس ما يفرزه العقل البشري من إفرازات فكرية ومهاترات فلسفية . ويجعلها

---

(١) الملك (١٤)



http://al-maktabeh.com

أكثر إحتراماً من نصوص القرآن الواضحة الدلالة الجليلة المفهومة لكل ذي عينين . وهو الفليسوف المفكر الذي يعلم بداية بقصور العقل البشري عن الوصول إلى الحقيقة .

في الكثير من الأمور ويعلم باعتراف أساتذته من مفكري الغرب وفلاسفته أمثال « كانت » وغيره في هذا الأمر وتسليمهم بذلك وأنه ليحضرني وأنا أكتب تلك السطور مقولة « جون لوك » المتواضعة الجميلة : « إن عقولنا لم تخلق كبيرة كالحق ولا ميسرة لإدراك الأشياء جميعا فكان علينا أن نتدبر ، وأن نعمل » .[1]

نعم .. وفي كلتا الحالتين ينتفي الصراع بين الدين والعلم وتصبح معركة الدكتور معركة في الهواء ولعل من الحسن أن نستصحب معنا في تلك النقطة بالذات رأى فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الذي أعلن مراراً أنه لو تعارض نص قرآني مع آية كونية أو إكتشاف علمي فالخطأ إنما يكمن في الكشف العلمي أوهذا السبق كما يسمونه أحيانا فيجب في تلك الحالة أن يعاد الأمر إلى المعامل مرةً أخرى وتجري التجارب مرة ومرة حتى تتفق مع آيات ربنا المنزلة لأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن تصطدم آية قرآنية بسبق علمي صحيح مائة في المائة ثم احتمالات الخطأ من الإنسان كثيرة ومتعددة ولأسباب خارجة عن إرادته .

والخلاصة أن فشل نظرية داروين وبطلانها وثبوت زيفها يؤكد لنا ما يلي :

---

(١) عظماء الفكر الأوربي عثمان نوية .

http://al-maktabeh.com

١ ــ عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشرى قابل للخطأ والصواب ، وقابل للتعديل كلما اتسعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت وسائله للمعرفة كما قال المفكر الإسلامي الكبير الحديث سيد قطب رحمه الله ، ذلك أن الحقائق الكونية التي وردت في القرآن الكريم هى حقائق نهائية صادرة عن الخالق جل وعلا الذي رتبها وأبدعها سواء طابقتها الكشوف العلمية البشرية أم لم تطابقها وسواء أكانت تلك النظريات افتراضية أم تجريبية .

٢ ــ **تأكيد عظمة الفكر الإسلامي :**

وسموه على جميع المذاهب الأرضية البشرية وخلوه من التناقض وأنه يجب أن يبقى القول الفصل دائماً للقرآن في الكشوف العلمية التي ورد بشأنها نصٌ في القرآن الكريم .

٣ ــ **إفلاس الفكر الغربي :**

لقد أكد لنا بطلان نظرية داروين ، إفلاس الفكر الغربي وتفاهته فإذا كانت نظرية داروين التي حاولت أن تتكىء على العلم قد فشلت فإن نظريات اغوست كزنت وماركس وفرويد ودور كايم وسارتر في الفلسفة والعلوم الإنسانية هى نظريات افتراضية وتفسيرات ذاتية قد أسست على المنهج المادي الغربي ، وبنيت على تصور قاصر في فهم الكون والإنسان

زكى نجيب محمود

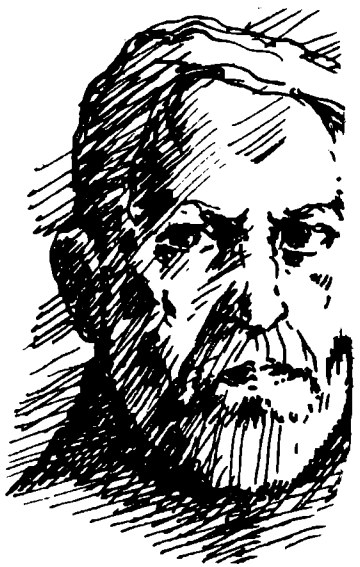

فرويد

http://al-maktabeh.com

والحياة لأنها لا تضع في اعتبارها دور الخالق عز وجل في خلق الكون وتاريخ الإنسانية كما يجب على الذين يقومون بتدريس هذه النظريات في جامعات البلدان الإسلامية ألاّ يكتفوا بنقد هذه النظرية بل يجب عليهم أن يقدموا البديل الإسلامي لها .

### ٣ ــ الدكتور عبد المحسن صالح والإيمان بالنشوء والارتقاء :

لقد كان من العجيب أن نقرأ للبعض من علمائنا الذين يفترض فيهم بحكم علمهم كمتخصصين في دراسة الكائنات الحية يحاولون الاستدلال على صحة نظرية التطور عند داروين من أمثال : د . عبد المحسن صالح الذي كتب تحت عنوان « العلم أمام القضاء في قضية القرد المظلوم » [1] لقد كتب مقالته تلك في أسلوب تهكمي يَضُم كل من يعارض فروض هذه النظرية أولا يؤمن بآرائها بالسذاجة والجهل وخاصة علماء الدين الذين يعتقدون في نظرية الخلق المستقل مستندين إلى ما جاء في كتاب ربنا عز وجل فيقول :

« وبهذا المنطلق الساذج الزائف ينشرون فتاواهم على الناس فيريحون ويستريحون » .

ثم نجده يعترف صراحةً أن النظرية ــ أعني نظرية التطور ــ لازالت غير مستقرة بدليل أن العلماء أنفسهم لا يزالون يثيرون حولها كثيراً من الجدل ومع أن ذلك وحده كفيلٌ بإسقاطها وبرهانٌ قوى على فشلها إلا أنه يعتبر ذلك نقد في المظهر وليس في الجوهر ويعود ويبشر باكتشاف الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد مع أن هذا شيءلم يحدث بعد .

ثم يعلق أن لكل شيء بداية متواضعة حتى الإنسان ويحمد لداروين جرأته في إعلان ذلك ويمجد في النظرية بعبارات المديح والثناء ثم يقول :

ولقد اعترف داروين بعجزه عن إدراك بعض النقاط التي قابلته في دراسة الكائنات وتنوعها وارتقائها في حلقات ولابد أن نعطيه عذره لا يمكن أن يتوصل إلى معرفة كاملة .

نعم .. فنحن وإن كنا نتفق معه في ذلك إلا أننا نتساءل عما قاله بعد ذلك .

---

(١) الدوحة القطرية العدد ٨٢



http://al-maktabeh.com

« هل عرف العلماء الذين جاءوا من بعده ما غاب عنه كما يقول وتوصلوا إلى نتيجة قاطعة بالدليل الساطع والبرهان القوي »

ثم يتحدث عن تقسيمات الكائنات الحية من فقاريات ولا فقاريات ثم انقسام الفقاريات إلى ثدييات ثم انقسام الثدييات إلى أعلى رتبة فيقول :

« وهنا رتبة تسمى الأوليات وتشترك معنا فيها على سبيل المثال لا الحصر عائلات قرود العالم القديم والجديد والقردة العليا والشمبانزي وإنسان الغاب والغوريلا وهى أقرب الأنواع شبهاً بالإنسان ومع ذلك فالعلماء متفقون على أننا لسنا من سلالتها أو أصولها لأن شجرة النسب قد تفرعت عن أصل آخر قديم » .

أليس في ذلك ما يدعو إلى الخيال والحيرة ؟ ما معنى أننا لسنا من سلالة إنسان الغاب أو القردة ثم يقول : إننا نشترك معهم في صفات متشابهة ثم يتساءل : وماذا تمخضت عنه بحوث العلماء الحاليين عن أصل الإنسان وحسبه ونسبه وهل تخلوا عن الفكرة التي نادى بها داروين من قبل ، ونسب الإنسان إلى رتبة القرود .

ثم يجيب هو بنفسه على تساؤله بإجابة لا تدري أهو ينفى صحة نظرية التطور أم يستدل على صحتها في شيء من الحيرة والبلبلة قائلاً :

« الواقع أن داروين لم يقل ذلك صراحة بل أشار إلى أن الإنسان بطبيعة اشتراكه في صفات كثيرة مع صفات الرتبة له أصول قديمة اشتق منها لكن هناك فجوة واسعة أو حلقات تطورية ناقصة بين الإنسان أقرب الكائنات الحية شبهاً به نعني عائلة القردة العليا فهو لم يستطع طيلة الخمسين سنة التي قضاها في البحث أن يشير إلى حلقة واحدة واعتبر ذلك نقصاً معيباً في نظريته لكنه مع ذلك أشار إلى إمكان الكشف عن بعض هذه الحلقات التطورية أو كلها وقال إن القارة الإفريقية ربما تكون هى الوطن المناسب للبحث عن هذه الأصول فربما وجد من يأتي بعده ما أسماه بأشباه الإنسان .

ثم يقول بعد ذلك إنه قد تحققت نبوءته ــ أى نبوءة داروين هذه :

ولقد كذب في ذلك لأنه إلى الآن لم يتم اكتشاف تلك الحلقات المفقودة أو ما يسمى بأشباه الإنسان فمع أن العلماء أعني علماء الحفريات ــ قد اكتشفوا ثروة لا بأس بها من مخلوقات حفرية مثيرة إلا أنه ليس من بينها تلك الحلقات المفقودة التى يزعمونها .

http://al-maktabeh.com

وإني لأحيلك عزيزي القارىء إلى ما كتبه الدكتور عبد الله العبادي تحت عنوانه « داروين وفتنته النائمة » ردا على الدكتور عبد المحسن صالح قائلا . [1]

يريد الكاتب أن يثبت أن نظرية داروين حقيقية ، ولها فضل كبير في تغدية عقول العلماء واستمرار استنتاجاتهم العلمية وتطور البحوث حتى يومنا هذا

ولذا فالدكتور البادي يتساءل : لماذا نتشبث بهذه النظرية الخاطئة بالذات دون النظريات الأخرى ونريدهاأن تكون مثار جدل مستمر فيما بين القراء على صفحات الصحف والمجلات .

لماذا لا نتناول مثلاً في كتاباتنا قصة اختراع السيارات وتطورها ، لماذا لا نتناول في أبحاثنا ومعامِلنا دراسة اختراع الصاروخ وتطوراته ؟ من صواريخ عابرة للقارات وغيرها أو الطائرة وكيف مرت بمراحل إلى أن وصلت إليه اليوم ؟

بل لماذا لا نتناول صنع الإبرة التي هى أبسط شيىء في عالم المصنوعات ونحن نستوردها للأسف حتى الآن ؟

إن الهدف واضح ومرسوم وهو شغل المسلمين والعرب فيما لا جدوى تحته ، ولا فائدة منه ، وإلا فمثل هذه النظرية الخرقاء لا تستحق كلاماً ، أو كتابة أو أقلاماً سائلة فهي فتنة كلما نامت أيقظها المغرضون ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

**« الفتنة نائمة لعن الله موقظها »**

وأى فتنة أشد من هذه التي تتعرض للآيات القرآنية والأحاديث النبوية صراحة وتضرب العقيدة في الصميم وتستهزىء بعلماء الدين ؟

ثم لنسأل الكاتب ما هى الاستنتاجات التي استنتجها العلماء من هذه النظرية حتى يومنا هذا ؟
وما هى الاختراعات التي اخترعوها استناداً على هذه النظرية ؟
وما هى الحقائق التي توصل إليها العلماء من وراء هذه النظرية ؟

لا شيىء بالطبع من ذلك كله ، وإنما هو الكلام الذي لا طائل من تحته والمراد الذي لا يرجع مع هذه الأمة إلا بالخيبة والخسران ؟

---

[1] مجلة قطرية عدد ٨٢



http://al-maktabeh.com

وعندما قال الدكتور عبد المحسن صالح :

والغريب أن جميع من ناقشوا النظرية وفندوها وهدموها لم يكونوا رجال علم ..

علق الدكتور العبادي قائلاً :

يقصد الكاتب بالطبع الذين ناقشوا النظرية هم علماء الدين الإسلامي وإن هؤلاء ليسوا رجال علم . نقول للكاتب إذا كان علماء الدين ليسوا رجال علم فمن إذن رجال العلم فلعله يقصد أن رجال العلم هم أنصار داروين وما عداهم فليسوا بعلماء ، أليس ذلك ما يدعو للسخرية .

والحقيقة أن تلكم سقطة كبرى للدكتور صالح ما كان أحرى به أن ينأى بنفسه عنها فإن مسلكه هذا ليس من خلق القرآن أو الإسلام في شيىء فلا يجب أن يكون الاختلاف في الرأى مدعاة للاستهزاء بالآخرين أو السخرية من آرائهم بأى حال من الأحوال ثم إن ذلك ليس من دأب العلماء مهما كان الأمر . ويواصل الدكتور العبادي حديثه قائلاً :

ونحن نرى أن هذه المسألة مسألة دينية بحتة وتخص علماء الإسلام وحدهم ومن واجبهم الدفاع عن الإسلام وعن العقيدة ومن العجيب أن يحاول د . صالح أن يضرب القرآن بعضه ببعض فيقول :

« ولقد كان من الممكن أن تمر هذه الآراء مرور الكرام وأن يكتفي الجميع بأن نظرية التطور مخالفةٌ لتعاليم الدين أو هي تناقض ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن خلق الكائنات عامة والإنسان خاصة هذا رغم أن القرآن الكريم يحثنا صراحةً على البحث في أصول الخلق وفي ذلك تأتي إشارةٌ واضحةٌ ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بَدَأَ الخَلْقَ ﴾ [1]

ألست معي أيها القارىء أن هذا الكلام فيه تناقض ؟ حيث يعترف الكاتب أن نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين وهى تناقض بعض آيات القرآن الكريم ومن ناحيةٍ أخرى يستدل على نظرية التطور بقوله تعالى :﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ فهل كتاب الله يناقض بعضه بعضا حاشا لكتاب الله من التناقض .

أما الكلام فإن هذه النظرية تناقض آيات القرآن الكريم صراحةً ، فذلك لا جدال فيه ، قال تعالى :

**﴿ وإذ قال رُبك للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتجعلُ فيها من**

---

(١) العنكبوت (٢٠)



http://al-maktabeh.com

**يُفسِدُ فيها ويسفكُ الدماءَ ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وَعَلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثم عَرَضَهُمْ على الملائكةِ فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .﴾** [1] إلى قوله تعالى : **﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنةَ وكُلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين ﴾** [2] إلى آخر الآيات .

ويقول تعالى في سورة الحجر : **﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصالٍ من حمإٍ مسنونٍ ، فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾** [3]

وقوله تعالى في سورة « ص » : **﴿ إذ قال ربك للملائكة إن خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾**[4]

هذه الآيات وغيرها تدل على أن قصة خلق آدم عليه السلام وحواء خلق جديد على صورتهما الآدمية لم يكن لهما خلق آخر قبل ذلك ، وأنهما سكنا الجنة ثم هبطا إلى الأرض بأمر الله تعالى . وكلمة « روحي » هنا كما ذكر المفسرون بمعنى الروح التي أملكها ولا يملكها غيري ، والإضافة إضافة ملك كسمائي وأرضي وبيتي وناقة الله وشهر الله .. ومثله وروح منه في قصة خلق عيسى عليه السلام . وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : **﴿ خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ﴾** وهو أول مخلوق من هذا النوع . وهو أول أنبياء الله ورسله في الأرض أرسله إلى بنيه على الصحيح وهو أول خليفة في الأرض .

فهل عزيزي القارىء ـــ تصدق ما جاء في الكتاب وما جاء عن الرسول ﷺ أم تصدق داروين ومن شايعه ؟

ومن الآيات التي جاءت في تكريم الإنسان ، وأنه مكرم ومفضل على المخلوقات قوله تعالى :

**﴿ولقد كَرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلا ﴾** [5]

---

(١) البقرة ( ٣٠ ـــ ٣١ )
(٢) البقرة ( ٣٤ ـــ ٣٥ )
(٣) الحجر (٢٨)
(٤) ص (٧١)
(٥) الإسراء (٧٠)


http://al-maktabeh.com

وقوله تعالى : ﴿ وصوركم فأحسن صُوَرَكُم ﴾
وقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾[٢]

اما قوله تعالى : ﴿ قلْ سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخَلْقَ ﴾ [٣]
فمعناه كما جاء في القرطبي : قل لهم يا محمد سيروا في للأرض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم ، وانظروا إلى مساكن القرود الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله .

فمعناها سيروا في الأرض وانظروا ماذا فعل الله بالأمم من قبلكم واتعظوا بذلك ، وليس معناها انظروا إلى أصل المخلوقات كما فسرها الكاتب .

وقال د . صالح :

« فالقول بأن التطور مجرد نظرية وليس حقيقة علمية قولٌ يجانب الحقيقة .. فالتطور ذاته حقيقةٌ إلى أن قال : ثم إن نظرية التطور ليست إلا واحدة من النظريات العلمية التي تناولت فكرة خلق الكائنات » . فالكاتب هنا يخلط بين الحقيقة والنظرية والفرق ــ كما لا يخفي ــ واضحٌ بين الحقيقة والنظرية ثم إن كلمة التطور كلمة حق أريد بها باطل ، فالتطور في خلق الإنسان نفسه حاصل لكل فرد إذ يمر في أطوار من الخلق يكون في بطن أمه نطفة ثم علقة ، ثم مضغة ثم عظاماً . فهذه تطورات خلق الإنسان التي جاء بها القرآن الكريم .

قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكينٍ ثم خلقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العقلة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناه خلْقاً آخر ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين ﴾[٤]

والمعنى لقد خلقنا الإنسان وقلبناه في أدوار مختلفة وأطوار الفطرة وكل طور فيها لا يمت إلى الآخر بصلة وهذا ما لم ينكره علماء الطب بل أكدوه بالبراهين والأدلة التشريحية .

ثم إن الإنسان ليمر كذلك بأطوار مرحلية أخرى غير تلك الاطوار ليقول سبحانه وتعالى :

﴿ الله الذي خلقكم من ضعفٍ ثم جعل من بعدِ ضَعْفٍ قوةً ثم جعل من بعد قوةٍ

(١) التغابن (٣)
(٢) التين (٤)
(٣) العنكبوت (٢٠)
(٤) المؤمنون (١٢ ــ ١٤)


http://al-maktabeh.com

ضعفاً وَشَيْبَةً يخلُقُ ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ [1]

فهذا التطور غير ذلك التطور الذي يقصده الكاتب د . صالح .

وعلى ما أعتقد والله أعلم أن هذا أيضا هو المقصود من قوله تعالى ﴿ **ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطوارا** ﴾[2]

ولقد كان ذلك على لسان نبى الله نوح عليه السلام عندما كان يدعو قومه إلى خشية الله والخوف منه والامتثال لأوامره .

وبعد أن تكلم د . صالح عن نظرية التطور وأنها حقيقةٌ علمية وأن داروين على صواب فيما يدعيه يأتي ليقول :

ويبدو أن الناس قد جُلبوا على القفز إلى الاستنتاجات قفزاً فهم يخطئون عندما ينسبون إلى داروين قوله بأن أصل الإنسان قردٌ وتطور ، رغم أن داروين لم يذكر ذلك حقاً لعلمه بالفجوة الواسعة التي تفصل بين القرد والإنسان .

ألست معي أيها القارىء أن هذا الكلام يناقض بعضه بعضا ؟
فبعد أن دافع الكاتب ( د . صالح ) عن نظرية داروين وأنها حقيقة وأن الناس لا يفهمون . يرجع ويقرر أن داروين لم يقل أن أصل الإنسان قرد ، وأنه تطور بعد ذلك .

إذاً ، لماذا كل هذا الكلام ولماذا كل هذه السخرية بالغير ، ولماذا هذه الردود ؟

إن المعروف أن داروين نادي بهذه النظرية الخرقاء ، وأيده أناسٌ من البسطاء وقصيري النظر وإن لم يكن ذلك صراحة في بادىء الأمر فإنه قد قرر ذلك ضمناً وفي المرحلة التالية من دراسته قرر ذلك صراحةً لذلك لاقى انتقاداتٍ واعتراضاتٍ كثيرة في زمانه .

وترتب على هذه النظرية الجوفاء التي بنيت على الحدس والتخمين حسبما يبدو لي أمورٌ منها :

١ ــ تأييد الطبيعيين في اعتقادهم حيث يعتقدون أن كل شيىء على وجه الأرض من صنع الطبيعة إلى أن الأشياء كلها من أصل واحد توالدت من بعضها البعض وبالتالي تنفي قدرة الخالق العظيم المبدع .

نعم .. تنفي قدرة الله الذي خلق كل شيىء على حدة ، ومستقلا استقلالا تاماً

---

(١) الروم (٥٤)
(٢) نوح (١٣ ــ ١٤)



http://al-maktabeh.com

في خلقه وليس له ارتباطٌ بالآخر . فهذه الأنواع المتباينة من الخلق التي لا تعد ولا تحصى تدل على كمال قدرته تبارك وتعالى وعجيب صنعه يقول تعالى :

﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلْقَه ثم هدى ﴾ (١)

والمعنى كما يقول مجاهد إمام المفسرين ــ المعنى إنه لم يخلق خلق الإنسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا .

إن التأمل لتلك الآية الكريمة ليفهم منها أن الحق تبارك وتعالى خلق كل كائن من الكائنات بمواصفاتٍ خاصة واستعدادات معينة تعينه لأن يعيش في الوجود ويتحمل أعباء الحياة بمؤهلاته تلك ومواهبه هذه وذلك بهداية الله سبحانه له .

ومنه يقول الشاعر :

**وله في كل شيء خلقه**
**وكذلك الله ما شاء فعل .**

٢ ــ إن الله تعالى يصرح في القرآن الكريم أنه خلق آدم خلقاً مبدعاً ليس له مثيلٌ سابق ، وكرمه وأمر الملائكة لتسجد له تكريماً له ، ثم تأتي النظرية لتقول إنه تطور عن حيوان حقير ، وهذا هو الإلحاد بعينه .

٣ ــ هذه النظرية والتي يسمونها نظرية النشوء والارتقاء وهى الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى وليس العكس أو النظرية التي تولدت من هذه النظرية « البقاء للأصلح » نراها تخالف الواقع وأمام اعيننا فإننا نرى أن الإنسان نفسه ينزل من أعلى إلى أدنى حيث يهبط من نشاط الشباب والقوة إلى ضعف الشيخوخة والشيبة والموت فليس لضرورة أن يرقى الحيوان دون أن يهبط ، أو أن يعلو دون أن ينزل ونرى كذلك أن النظرية الثانية « البقاء للأصلح » لا تصلح لأن تكون قاعدة لهذا الأمر ولو كان الأمر كما يزعمون لانمحى وجود القردة من الوجود وبقى نوع الإنسان وحده لأنه الأصلح ، وهذا ما لا نراه في عالم القردة .

إن هذه النظرية وما ترمي إليه من أبعاد عقائدية جاءت خطيرة على لسان شخص أوروبي فلذلك تشبث بها البسطاء ، ورفعوها ، ونادوا بها ، وصفقوا لها ، وكل يومٍ يعملون لها عيد ميلاد ، أما لو كانت صادرة من شخص عربي ومسلم لماتت وذهبت مفاهيمها أدراج الرياح ، ولا غرابة في ذلك ، فإن البعض منا قد جُبِلَ على حب كل ما هو آتٍ من الغرب .

---

(١) صه (٥٠)



http://al-maktabeh.com

ورغم أن الكاتب يرى أن نحيل كل الأمر إلى متخصص فيه إلا أنه قد حشر نفسه فيما ليس له فيه اختصاص فذهب يشرح الآية الكريمة ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق** ﴾ حسب ما فهمه عقله وأملت عليه أفكاره .

ورغم مرور قرن على هذه النظرية المشئومة والتي فتنت كثيراً من الناس البسطاء في مجتمعاتنا ، فإن علماء الغرب حتى الآن لا يثبتون هذه النظرية وتلاقي مصادمات وتضاربات واعتراضات حتى يومنا هذا . وفي ذلك يقول الأستاذ أحمد أبو زيد : (١)

« والشيء الواضح من هذا كله هو أن على الرغم من كل ما قاله داروين وكل ما كتبه العلماء التطوريون طوال المائة والعشرين عاماً التي انقضت على ظهور كتاب « أصل الأنواع » فليس ثمة إتفاق بين العلماء على أصل الحياة وكيف بدأت وكيف تطورت فلا تزال النظريات العلمية تتضارب وتتعارض إلى أبعد حدود التضارب والتعارض .

وعلماء الغرب العصريون والمتخصصون أنفسهم يردون على نظرية داروين ويثبتون عدم جديتها ومخالفتها للواقع .
فقد قال الأستاذ أحمد أبو زيد : (٢)

كذلك يلقى تصور داروين للتطور على أنه عملية متصلة ومستمرة من جانب عدد من علماء ــ وإن كانت تتسم بشكل بطيء وتدريجي ــ اعتراضاتٍ كثيرة من جانب علماء الأنثروبولوجيا الفيزيقية ممن أتيح لهم الفرصة للبحث الميداني ، والتنقيب والعثور على بعض الحفريات القديمة التي قلبت كل النظريات السابقة رأساً على عقب ، ويكاد هؤلاء العلماء يُجْمعون الآن على أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة لتراكم التغيرات الصغيرة خلال فترات طويلة من الزمن .

كما قال داروين ولكنها كانت تظهر فجأة ثم تستمر في الوجود دون أن يطرأ عليها أى تغيرات كبيرة حتي تندثر أو تختفي تماماً ، لكي يظهر من بعدها ــ وبطريقة فجائية أيضاً ــ أنواع أخرى تختلف عنها اختلافاً كبيراً . ودون أن يكون هناك مقدمات أو شواهد في الأنواع القديمة تبشر بظهور هذه الأنواع الجديدة الأكثر تطوراً وتمهد لها وقد استند أصحاب هذه النظرية الجديدة إلى جانب الحفريات التي عثروا

---

(١) مجلة العربي العدد ٢٨٤ ــ يوليو ٨٢ ص ٧٢
(٢) نفس المرجع السابق ص ٧١


http://al-maktabeh.com

عليها في وجود فجوات وثغرات واسعة جداً في السجل الحفري يمتنع معها إمكان تصور التطور على إنه عملية واحدة متصلة ومستمرة .

من الجدير بالذكر أن « كارل ماركس » رأس الشيوعية والشيوعيين والذي كان يريد أن يعمم الإلحاد في العالم كله أراد أن يصدر الترجمة الانجليزية لكتابه « رأس المال » بعبارة إهداء إلى « داروين » كي يعبر عن مدى إعجابه الشديد بهذا الشخص الجديد الذي خدم قضية الإلحاد لأول مرة في العالم ولكن داروين اعتذر عن ذلك ، وقد ظل ماركس متحمساً لكتاب أصل الأنواع ولنظرية التطور لدرجة أنه كتب إلى إنجلز يقول : « على الرغم أن هذا الكتاب يعالج التطور بأسلوب انجليزي فج فإنه يحتوي على أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا » وأخيراً فإذا كان هناك من يعتقد جدية النظرية ، ويصر على ذلك إصراراً فليعتقد كما يشاء ، وليحبذ تلك النظرية كما يشاء ولكن ليس من المنطق أن يفرض أو يعمم ذلك الاعتقاد أو تلك النظرية على الآخرين فإن الناس ليسوا كلهم على درجة واحدة في التفكير يقبلون كل ما يُقال أو يُكْتب ، فمنهم من يكون سطحي التفكير ويتجاوب إلى أبعد الحدود مع كل ما يسمع أو يرى ويصفق مع المصفقين دون أن يدري ما هو سبب التصفيق ، ومنهم من رزقه الله الدقة في التفكير والنضوج في العقل فهو يعرف كيف يفكر وكيف يتدبر أمراً ما ثم كيف يتقبله أو يرفضه . وصدق الله العظيم حيث يقول :

**﴿ فإنها لا تعمي الأبصارُ ولكن تعمي القلوبُ التي في الصدور ﴾**[1]

إلى هنا انتهى كلام الدكتور العبادي رداً على ما كتبه الدكتور عبد المحسن صالح . نحن نشكر للمخلصين لدين الله حبهم لله ولرسوله وحرصهم على الدفاع والزود من أجل عقيدتهم والحفاظ على دين الإسلام ونشر كلمة الحق بين المسلمين .

### ٤ ــ الدكتور مصطفى محمود .. ونظرية التطور :

إننا وإن كنا نشكر له اجتهاده ومحاولته الدائبة للوصول إلى الحقيقة إلا أننا لا ندري حقيقة ، لماذا كان موقفه ذاك من نظرية النشوء والارتقاء ؟ وكذلك نظرية الخلق الخاص ؟ لقد حدث معه نفس الشيىء الذي حصل للدكتور صالح إلا أنه آثر أن يكون على الحياد ويقف بعيداً موقف المتفرج حتى تنتهي اللعبة كما تصور ويرى لمن تكون الجولة الأخيرة ، حتى يومنا هذا ، وهذا ما لم نعهده فيه أو نألفه منه كباحث ومحقق فلكم كانت دهشتي بالغة وأنا أتابع إحدى حلقات برنامجه الأسبوعي « العلم والإيمان » على الشاشة الصغيرة وإذا به يفسر قوله تبارك وتعالى :

---

(١) الحج (٤٦)



http://al-maktabeh.com

﴿ ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطواراً ﴾[1] على أنها تعطي احتمالاً قوياً لما جاء به داروين أى الإيمان إحتمال بالنشوء والارتقاء في خلق الإنسان ، وحقيقة لم أسترح لتفسيره ذاك .

ولم يقنعني بهذا الموقف المتميع في تلك القضية الهامة بعدما ظهر للعيان فشلها وتهدم بنيانها وقلت في نفسي ربما كان ذلك مرجعه إلى عدم فهمه واستيعابه للآية الكريمة استيعاباً كاملاً فلم يلم بكل جوانب الموضوع إلماماً تاماً وهذا أيضاً لم نعهده فيه .

أما إن كان هذا هو فهمه لكتاب الله عز وجل فنقول : إن هذا مرفوض لماذا ؟ لأنه يذكرنا بقول القائلين : إن الخلق الخاص والتطور ليسا فكرتين متضاربتين على الإطلاق وكأنه يقول : « إنه من الممكن جداً أن الله عز وجل خلق الكائنات على طريقة التطور في هذه الحالة يكون الله قد ( خلق ) النباتات والحيوانات عن طريق إفساح المجال لهم بالتطور التدريجي من نوع لآخر » .

نعم .. إن الله قادر على ذلك ، ولكن هل فعل الله ذلك ؟
إن الإنسان لا يملك إلا أن يتعجب من أصحاب محاولات التوفيق هذه ، لأن الله لم يخلق الإنسان بهذه الصورة أو ذاك الأسلوب كما ورد بنص القرآن فهم يدركون تماماً أن الخلق كان كعمل الله في الحال . وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فكيف يتكلمون أو يعتقدون في نفس الوقت في تطور بطيىء يمتد ملايين السنين .

إننى لا أرى في ذلك سوى « سوء فهم » للنص القرآني أو تحميل معاني القرآن أكثر مما تحتمل من ناحية وتمييعاً للموقف السليم والصحيح من ناحية أخرى .

إن الدكتور مصطفى محمود بتصرفه هذا إنما يبعد نفسه عن كلا الفريقين اللذين يحاول هو الاعتماد عليهما لأنه إن حدث الناس غير المؤمنين بالخلق الخاص ، إن الله هو الذي وجه عملية النشوء فلسوف يضحكون عليه لأن النشوئيين الحقيقيين لا يحتاجون إلى الله فلا مكان لله في تعليمهم فهم يقولونها صراحة : « أعطنا الملايين أو المليارات من السنين ، والصدفة العمياء تقوم بالباقي » . فالوقت والصدفة إذن وحدهما هما الآلة التى أنجبت النشوء .

وإذا حدث الناس الذين يؤمنون بما في القرآن من نصوص أو بمعنى أوضح المؤمنون بالخلق الخاص قائلاً : إنني أيضاً أؤمن بالخلق والإيجاد من الله عز وجل لأنني لست ذلك الإنسان المنكر للإيمان وإنما أؤمن بأن الله خلق الإحياء بواسطة عملية النشوء

---

(١) نوح (١٣ ـ ١٤)



http://al-maktabeh.com

فلسوف ينظرون إليه بشيىء من الرثاء ، لأنهم يؤمنون عظيم الإيمان ويعتقدون تمام الاعتقاد ويثقون ثقةً كبرى في أن الله صادقٌ في كلامه وأن ما استنتجه د / مصطفى محمود في تلك المسألة إنما يختلف كليةً عما هو في القرآن إذ لا مكان للنشوء في إيمانهم .

وإني أود أن أقول له صراحة :

تخيل معي يا دكتور ما هية هذا الإله المعبود المطلوب لإرضاء إيمانك بالخلق النشوئي . هذا الإله احتاج إلى مليارات السنين لإنشاء الإنسان علاوة على ذلك فإنك تفترض أن يكون قد طور الإنسان من خلال الموت والهدم وبقاء الأصلح في صراع البقاء . ويفترض أن يكون قد اتبع خطةً تتحكم بها آلاف حوادث الإخفاق والنتائج العمياء جنباً إلى جنب مع آلاف الأنواع ( غير الناجحة ) التي ينبذها إلى أن يستطيع في النهاية وبعد أخطاء وتجارب أن يصل إلى هدفه ( الإنسان ) نقل لي بربك :—

هل هذا هو الله الذي يحدثنا عنه القرآن ؟

ولكن ما يبدو لي فإنه قد اختلط عليه الأمر وله عذره في ذلك لأنه للأسف الشديد من اليسير أن نسرع بالتورط في نمطٍ خاص من التفكير حتى نصبح غير قادرين أن نرى الحقائق التي تناقض ذلك .

لقد ذكر العالم البيولوجي دكتور « أوانيل » مثالاً عجيباً رواه له باحثٌ أمريكي يؤمن بالخلق على طول الخط . وهو الدكتور « دونالد تشينيك » كان قد استعمله في إحدى المناسبات حين أراد شرح هذه القضية فدار النقاش فيه على النحو التالي :
يسأل الدكتور تشينيك طلابه : ( هل تعرفون كيف تنشأ الريح ؟ )
يتعجب واحدٌ من طلابه : تنشأ الريح مرةً مع انتقال الهواء من مكان ذي ضغط جوي مرتفع إلى آخر ذي ضغط جوي منخفض .
هنا يعترض تشينيك : خطأ ، أنت لا تتبع التطورات الحديثة لأن هذه هي نظرية من الطراز القديم . لقد اكتشفوا مؤخراً أن اغصان وأوراق الشجر تهتز ، ونتيجة لاهتزازها ينتج تيار هوائي وهو ما ندعوه الريح . حاولوا أن تناقضوا هذه النظرية الجديدة .
هنا يرتبك الطلاب بينما يعلن شاب سريع الخاطر بينهم : ولكن الرياح تتواجد في الصحاري حيث تنعدم الأشجار .
فيجيب تشينيك : هذا رأيٌ ساذج فمثل ذلك لا يحدث لأن الريح لابد أن تأتي من مكان حيث تتواجد الأشجار بأوراقها المهتزة ، ويبرز طالب آخر ربما كان من يستطيعون مناقضة هذه الفكرة بطريقة سليمة ولكن تشينيك يسكته بإنزال ورقة حديدة رابحة فيخاطبه .

http://al-maktabeh.com

إن السبب الوحيد لحديثك ذي الطابع القديم هو أنه ينقصك الاطلاع على التطورات الأخيرة ، ألاَ تعرف أن الإنسان وصل إلى القمر ؟ واكتشف أنه لا ريح تهب على القمر . لماذا لأنه لا توجد أشجار مهتزة الأوراق هناك . ثم يتحول تشينيك من الهزل إلى الجدية فيقول وقد بدت الصرامة على وجهه ، انظر هذا بالضبط ما يصنعه النشوئيون ، لديهم نظرية يمكن أن يساندها وفرة من الحقائق ولكن ذلك لا يبرهن أبداً أنها نظرية سليمة لأن كل تلك الحقائق تساند نظريتهم بنفس المقدار الذي تساند به ( النظرية ) المعاكسة ألاَ وهى الإيمان بالخلق . فلا تسمح لنفسك بأن ترتبك أوتتشكك بما يسمى بآخر الاكتشافات التي تدعم الاعتقاد بالنشوء لأن مثل هذا الاستناد لا يبرهن اى شيىء .

ويعلق الدكتور أوانيل على ذلك قائلاً :

« تشينيك محقّ فيما يقول مثلاً : صحيح أنه يوجد نموذج رائع منتشر في كل مملكة الحيوان والنبات بشكل جميل وسليم إلى قبائل وفصائل ورتب وعائلات، الخ .

هنا يقول النشوئي ، بانتصار : هذا يتفق تمام الموافقة مع وجهة نظري ربما لأن لجميع الكائنات أجداداً مشتركين لذلك أتمكن حتى في أيامنا هذه أن أميز العلامة بينهم في التركيب وطريقة المعيشة فعلا إن الرجل مصيب ، كل الحقائق تتفق مع نظريته بشكل مذهل ولكن هذا لا يبرهن على صواب نظريته ولا يدل على صحتها لأن هذه العلاقات هي أيضاً نفسها في توافق تام مع وجهة نظر الخلقيين ومع تصوير الله في القرآن لخلق العالم حسب خطة متناسقة كاملة الحقائق تتفق مع النظريتين وبذلك لا نستطيع أن نجزم بالقول الفصل والصحيح مرة واحدة .
وعليه فإننا لم نقترب بعد من الإجابة على السؤال :
أيهما محق إذن ؟
هل ان أحد التفسيرين علمي ، أكثر من الآخر ؟

إن الدفاع عن ذلك هو مجرد سفاسف وأن يكون أحد التفسيرين أكثر جاذبية من الآخر هذا لا يعتمد على أسس علمية وإنما بناء على وجهة النظر الشخصية عن الحياة ومع ذلك يوجد فرق في القيمة العلمية لهذين التفسيرين . فكرة النشوء ستقود الفرد إلى توقع أشكال متوسطة إضافية كثيرة بين مختلف النباتات والحيوانات إلى حد لا يسمح لمختلف المجموعات من نباتية وحيوانية وأن تكون مقسمة بهذا الوضوح كما نراها على هذا النحو الذي هى عليه الآن .. ولا كنا نجد هذه الكثرة من النشاطات التكوينية اللافتة للنظر بين مختلف المجموعات من الكائنات بالرغم من أنهم يعتبرون إلى أسس أخرى ذوي قرابة بعيداً جداً .

ولنضرب مثلاً لذلك : للفقاريات وللأخطبوط عيونٌ شديدة الشبه بها ، هذا لغزٌ

http://al-maktabeh.com

غامض بالنسبة للنشوئي الذي يعتبر هاتين المجموعتين منحدرتين من أصول متباعدة جداً بالنسبة للخلقي هذه ليست المشكلة ، فهو يعرف أن يعطي الحيوانات التي تعيش في ظروف متشابهة مثل هذا لتشابه أو الشبه في بنائها ( يلائم أوضاعها ) بينما قد تكون هذه الحيوانات شديدة الاختلاف بينها في مظاهر أخرى . كان هذا مقالاً واحداً فقط وللحصول على أمثلة أخرى انظر القائمة في نهاية لكتاب .

أما ما أرمي إليه وما أعنيه فهو : لا تنخدع بالقول بأن هناك مشاهداتٍ في الطبيعة لا عد لها تتفق مع مذهب النشوء هذه في الحقيقة لا تعني شيئاً مادامت لم تتحق بعد هذا من ناحية ، وإذا لم تتفق تماماً ( لربما أكثر من ذلك ) مع مبدأ الخلق . وعلى أساس الإثباتات العلمية ، أنا شخصياً أعتقد بأن الحقائق تتفق أكثر مع مبدأ الخلق .

وأقولها كلمة أخيرة للدكتور مصطفى محمود :

« إنه بتطور الأمور يمكننا تصور النشوء على أنه يشبه بيتاً كبيراً من الكرتون وعالم الأحياء وعالم الحفريات أو أى خبير في هذا الموضوع يعرف جيداً أين يظهر تخصصه ومواطن الضعف في المبدأ النشوئي ( والكثيرون يقرون بذلك ) .

ولكنه غير قلق بهذا الشأن لأنه يقول :

« البراهين التي حصل عليها زملائي في الأقسام الأخرى قوية الحجة بما فيه الكفاية » .

ومادام الكل يظن ذلك فلسوف نحصل على فقاعة صابون عظيمة يفندون الإثباتات في أحد الاختصاصات بالتعلق بأذيال إثباتات من اختصاصات أخرى .

أقولها له في شجاعة : جربْ مرة واقطع ذراعاً من جسد تنين النشوء ولسوف تجد نفسك محاطاً بالأذرع الباقية . ادخل ما شئت من الاعتراضات العلمية ولسوف يستنبطون ( نظريات مساعدة ) بارعة بهدف ( شرح ) كل الحقائق التي تتناقض مع النظرية ــ لإبعاد المعارضات من وجهها . وهذا هو الحل الثاني أيتجاهلون تلك الحقائق بكل بساطة إلا أن الخطوة الفعالة الوحيدة التي يجب اتخاذها هي :

هاجم النشوئية على كل جبهاتها في وقت واحد بسلاح الخلقيين ولكن حتى تلك ليست جيدة بدرجة كافية لأن النشوئيين كانوا قد أخبرونا مسبقاً بأنهم حتى إذا فجرنا كل نظرياتهم فلسوف يفضلون دوماً المبدأ النشوئي عن الخلق الخاص .

إن مقتهم الشديد لمبدأ الخلق الخاص يصل إلى حد أنهم يفضلون نظرية ( اهتزاز أوراق الشجر ) في كل وقت .

http://al-maktabeh.com

بهذا نكون قد قدمنا عرضاً شاملاً لكل آراء علماء الغرب ومفكري العرب المسلمين في تلك النظريه ونود الآن أن نعرض لقضيةٍ هامة عّلنا بذلك نوقظ الغافلين وننقذ الحيارى من شباب المسلمين بصفة خاصة ألاَ وهي قضية التفكير العلمي في إطار الإيمان بالله عز وجل وكيفية الوصول إلى الحقيقة وكيف يمكننا أن نفهم الإعجاز العلمى في القرآن الكريم فهماً سليماً فلا نضل ونشقى وهذا هو موضوع حديثنا في الباب القادم إن شاء الله .

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

## الباب الخامس
## التفكير العلمي في إطار الإيمان بالله تعالى

**أولاً** : كيفية الوصول إلى الحقيقة .

أ ــ السبيل إلى ترشيد الفكر .

ب ــ كيف تفكر تفكيراً صافياً سليماً .

ج ــ عندما يهيم العقل في ظلمات الضلال .

د ــ كيف إذن يكون الإيمان ؟

**ثانيـاً** : المفهوم الصحيح للإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

أ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين الغاية والوسيلة .

ب ــ مدلول تعارض النظريات العلمية مع حقائق القرآن الكريم .

ج ــ السنن الكونية بين القرآن الكريم والعلم الحديث .

د ــ المنهجية العلمية للقرآن الكريم .

http://al-maktabeh.com

## الباب الخامس : التفكير العلمي في إطار الإيمان بالله

### أولاً كيفية الوصول إلى الحقيقة :

عندما ينطلق الإنسان في هذه الحياة باحثاً عن الحقيقة وطالباً للمعرفة معتمداً على ما أنعم الله تعالى به عليه من نعمة التفكير وإعمال العقل فإنه يكون معرضاً لسلوك أيٍّ من السبيلين إما سبيل الحق والهداية والرشاد ، وإما سبيل الزيغ والضلال ، فعندما يولد الإنسان في الحياة إنما يكون على الفطرة السليمة والخصال الكريمة وإنما يغيره ما حوله من ظروف وما يطرأ على حياته أو بيئته من متغيرات .

ونحن في هذا الفصل نود الحديث عن السبيل إلى ترشيد الفكر ، وكيف تفكر عزيزي القارىء تفكيراً صافياً سليماً ؟

وماذا يحدث للإنسان عندما يهيم عقله في ظلمات الضلال ؟
وما هو الغيب الذي يحاول العقل أن يمخر عبابه ؟
ماذا لو كشف للبشرية الغطاء ؟

كلها تساؤلات يفرضها علينا وجود الإنسان في الحياة وما يثيره من مشاكل نتيجة تطلعاته الزائدة لكشف الحجب عن كل ما هو مستور وعلى ما يبدو فكثيراً ما يشقى الإنسان بعقله وتفكيره في الحياة وبدلاً من أن يقوده تفكيره إلى تلمس أسباب سعادته يجد نفسه مقاداً إلى حياة البؤس والشقاء .

كثيراً ما يحاول العقل البشري أن يتطلع إلى المجهول .. محاولاً اقتحامه واكتشافه ولعل ذلك من عظمة الإنسان ما لم يجنح به الخيال إلى غير طاقته أو يركب الفكر جناح الأوهام .

وهناك رغبةٌ شديدة لدى كثيرٍ من العقول منذ قديم الزمان أن تنفذ إلى الوراء حجب الحياة وقد تصر على ذلك وتعاود المحاولات مرةً بعد أخرى مهما منيت بخيبة الآمال ، إن هذا ما يحاوله علماء الأجناس وكذلك الحفريات كل يوم ، فهم يحاولون إيجاد الصلة بين الإنسان والقردة كلما عَنَّ لهم كشفٌ جديدٌ لحفريةٍ قديمة يسارع البعض منهم إلى الإعلان عن هذا الاكتشاف والقول بأنه ربما كان الحلقة المفقودة بين الإنسان والقردة ولكن للأسف سرعان ما تخيب آمالهم وتتلاشى أوهامهم .

إن هذا ما مارسه الفلاسفة على وجه الخصوص منذ فجر التاريخ ونحن نحاول في هذه المقدمة أن نناقش الأمر عسى أن ترتدع بعض العقول عن المحاولات العقيمة لاقتحام عالم الغيب أو المجهول من مسائل العلم الغيبية بغير عنصر الإيمان


http://al-maktabeh.com

حيث لا تكتفي النفس أو لا يقنع العقل بما ورد في كتاب الله عز وجل في مثل هذه الأمور .

إننا عندما نجلس في هدوء ونترك للفكر العنان فإننا سننظر مثلاً إلى جبل بعيد ، إلى أقصى ما يستطيع البصر أن يصل إليه في فضاءٍ رحبٍ مكشوف ، هنالك قد يرى الإنسان أضواء إذ تلمع عند السفح فيقول العقل لنفسه إنني أرى هنالك على ذلك البعد البعيد نهراً أو على أقل تقدير بحيرة صغيرة أو نقع ماء ، ثم يذهب به الخيال إلى أن ذلك الحائط الذي يراه من بعيد هو جدار يقوم على حافة الماء .... ثم لعله يذهب إلى هناك إلى ذلك الجبل فيدرك أن ما كان يراه إنما هو ما يسمى بالسراب ، وأن ما تصوره جداراً عند حافة السفح لم يكن غير عربة نقل وقفت على بعد عدة أميال منه ثم ذهبت . (١)

لقد عاش الفكر أحياناً في ضلالٍ ظنه حقاً واعتقد في وهم أو زيف خاله حقيقة ، وذلك في حياته الواقعية ، وقد ينظر إلى نهر تجري فيه المياه ويرى صور الطيور والأشجار والتلال تنعكس على صفحة الماء وهي تبدو مرتعشة مهتزة بحكم أمواج المياه وهي ثابتة في الحقيقة وليس لها هذا الاهتزاز والارتعاش .

هكذا أيها القارىء — يحسن أن نتهم التفكير حين لا نمسك بأيدينا مستندات التجربة التي يمارسها الإنسان بنفسه ، أو التي يتأكد من حقيقة وجودها حين جاء بأنبائها من نثق فيهم وممن أثبتت الأيام صدق ما جاءوا به ، وقامت الأدلة على صدق ما قالوه .

وهذا مانساه أو تناساه الدروانييون عندما أعلنوا نظرياتهم في خلق الإنسان ، حيث أنهم كانوا أمام نظرية تفتقر إلى الدليل القوى والبرهان الساطع على ما يقولون .

## أ — السبيل إلى ترشيد الفكر :

إنه لمن الواضح أن التفكير هو غذاء العقل ، والعقل بدون التفكير قد تتجمد فاعليته ولَمَّا كان أمر هذا الغذاء الفكري يشبه ما يكون من غذاء الجسم فإن من الغذاء ما هو سام وكذلك من التفكير ما هو ضلال ، قد يرمي صاحبه في مهاو ليس لها من قرار . والعقل هو النعمة الكبرى متى أمسك صاحبه الزمام ، وحدد خطوط المسار ، ولقد ذكر بعض الفلاسفة أن العقل هو العالم الصغير الذي تنعكس عليه بصور شتى معالم عالمنا الواقعي الكبير ، وبالعقل قد يرقى المرء إلى مستوى الملائكة ولكن إذا قاده الهوى فقد يهوى به إلى أسفل سافلين .

---

(١) عندما يريد العقل اقتحام عالم الغيب للأستاذ / محمد لبيب البوهي — الوعي الإسلامي . ابريل ١٩٨١ م



http://al-maktabeh.com

إن الشيطان عندما يأخذ بمجامع عقله إنما يجعله ألعوبةً في يده يحركها كيفما شاء وأينما أراد فيزين له الكثير من الأباطيل وسجن له كل فكر مستهين أو رأى قبيح

نعم . قد يهيم العقل في وديان الأوهام ويصور لصاحبه الباطل كأنه قد أحسن فيه صنعاً وعلينا أن نذكر دائماً أن تفكيرنا الذي هو غذاء عقولنا إنما ينبع من نهر كوني لا حدود له تحرك أمواجه معارفنا وثقافتنا وعقائدنا أليست هذه هي الحقيقة ؟

بل إنه حتى ما قد يتخبط فيه المرء من جهل أو ظنون أو أوهام إنما ذلك أيضاً لا يأتي من فراغ وإنما هذه الظنون والأوهام والضلالات كثيراً ما يأخذ بعضها بزمام بعض ... وكل إنسان له محيطه الفكري الخاص ، حتى أننا نستطيع أن نقول عن تفكير الجنس البشري إنما عدده هو بقدر عدد أفراده ..

وليس هذا فحسب بل إن الفرد الواحد قد يتغير تفكيره مراراً فيخضع لتغيرات جديدة وغريبة وقد يناقض بعضها بعضاً .

نعم فهذا ما نراه في حياتنا ونسمع عنه في كثير من الشعوب والمجتمعات والشرط الوحيد كي يحدث هذا التغيير أوذاك الانقلاب إنما هو الصدق مع النفس والإخلاص الشديد والصلابة في الحق .

أقول هذا لأنه ليست تجربة الدكتور مصطفى محمود منا ببعيد وكذلك المفكر الفرنسي الجنسية المسلم الديانة العالمي الفكر روجيه جارودي فكل من الرجلين كانت لهما تجاربهما السابقة وعاش كل منهما مقتبل عمره وبداية حياته أجواء فكر معين ونحا بذهنه في اتجاه فكري خاص فهذا يميل إلى الاعتقاد في الفكر اليساري إن كان من الممكن ان تعتبره هنا فكرا ثقافيا حضاريا وذاك يميل إلي المعسكر الاشتراكي بسياسته واقتصاده ولكن ضمير كل منهما كان حياً واعياً يقظاً ونداء الفطرة السليمة ظل يصرخ فى أعماقهم حتى لبوا نداءها وأدركوا أنهم كانوا في غفلة عظيمة وذنب فكري فعندما لاح لهم نور الهداية وتبين لهم الحق انصاعوا لأمره وسلموا له .

من أجل هذا عزيزي القارىء كان لخير البشرية أن يكون هناك المنبع الأصيل الذي تأخذ منه فروع الينابيع كالنهر الكبير حتى تأخذ منه فروعه فيكون مايجيء فيها مطابقاً لِما جاء من المنبع الصافي الذي هو من صنع مدبر حكيم قدير عالم بصير لا تتغير مناهجه بتغير الزمان والمكان ، بحيث يستطيع كل عقل أن يتغذى من هذا المنبع ، ويكون حجم غذائه بقدر ما يهيىء نفسه له ، وبهذا يقل الضلال أو يتباعد وعند بعض الناس قد يتلاشى تماماً .

## ب ــ كيف تفكر تفكيراً صافياً سليماً ؟

إنه لابد من وجود قواعد ثابتة يبدأ منها العقل اتجاهاته ، وإلا لو كان كل عقل

http://al-maktabeh.com

عليه أن يبدأ من جديد ... من درجة الصفر في كل شيىء فإنه إن لم يضل تماماً فسوف يظل يدور حول نفسه وعلينا أن نتصور مثلاً إنساناً لا يؤمن بالطب ولا الأطباء لأنه لم يشترك معهم في تجاربهم التي أجريت عبر عشرات أو مئات السنين وهو محور بعقله وتفكيره الخاص ويريد ويريد وحده أن يفكر في ابتكار دواء يشفي طفله المريض الذي يتلوى أمامه فإن هذا ولاشك اتجاهٌ باطلٌ وسفيه ، ولن يتسع عمره لشيىء من ذلك ولا هو يعرف الطريق وسوف يموت الطفل الذي منع عنه الدواء الذي استقرت عليه الأمور ، وهكذا قد يتصور كثيرٌ من الناس .

لو تأملنا عزيزي القارىء مسلك اليابان وهى تخطو خطواتها نحو التقدم التكنولوجي فإننا نلاحظ أنها لم تبدأ من الصفر كما نقول بل بدأت من حيث انتهى العالم المتقدم وذلك لتلحق بركب التقدم الحضاري والتكنولوجي والحقيقة أننا نجد أنفسنا أمام هذا هو الطريق السليم والتفكير الواعي المستنير في حين أننا نجد أنفسنا في الواقع نبدأ من الصفر نعلم أبنائنا في المدارس والكليات النظريات البالية التي أوشك أو كاد العالم المتقدم أن يتناساها تماماً ، العالم يجوب أجواء الفضاء ويريد أن يعمر الكواكب الأخرى ونحن ندرس قوانين الحركة واتزان جسم وسكونه الخ .

لابد من مصاحبة المنهج الإيماني مع طلب العلم والبحث فيه حتى لا يقودنا العلم والتعلم إلى الضلال فعندما صعد رجل الفضاء الروسي بضع مئات من الأميال فوق الأرض ورآها معلقةً في الفضاء لم يهتدِ فكره إلا إلى الغرور فقال « لقد اجتزت أجواء الفضاء ولكنني لم أرَ الله إنه ليس هناك » على حين أن زميلاً له من رجال الفضاء « الأمريكيين » بهرته أفكاره حين رأى الأرض وهى كرةٌ صغيرة تدور في فضاء الله بغير عُمُدٍ تشدها فعاد مشدوهاً بالإيمان بل استقال من عمله وراح يعمل واعظاً مرشداً الآخرين إلى آيات الله التي رآها بعين البصر والبصيرة معاً وأرجو ألا يفهم من هذا أن ماذكرته دعوة لأن يسلك كل واحد مسلكه ذاك وإنما كان ذلك لأوضح إلى أى مدى من الممكن أن يؤثر الإيمان في صاحبه ( وأهميته أن يصاب المنهج الإيماني العقل في رحلته في طلب العلم ) .

### ج ــ عندما يهيم العقل في ظلمات الضلال :

إن العقل إنما يهيم في ظلمات الضلال حين يحاول الخروج عن طبيعته ودائرة حدوده ويصر على نبذ كل ما لا يتيسر تجسيده لدراسته في المعامل فهو يرفض كل ما عدا ذلك منكراً لكل العلامات والبينات التي لا تتجسد وإن جاء بها حكماء صدقت براهينهم ووضح على مدار الأجيال صدقهم.

يقول الفليسوف « باسكال » إنه لكى يكون تفكيرنا صحيحاً يجب أن يبدأ من

http://al-maktabeh.com

قوانين ثبت وجودها في العالم الكبير ثم تلقاها العقل وهو العالم الصغير كمسلّمات طبيعية ، وليس على العقل بعد ذلك من بأس أن يحاول أن يتفهم بعض جوانب هذه القوانين أو يستيقظ بعضها أو يفسرها تفسيراً جديداً بإضافاتٍ تكشف بعض جوانب كانت متوارية في العالم الكبير مما يخضع للتجربة ثم استنباط القوانين التي تحكم ما فسره أو تفهمه فهماً جديداً ، أما خارج العالم المحسوس ، أى ما وراء الحياة أو ما وراء المادة فإن هناك مسلّمات ثابتة ببراهينها ويجب قبولها والتسليم بصحتها ، وإذا حاول العقل أن يصرف عنها وينفذ إلى أعماق الغيب غير مسترشد إلا بتفكيره الذاتي فإن هناك حاجزاً هائلاً سوف ترتد عنده أفكاره بخيبة أمل كبيرة أو يضل في ظلمات ضلال بعيد ، لأنه كلف عقله ما لم يعد له ؟ نعم إنه كمن يخوض غمار حربٍ غير مستعدٍ لها بما يجب أن يكون ، أو كمن يمخر عباب بحر عظيم وهو لا يعرف السباحة أو يعرفها ولكن لا يدري أى سبيل يسلك وأى اتجاه يختار .

نعم .. يكون قد أجهد عقله بما لا طائل من ورائه وبما هو خارجٌ عن دائرة التكليف والمثل أكبر بكثير من أن تحاول نملة مثلاً أن تتفهم ما يدور في أعماق البحار أو ما يسبح في أجواء الفضاء .

إن الذين طمس على قلوبهم وهو يحسبون أنهم بتفكيرهم هذا يحسنون صنعاً لا يريدون أن يؤمنوا ، إلا أن يكشف لهم الغطاء عما وراء الحياة فنراهم يتساءلون عن أشياء لن تقدم أو تؤخر في إيمان الإنسان بربه أو لن تزيد الصلة بالله سبحانه وتعالى بل ربما أدت إلى النقيض من ذلك وإلا فقل لي بربك أيها القارىء ماذا سيفيد الإنسان من معرفة عمر الأرض أو لمعرفة عمر الإنسان على ظهر الأرض وهل نشأ على صورته الحالية هذه أو غير ذلك ؟

هل بإجاباتنا على تلك الأسئلة سنواكب كل تقدم تكنولوجي ، أم هل سيرقى مجتمعنا المتخلف الذي هو في أمس الحاجة إلى من يوفر له رغيف الخبز أو يقدم له شبراً مستصلحاً من الأراضي الصحراوية ، أو من يخترع له آله جديدة بتصميم أحدث للمشاركة في حل عقبات التنمية والبناء التي توائم مشاكلنا الاقتصادية والسكانية عامة ؟

ونحن نريد أن نسألهم ما الذي يبغون أن يرجوه هناك ؟

وما الغيب الذي إذا بصروا به آمنوا ؟

هل يريدون أن يروا الله جهرة ، أم يريدون أن يريهم ملائكته ويسألونه كيف خلقهم وأين يقيمون ؟

هل هذا هو الغيب الذي تتطلع إليه بعض العقول وإلا فلا إيمان عندهم ؟



http://al-maktabeh.com

أم يريدون أن يشهدهم ربهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم منذ كانوا أجنةً في بطون أمهاتهم ؟

إن الحق تبارك وتعالى يقول في كتابه :ـــ

**« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلْقَ أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عَضُداً ﴾** [1]

يقول المفسرون : إن الحق تبارك وتعالى يخاطب عباده قائلاً :
ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم أى لم أحضر بعضهم خلق بعض وما كنت متخذ المضلين أى الشياطين عضداً أى أعواناً في الخلق فكيف تطيعونهم .[2]

لقد سبقهم إلى ذلك آخرون ، حتى بلغ بهم سفه السخرية أن طلبوا من ربهم أن يسقط السماء عليهم كسفاً ، وفي هذه الأيام المعاصرة أخذت السماء بإذن ربها تساقط عليهم كسفاً فلو أمسكنا بخريطة لهذا الكوكب الأرضي البئيس لوجدنا كل ركن من أركانها ينضح دماً بما كسبت أيدى الناس مصداقاً لقوله تعالى :

**﴿ فكُلاً أخذْنا بذنبِهِ ﴾** [3]

وماذا لو كشف لهم الغطاء كما هو مستور أو شاءت حكمة ا﴾ ألاَ يخبرنا عن شيىء ؟
إن رسول الله ﷺ قال في الحديث الشريف :
**« إن الله تعالى حد حدوداً فلا تتعدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمةً بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها »** [4]

إن الله تعالى غنيٌّ عن العالمين وليس إيمان أهل السموات والأرض بما يضيف إلى ملك الله مثقال جناح بعوضة ، فلماذا يغمض بعض الخلائق أعينهم عن طريق الخير لأنفسهم ؟

لماذا يطيب لهم أن يتخبطوا في دياجير الضلال ؟
إن أمر هؤلاء لعجيبٌ حقاً ولو قد كشف لهم الغطاء كما يزعمون فلن يزيدهم ذلك إلا خبالاً .
إذ ما هى المقاييس الحسية أى المادية التي سوف يقيسون بها ما يكشف عنه الغطاء

---

(١) سورة الكهف (٥١)
(٢) تفسير الجلالين ـــ الكهف
(٣) سورة العنكبوت (٤٠)
(٤) فقه السنة جـ ١


http://al-maktabeh.com

من أسرار الكون ؟ أعني لو رأوا السماء عندما كانت دخاناً ولو رأوا الملائكة وهم بين قائم أبداً وساجد أبداً ... ولو سبحوا في أقطار السموات لعادوا أكثر ضلالاً لأنه لا يمكن للعقل المادي أن يحتضن إلا ما هو من نتاج الفحص المعملي ولقالوا ﴿ **إنما سُكِّرَتْ أبصارُنا بل نحن قومٌ مسحورون** ﴾ (١)

لقد كان من فضل الله على الناس أن جعل فيهم فطرة الإيمان التي ولدوا عليها وخلقوا بها وجاءوا وهي طبيعية فيهم إلا أن طمست بعض العقول أنوار مصابيح قلوبها.

إن في كل إنسان مهما كان لونه أو موقفه بذرة إيمان كبذرة الشجرة ، على أن يسقيها ويرعاها حتى تنمو ، والبعض يجتث هذه الشجرة من أساسها ولو لم يكن هذا فضلاً من الله لقضوا جميعاً حياتهم في متاهات من صنع الأوهام .. فالفطرة قد أنقذتهم من هذا .. ولا نريد أن ننكر على العقل حقه في أنه حين يهتم بخصائصه فإنه يصل إلى روائع عظيمة .. كما حدث ذلك في علوم كثيرة على الأرض .. هناك علماء في الفلك والهندسة والطب وغير ذلك .. ومع هذا فإن أصحاب هذه العقول المتفتحة يختلف بعضهم مع بعض ، وقد يخالف هذا ما آمن به ذاكروا ذلك في علومهم التي خضعت لتجارب معاملهم ولتضرب مثلا لذلك ، فإن مريضاً قد يذهب إلى الطبيب النفساني فيرى هذا الطبيب أن ما يحس مريضه إنما يرجع إلى عوارض نفسية ، فإذا ذهب ذلك المريض إلى الطبيب لباطني فإنه قد يغض الطرف عما ذهب إليه العالم الأول ، ويرى أن مريضه إنما يعاني من مرض عضوي .. بل إن الفلاسفة أنفسهم وما أكثر ما ذهبوا إلى نظريات أفنوا فيها أعمارهم يزعمون أنهم وصلوا بها إلى الحقيقة ثم يأتي فلاسفة آخرون ويقيمون البراهين على فساد ما سبقوا إليه من نظريات فلسفية وهكذا قد لا نستطيع أن نرى نظرية فلسفية أو أخلاقية من صنع البشر ، نالت حظ الدوام والاستمرار على مدار الزمن .

## د ــ كيف إذن يكون الإيمان ؟

العجيب أن الإنسان حين يعود له تفكيره أنه **يستطيع أن يقتحم عالم** الغيب فإن الشيطان لا يخيب ظنونه ، وإذا كان الناس يفخرون **بما وصل إليه العلم** في دنيا المادة في كل زاوية من زوايا الوجود المادي وتكوينه ، فقد جاء في **إحصاء دقيق** أنه يوجد سبعة آلاف عراف وعرافة لقراءة الكف والفنجان والورق .

إن هذا هو الاتجاه العصري المعكوس في محاولة فهم الإيمان ، وهناك جمعياتٌ تغذي أهواءهم فيما يسمى بجلسات العالم الروماني حيث تبدو الشياطين في صورٍ ما تهلل

---

(١) سورة الحجر (١٥)



http://al-maktabeh.com

لها صحفُ القرن العشرين ويقولون لقد تجسدت لنا أرواح الموتى ، بل إن هناك الآن في الغرب جهازاً إلكترونياً صغيراً في الأسواق من يدفع ثمانمائة فرنك يستطيع أن يحوزه ويدير قرصه على التاريخ واليوم والساعة فيعطيه الجهاز تنبؤاتٍ بما ستكون عليه صحته ، وأحواله المادية والاجتماعية . (١)

بل ليس أمر الأمريكي « جونز » ببعيدٍ فقد حمل زهاء ألف إنسان في أكبر دولة علمانية على قتل أنفسهم للانتقال الفوري إلى الجنة التي رسمها لهم الرائد « جونز »

هذه ألوانٌ من عالم الغيب كما يفهمونه .. أو كما يريدونه أن يكون خلقهم الله تعالى وذلك إن دل على شيىء فإنما يدل على وجود فطرة أصيلة كامنة في أعماق النفس خلقهم الله تعالى عليها غير أن الذين طمس على قلوبهم وعقولهم يضلون السبيل إليها .

وبعـــد :ـــ

فإن هذه هى الحيرة الفعلية التي تتفاقم عادةً فى أعقاب الكوارث ، كالحروب الشاملة المدمرة والتى تلتمس علاجاً لدائها بعيداً عما أرداها عن عقم الإسراف المادي مما يبعث أملاً من نوعٍ ما .

إن هذه إرهاصاتٌ تدل على أن أمر الإنسان العصري يتطلب علاجاً روحياً سليماً .. وهذا العلاج هو « الدين » ـــ ولما كان الدين عند الله الإسلام ، فإن هذا هو السبيل .. والسبيل الأوحد .

---

(١) الوعى الإسلامي . العدد ١٩٨ ـــ ص ١٥



http://al-maktabeh.com

## ثانيا : المفهوم الصحيح للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

من دراستنا للقرآن الكريم عامةً ولأوجه الإعجاز فيه خاصةً نجد أنها كثيرة ومتنوعة وذلك في مواطن عدة تبين عظمة القرآن وشموخه على سائر الكتب السماوية الأخرى ، فهنالك الإعجاز البلاغي الذي أعجز الخلق أجمعين في سائر العصور والدهور ، وألجم الفصحاء والبلغاء من ناطقي العربية ومتحدثيها وهناك الإعجاز العددي العربي أسهب فيه الكثير من الباحثين أمثال الأستاذ / عبد الرزاق نوفل يرحمه الله والذي أبان وجه السمو والعظمة ــ وكذلك الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي تتبع آيات القرآن وسوره وخرج بنتيجة ذهنية وروحية ممتعة في هذا الأمر وإن كانت الدكتورة بنت الشاطىء لها في ذلك رأيٌ جدير بالنظر ويستحق الاهتمام . وكذلك الإعجاز العلمي الذي نحن بصدد الحديث عنه .

والحقيقة أن كل وجوه الإعجاز هذه على إختلاف أزمانها وأمكنة حدوثها بالنسبة لاكتشافها لم يثبت تجاهها خطأٌ ضمني أو إشارةٌ إلى عجزٍ في برهنتها وذلك لأن هذا القرآن إنما هو من لدن حكيمٍ خبيرٍ ﴿ **تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ** ﴾[1]

ووحي صادق لم يصبه التحريف ؟ قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ وإنّا له لحافظون** ﴾ [2]

ومنذ أن تنزل القرآن على نبينا العظيم ﷺ ــ والعقول البشرية مؤمنها وكافرها حائرة فيما أشار إليه القرآن ولم يكن معلوما لديها من قبل أحياناً بشيىء من الإيجاز هذا هو الشائع والأعم وأحياناً بشيىء من التفصيل والإسهاب والتفصيل وذلك هو النادر في الغالب والكثير .

ولكننا نود أن نبين للكثيرين في زماننا هذا أن التعرض لجوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والاستدلال على آيات الله العجيبة في الكون بما فيه ينبغي أن يفهم فهماً خاصاً ويؤخذ بمأخذ الحذر الشديد في التعامل مع النظريات العلمية الحديثة حتى لا يحدث خلطٌ أو يكون هناك لبسٌ من أى نوعٍ وينشأ جوٌ من البلبلة والحيرة بين المسلمين . فيجب أن ننظر إلى القرآن على أنه العلم المحيط والمنهج الشامل الفريد الذي حوى السنن والنواميس الإلهية التي تحكم وتسير هذا الكون .

والغرض من بحث تلك الأمور أو النظر في هذه الجوانب إنما يقصد بها فصل السابق على اللاحق من العلم وليكشفوا في ذات الوقت عن قدرة الله وتجليه وعظمته

---

(١) فصلت (٤٢)

(٢) الحجر (٩)

http://al-maktabeh.com

سبحانه في عصر تقدم العلم وازدهاره ليكون العلم طريقاً موصلاً إلى الله تعالى في هذا العصر بل في كل زمان ومكان .

## أ ــ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين الغاية والوسيلة :

ولابد لنا هنا أن نتساءل : هل الإعجاز القرآني في حد ذاته وسيلة أم غاية ؟ وهل يحق لنا أن نحمل « النص القرآني المعجز في محتواه ومضمونه » لنواكب به النسبية في الحقيقة العلمية ، والتغير في النظرية العلمية دونما أية ضوابط منهجية وشرعية ؟ وما هى هذه الضوابط التي تصون للنص حرمته وقدسيته وتفرق بين قول الحق سبحانه وبين متغيرات الفكر في عقول البشر ؟ (١)

هذه التساؤلات يمليها علينا الواقع الإسلامي المعاصر ، الذي يشهد مفاهيم جديدة تزيد من إلحاح تلك التساؤلات إذ أنها تربط بين علوم العقل وعلوم النقل ، تحت مصطلح الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي يقدم لنا شروحات أو تفسيرات لإشارات القرآن العلمية وهى تلك الإشارات التي كشف عنها العلم الحديث لحقائق الكون والنفس والاجتماع ولم تكن معلومة من قبل ، إن إيضاح مثل هذه التساؤلات يتطلب أولاً تحديد المعجزة ، غاية هي أم وسيلة إلى غاية أكبر وأعظم ، ومن ثَمَّ الوقوف على مقاصد الشرع الحنيف من توجيه الفكر إلى النظر والكشف والبحث ولتكون غاية العلم النافع في الدنيا والآخرة .

فما هو مفهومنا للمعجزات المقرونة بالتحدي ؟

كثيرٌ من الناس يتصورون أن ورود الكثير من الآيات في القرآن التي تتحدث عن الآيات الكونية التي تحمل معانياً وشروحاً لنظرياتٍ علمية إنما هي مقصودة لذاتها وكأن القرآن كتابٌ علمي صرف خصص للنظر في علوم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والطب والفلك وغير ذلك من العلوم . والحقيقة أن ورود تلك النظريات والمفاهيم إنما جاء على سبيل الإيجاز لا التفصيل ليكون وسيلة إلى غاية سامية لا غاية في ذاتها ، فلا ينبغي أن ينساق كل واحد للتدليل على كل جديد من النظريات العلمية والقطع بذكرها في القرآن وتعرض القرآن لها وتحميل الآيات ما لا تحتمل من المعاني والمفاهيم فإن في ذلك ظلماً بيِّناً للقرآن وغبن لمعانيه ومفاهيمه . (٢)

ثم ما هو مفهوم المعجزة ؟

إن مفهوم المعجزة التي يؤيد الله بها رسله وأنبياءه هي آية حسية ومعنوية ، مقرونة

---

(١) الاعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المصطلح والمفهوم ــ الأستاذ محمد مكرم السعدني

(٢) يتفق معي فيما أرى فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي .إ ويوضح لنا ذلك احاديثه المذاعة .

http://al-maktabeh.com

بالتحدي الالهي للإنس والجن ، التحدي هنا يُنْظر إليه كوسيلة لأكثر من اعتبار ، منها عدم التكافؤ في قوى التحدي مثلاً فلا يحق أن توضع قوة الخالق العظيم في موازنة مع ضعف المخلوق الذي قال فيه خالقه :

﴿ يريدُ الله أن يُخفِّفَ عنكم وخُلِقَ الإنسانُ ضَعيفاً ﴾ (١)

كذلك أيضا لايليق أو يحق أن نماثل أو نشابه المخلوق بالخالق لقوله تعالى :

﴿ ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ ﴾ (٢)

وإن كانت يد الله ليس كأيدينا فأيضاً قوله ليس كقولنا أو ألفاظ قرآنه كألفاظنا ، وإن كانت الألفاظ واحدة عربية ، وسهولة إيصال المفهوم إلى السامعين أو القارئين وغير ذلك من وجوه الإعجاز وعندما نسقط عدم التكافؤ بين الخالق والمخلوق وننفي التشابه بين الخالق والمخلوق سنقف حتماً عند مبدأ الاستمالة والعجز واستمالة محاكاة القرآن وعجز المخلوق عن الإحاطة بالعلم المكنون. من هنا نفضل أن يكون مفهومنا للإعجاز والتحدي كعملة ذات وجهين ، أو حقيقة واحدة يراها كل واحد منا من موضعه فالذي يرى في الإعجاز استمالة محاكاة الإنس والجن للقرآن فهذا صحيح ، والذي يرى في الإعجاز حثاً للنظر وتوجيهاً للفكر وإعمالاً للعقل لكي يتفهم معاني القرآن ، ويكشف عن جوانب من منهجهالشامل فهذا صحيحٌ أيضاً ولكن هل منع مبدأ الإستمالة وعدم الإحاطة من معارضة القرآن .

**ب ــ مدلول تعارض النظريات العلمية مع حقائق القرآن الكريم :**

لا أعتقد أن هناك من يشك أن في العقل البشري جانباً من جنوح وجموح ، وأن في النفس جانباً من نزوع نحو الشر ، وعدم الاعتراف بالحقيقة لا يبطلها أو يقدم فيها ، لأن الحقيقة علوٌ دائمٌ ونورٌ ساطع ، وعدم الاعتراف بها هو نوعٌ من المعارضةلا الباطلة المضلة التي لا تستند إلى سندٍ من الواقع ومعارضة الحقائق في الحياة الدنيا تنتهي دوماً إلى واقعين إما التسليم والتصديق بالحقيقة وإما التكذيب والتضليل والافتراء .

فالعقل الرشيد يسلم بما لا يملك وسائل تكذيبه أو تفنيده أولا يملك القدرة على محاكاته أو الإتيان بمثله لأن من طبيعة العقل البشري التسليم بما هو فوقه بيد أن جنوح العقل لا يمنع من التضليل ويصور لنا القرآن الكريم موقف المضلين المعارضين للكتاب الكريم . والمكذبين للرسول ﷺ ــ بقوله تعالى :ــ

---

(١) النساء (٢٨)

(٢) الشورى (١١)



http://al-maktabeh.com

﴿ فلما جاءتهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً ، قالوا هذا سِحْرٌ مبينٌ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعرٌ فليأتنا بآيةٍ كما أُرْسِلَ الأولون ﴾ (٢)

ولكن هل استطاعت مثل تلك الفئة القليلة الباغية آنذاك أن تطفىء النور أو تحد لحقيقة في مهدها الأول ؟ بالطبع لا ... فقد دخل الناس في دين الله أفواجاً اعتنقه الأبيض والأسود ، والعربي والعجمي ، وغير أولئك وهؤلاء أسلموا وجوههم لله وآمنوا بالقرآن ، هداية للنفوس وإرشاداً للعقول هداية نحو العقيدة العلوية ، وإرشاداً نحو الحقيقة الكونية .

وإن كانت غاية القرآن الهداية والإرشاد وإنقاذ البشرية من الجهالة والفساد فلكل غاية وسيلةٌ تعمل وتساعد على بلوغ القصد ، وتحقيق الهدف فإننا نرى فيما تصطلح على تسميته بأوجه الاعجاز للقران الكريم وسيلة نحو غاية ولا تقف هذه الوسيلة عند عصر التنزيل لأن الكتاب الكريم ممتدٌ في الحياة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وصدق الله تعالى عندما قال :

﴿سنريهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحقُ أَوَ لمْ يَكْفِ بربك أنَّه على كلِ شيءٍ شهيدٌ ﴾ (٣)

كما بيَّنا آنفاً أن الوسيلة حقيقةٌ ذات وجهين ، فنفضل النظر إلى مصطلح الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في هذا العصر على أنه دعوة صريحة كطلب العلم ونشد المعرفة ، ودعوة صريحة للعقل لتوجيه الفكر نحو الكونيات التي يبحثها العلم الحديث ولكي تكون مثل تلك الدعوة في موضعها ، علينا أن نبين منهجية القرآن العلمية ، ومقصد الشرع الحنيف من توجيه الفكر نحو الكشف عن سنن الله ونواهيه سبحانه في الخلق والكون .

حتى تكون غاية العلم هى النفع في الدنيا والآخرة وغاية الكشف والبحث هما الإيمان وإظهار قدرة الله في كل ما هو أدق أو أعظم في هذا الوجود ، فما هو مفهومنا للسنن الكونية في القرآن والتي كشف عنها العلم أخيراً .

---

(١) النمل (١٣)
(٢) الأنبياء (٥)
(٣) فصلت (٥٣)

http://al-maktabeh.com

**جـ السنن الكونية بين القرآن الكريم والعلم الحديث :**

ويهمنا في معرض حديثنا عن مدلول النظريات العلمية في القرآن الكريم وما مدى معارضتها أو اتفاقها مع حقائق القرآن ككتابٍ سماوى وتنزيل من لدن حكيم خبير أن نضرب مثالاً لبعض الحقائق الثابتة ودلالتها السليمة .

لقد جاءت الإشارةُ إلى بعض السنن الكونية في القرآن الكريم وقد تعرض العلم الحديث إلى إظهار حقائقها والوقوف على بعض خصائصها وقوانينها التي لاقت التطبيق المادي النافع في مناهج كثيرة من حياتنا الدنيا ففي الذكر الحكيم يقول الحق تبارك وتعالى :ـــ

**﴿ فلن تجد لِسُنَّةِ الله تبديلاً ، ولن تجد لِسُنَّةِ الله تحويلاً ﴾** (١)

ويقول تعالى :ـــ

**﴿ لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليلُ سابقُ النهار وكلٌ في فلكٍ يسبحون ﴾**(٢)

فالآية الكريمة الأولى تدل على قانونٍ عامٍ مطلقٍ يفيد الثبات في كل العصور ، وعدم التبدل أو التحول في كل الثقافات والبيئات . كما تشير الآية الكريمة الثانية إلى قانونٍ خاصٍ محكمٍ في موضوعية للكونيات الفضائية .

والإطلاق والموضوعية في القانونين إنما يمثلان سنةً إلهية هى كلمة الله العليا التي صدرت منذ الأزل ولا رجوع ولا تبديل فيها لقوله تعالى :

**﴿ وتمت كلمةُ ربك صدقاً ، وعَدْلاً ، لا مبدِّل لكلماته ﴾** (٣)

وسوف نتخذ من الصدق والثبات مقياساً لقولنا لنبين أنه من المحال أن يكون الصدق مساوياً لنفسه في كل عقائدنا الإيمانية المنزلة لأن السنن الإلهية تمثل الصدق الموضوعي والثبات المطرد أو الحتمية النافذة التي تحكم الوجود وينتظم داخلها الكون . وهذا الصدق واضح في النواميس الإلهية التي لا تتبدل أو تتغير ، وظاهر في خصائص الأشياء والمخلوقات الثابتة من الأزل

إن النسبة والتغيير ، هي نسبية الحقيقة العلمية ، وإذ التغير هو تغير في النظرة إلى هذه الحقيقة من ثقافة إلى أخرى ومن عالمٍ إلى آخر ، من هنا تنشأ الفطريات العلمية

---

(١) فاطر (٤٣)
(٢) يس (٤٠)
(٣) الأنعام (١١٥)

http://al-maktabeh.com

التي يجانبها الصواب والتي أحيانا تقوم على أهواء شخصية أو أمراض نفسية .

نعم .. تخرج علينا فتاوى وآراء إنما خضع صاحبها لتأثيرات بيئية معينة أو نظر إلى نظرة محدودة نتيجة خضوعه لتأثيرات خاصة أو ظروف خارجة عن إرادته .

كما حدث مع داروين فقد دون مشاهداته وسجل الكثير من الملحوظات عن الأشياء التي رآها أو الأمور التي صادفها ورغم ذلك لم يكن كل هذا كافياً ونظر نظرة محدودة وبعد عن الشمولية في الفكر فكان ما خرج به من آراء ومعتقدات غريبة وخاطئة .

وجاء بعده من يصحح هذه المفاهيم أو تلك المعلومات أيضاً بمشاهدات حلقية وملاحظات معملية . ونعود إلى موضوع حديثنا والمثال الذي استشهدنا به وهو الكونيات الفضائية ، فالكون بكل ما فيه من أفلاك وشموس وما حوى من أجرام ومجرات وغيرها .. هو خلقٌ من خلق الله بكل ما دق فيه كالذرة أو كبر كالمجرة « لا تبديل لخلق الله » فهل تغيرت خصائص الذرة في الكون ؟ وهل تبدل مسار القمر من الشمس ؟

ويجب أن نأخذ في الإعتبار أن التغير والتبدل هنا مفهومان وضيعان لا أكثر فالذرة في الكون هي منذ أن فطرها الله تعالى ومنذ أن خلقها سبحانه وضمنها خصائصها ثابتة .

والثبات هنا سوف نجد أنه قوبل بتغير من ثقافة إلى ثقافة ومن نظرة عالم إلى آخر . كيف ؟

قَبْل إينشتين ومشايعيه وتوصله لنظرية النسبية العامة والخاصة والذي بفضله جاء انطلاق الإنسان إلى الفضاء الخارجي قَبْل أينشتين ساد قانون الجاذبية لنيوتن ومن نيوتن إلى أينشتين اختلفت النظرة العلمية إلى خصائص الذرة فبينما نظر إليها فريقٌ العلماء في الماضي على أنها مادة معينة مشخصة لها أبعاد نظر إليها العلم الحديث على أنها طاقة من سالب وموجب كهربي ـــ فراغ كبير ومادة قليلة ـــ النظرة الأولى حقيقةٌ لأن الذرة في خاصيةٍ من خصائصها مادة ، والنظرة الحديثة حقيقةٌ أيضاً لإشتمال الذرة على شحناتٍ كهربية ، هنا تكون النظرة العلمية المتوافقة مع خصائص الأشياء ، مساً لجانبٍ من جوانب الحقيقة العلمية المتطابقة مع خصائص الأشياء ، حقيقة نسبية وهذا إنما يفيدنا في فهم معنى التغير في النظرية العلمية .

وهناك مثالٌ آخر يبين لنا التغير في النظرية العلمية حتى تصل العقول البشرية إلى ما يتفق حقيقةً مع الحقيقة العلمية التي يورد ذكرها الدين أو يجعلها من المسلّمات التي يدعو البشر إلى شن العقل وإعمال الفكر فيما حوله من موجودات حتى يثبت له ذلك ويزداد إيمانه بخالقه .



http://al-maktabeh.com

إننا حين نعود أدراجنا إلى موقف النظرية الفلكية القديمة من الكواكب السيارة سيتضح لنا خطأ الفلكي القديم بطليموس الذي زعم بأن الأرض ثابتة وأنها مركز الكون ، وكيف أن هذا الخطأ قد ترتب عليه خطأ أكبر ، عندما تبنت الكنيسة الكاثوليكية هذا الزعم على أنه عقيدة في كتبهم المحرفة نعم لو كانت لديهم ثقةً في صحة ما حوته كتبهم من معلومات التي هي من وضعهم أو عدم إحساس بالنقصان في كتبهم ما لجأوا إلى هذه الحيل التي عاقت مسار البحث العلمي السليم وأزعجت طلاب المعرفة وناشدي الحقيقة .

إلى أن جاء جاليليو الفلكي الإيطالي وقال بعكس ما ذكروه في كتبهم وأثبت دوران الأرض وعدم ثبوتها ومن أنها ليست مركز الكون .. وهذا ما يتفق بطبيعة الحال مع آيات القرآن الكريم .

إن هذا الموقف المنقسم بين حقائق العلم وزعم الباطل لآباء الكنيسة الكاثوليكية أوجد ما يسمى بالفصل أو التعارض بين العلم والدين في أوروبا المسيحية .

وارتقى العلم بالفعل في أوروبا نتيجة الفصل لأن العلم حقيقة نسبية وزعم آباء الكنيسة باطل لتحريفهم لشريعة المسيح عليه السلام وإن هذا الموقف يختلف تماماً بالنسبة إلى شريعة الإسلام لماذا ؟

لأن قرآن الإسلام لم يصبه التحريف ، ولأنه القول الحق ولأنه قاموس للحياة وللكون يدل ويشير إليهما في كل العصور ، والدليل على ذلك أن إشارات القرآن العلمية تلقي تحقيقاً علمياً في الأوساط الأوروبية ذاتها لأن ما أشار إليه القرآن منذ خمسة عشر قرناً ، جاء العلم الحديث ليكشف عنه ويؤيده وهذه دلالة على ما نصطلح على تسميته بالإعجاز العلمي للقرآن .

وقد يتساءل لماذا جاء الكشف عن حقائق القرآن العلمية على يد علماء غير المسلمين ؟ هذا التساؤل يجرنا إلى مفهوم أعمق للسنن الإلهية أو الحقائق العلمية ، فإن كانت السنة الإلهية مطلقة ، لانسحابها على كل الظواهر الكونية ، فهي أيضاً عامة ، لجمعها كافة الناس ، ملزمة لهم لاتستثني مخلوقاً أو تفاضل بين المسلم وغير المسلم الكل أمامها إنسانٌ مخلوق لقوله تعالى :ـــ

﴿ كُلًّا نُمِدُ هؤلاء وَهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاءُ ربك محظوراً ﴾[1]

وعطاء الله ليس بمحدودٍ فهو يشمل العلم أيضاً وبالعلم تجيء كشوف النواميس الكونية غير أن للكشف عن القوانين مسببات تتأسس فيها النتيجة على الفعل وتترتب

---

(١) الإسراء (٢٠)



http://al-maktabeh.com

الأسباب على المسببات بأمر الله وكلمته سبحانه، وكلمة الله مطلقة وعامة وموضوعية وصادقة ، وتنسحب على كل الناس مؤمن بالكتاب الكريم وغير مؤمن به ، وفي ذلك حكمة أكبر .

فإن كانت الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة هي عبادة الله لقوله تعالى :ـــ

﴿ وما خلقتُ الجنَّ والأنس إلا ليعبدون ﴾ (١)

فأيضاً الغاية من وجود الإنسان على الإطلاق في جانبٍ منه هو عمارة الأرض والكشف عن كنوزها والاستفادة منها لا يتم إلا بالعلم ... والعلم ثمرة من ثمار العقل ، وجعل الله سبحانه العقل قسمةً مشتركة بين الناس جميعاً وإن اختلفت أنصبتم من الذكاء . ولتصبح مثل هذه القسمة المشتركة ملزمة للناس كافة بعمارة الأرض فلا غرابة إذن حين نرى الكشف عن سنن الله ونواميسه سبحانه في الكون ، قد جاء في هذا العصر على أيدٍ غير مسلمة لا غرابة لأن مثل هذه الأيدي أخذت بالأسباب ، أسباب الكشف وأسباب العلم وهناك حكمة عظيمة يجب أن نلحظها في هذا الأمر وهي أنه شاءت إرادة الله سبحانه أن يكون كشف الحقائق العلمية أو التوصل إلى معرفتها بأيدي غير مسلمة ليكون ذلك برهاناً أكيداً ودليلاً جديداً على صحة ما جاء بهذا الكتاب العظيم ـــ القرآن الكريم من آيات كونية ودلائل بينة على قدرة الخالق في كونه الفسيح فلو كان هذا الكشف على أيد مسلمة لكان ذلك أدعى إلى الظن وأحرى إلى الاتهام بالتحيز لما نؤمن به من آيات كريمة وعظيمة .

### د ـــ المنهجية العلمية للقرآن الكريم :

بعد ما تعرضنا له من شروح للحقائق العلمية والفرق بينهما وبين النظريات العلمية التي تحتمل الخطأ والصواب . وكيف أن ذكر الحقائق العلمية إنما هو وسيلة لغاية سامية وهدف نبيل وهو تأكيد دور العقل وترسيخ لمعنى الإيمان في نفوس البشر جميعاً .

نود أن نتساءل في هدوء : كيف لنا أن نكشف عن تلك السنن الكونية أو الحقائق العلمية أو نتوصل إلى معرفة هذه النواميس ؟

ما هو منهج الكشف أو البحث في القرآن ككتابٍ علوي رباني و وما هي مقاصد الشرع الحنيف من توجيه الفكر نحو الكشف ؟

وما هو لهذا وذاك حتى نقف على الوسيلة التي تخول لنا حمل الآية القرآنية الكريمة

---

(١) الذاريات (٥٦)



http://al-maktabeh.com

المعجزة في قواها ومضمونها ، لنواكب بها ، وكما رأينا النسبية في الحقيقة العلمية والتغيرات النظرية العلمية ؟

ما هي ضوابط هذه الوسيلة ؟ هل ينجو الفكر داخل عقلنا ، نحو تصور ما ينبغي أن تكون عليه مثل هذه الضوابط عند ربط العلم بالدين ؟

أليس من الأوفق والأصوب أن نستقي هذه الضوابط من منهج القرآن العلمي ، ومقصد الشرع الحنيف في توجيه الفكر ؟

وبدايةً فنحن نسلم بأن العلم والدين الحنيف ، ليس بينهما عارض أو تناقض وذلك ليقيننا بأن مصدر صدور العلم والوحي واحدٌ هو الله حيث أن العلم الدنيوي الناتج من النظر في ملكوت السموات والأرض والتأمل في إبداعهما هو كتاب الله المتطور والوحي كذلك من تعالى فهو كتاب الله المقرور ثم إن الله حق وقوله صدق هذا جانب والجانب الآخر يأتي من القاعدة الشرعية التي تحترم العقل وتبيح له النظر والاستدلال ودلسلنا على ذلك

ما اشتمل عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع ما يقرب من مائة وستين آية تشير إلى العلم ومشتقاته كما ورد في الذكر الحكيم سبعمائة وخمسون آية في مجملها تتضمن إشاراتٍ عن الكون والعلم .

واهتمام المسلمين الأوائل بالعلم جاء مبكراً وموضوعياً أيضاً ، فمنذ القرن الرابع الهجرى أخذ علماء العرب المسلمون في تصنيف العلوم الموجودة لديهم ونقلوا عن علوم اليونانين ونقحوها وفرقوا بين نوعين من العلوم :

**العلوم الشرعية :**

أو العلوم النقلية ، وهى العلوم المستقاة من الأصول الثابتة في الكتاب والسنة والإجماع والقياس كأحكام الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج والحدود الواجبة لكل جريمة وغير ذلك من الأحكام الشرعية .

**العلوم الحكمية :**

أو العقلية ومنها ما يربط علوم النقل بعلوم العقل وهى التي مثب علوم الكلام والفلسفة وكذلك علوم الطبيعيات والطب وغيرهما يجد فيها طلاب الحقيقة فهمهم وغذاء عقولهم لأن القرآن الكريم قدم الحقيقة الكلية التي تضم كل تصورات العقل وتحوى كل وقائع الحياة وتشمل الوجود كله .

لكننا نرى في مشكلة الفكر المعاصر ، الربط المحكم بين الآية الكريمة وما يقابلها من حقيقة علمية ونقول مشكلة لأن التخصص في هذا العصر يفرضها . فرجل العلم


http://al-maktabeh.com

المتخصص ، حين يربط بين العلم والدين فهو متمكّن في تخصصه بالطبع مجتهدٌ في جانب الربط الشرعي طريق الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية على وجه الصحيح والسليم الذي لا يصطدم مع قواعد اللغة العربية النحوية والبلاغة وكذلك الأدلة النقلية من أحاديث شريفة وغيرها من أسس للتفسير فعلى سبيل المثال كثيراً ما يتحدث علماء الجيولوجيا عن نظام الشمس ودوران الأرض وحركة الرياح والهزات الأرضية ولكنهم للأسف الشديد ليست لدى أغلبهم القدرة على الربط بين كل ما تقدم وشواهد ذلك من القرآن الكريم وكذلك علماء الطب في تناولهم لتطور الجنين وما أشبه ذلك من مسائل يختصون بدراستها من غيرهم فتجدهم نفس الشيء وهكذا بالنسبة لسائر العلوم . وأيضاً الفقيه المتعمق حين يذهب للربط بين العلم والدين يعوزه التخصص العلمي والفهم الصحيح للتجارب المعملية والمشاهدات الحلقية ، وذلك إنما يكون في الغالب والأعم لعدم وضوح الرؤية أمامهم في مسائل العلم التخصصية .

إن هذه المشكلة نود لو وعت لها تصوراً لحلها خاصة وأن الحقيقة العلمية في هذا العصر والتي يطالعنا بها علماء الغرب ، منحصرة بين تصورات العقل وتطابقه مع الواقع المادي فقط دون ذكر أو إشارة للرابطة العلوية الغيبية التي تحمل مثل هذا التطابق والترابط البديع الجميل .

وإلا من ذا الذي يجعل من الطبيعة في الكون موحيات في النفس ويجعل العقل وتصوراته يتأثر وينفعل أمام هذه الموحيات ؟أإله غير الله ؟

﴿ أ إلهٌ مع الله ، قليلاً ما تذكّرون ﴾ (١)

لذلك ينبغي أن نضع الفكر العلمي المعاصر في إطار المراجعة والتصحيح كنوع من النقد الذاتي خاصة وأن كل ما يطالعنا به الغرب في هذه الأيام ليس هو الحقيقة المتوافقه مع عقائدنا المنزلة مثل نظرية التطور عند داروين وتلاميذه ، والوجودية عند سارتر وتحليلات فرويد لعلاقة الآباء بالأبناء والعلاج النفسي عنده ، ومبادئ هيوم ... الخ .

وهذا بدوره يدفعنا للتساؤل : عن تصورنا نحن للحقيقة العلمية ؟

عن الرؤية الحضارية الخاصة بنا نحن ؟

عن منهجنا المستقل المشتق من عقائدنا الإيمانية عن البحث ، والذي في أطره يتحدد تصورنا وكشفنا ؟ أليس هو منهج القرآن ؟

والحقيقة أن منهج القرآن واضحٌ وبيّنٌ في قوله تعالى :

---

(١) النمل (٦٢)



http://al-maktabeh.com

﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السُّبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١)

يقول السيد محمد رشيد رضا « صاحب المنار » موضحاً منهج القرآن في الكشف والبحث العلمي

« إن الله عز وجل قد وكل الحقائق الكونية إلى فكر الإنسان ومباحثه العقلية واشتغاله بالعلم ، والعلم من الأمور الكسبية لو بين مسائلها بالنص القاطع لجاءت مخالفة لعلم الناس ، واختيارهم في كل جيل لم يرق العلم فيه إلى أعلى درجة ولكانت تلك المخالفة من أسباب الشك والتكذيب » .

يقول الشهيد « سيد قطب » صاحب الظلال رحمه الله :

« إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظم ومعانٍ ، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ، هو عجزٌ كذلك عن إبداع منهج كنهجه يحيط بما يحيط به »

ومن الواجب على كل مسلم في كل زمان ومكان بأن يفهم تماماً أن إحاطة القرآن لكل شيء لا تعني دخول القرآن في تفصيلات أو جزئيات ، فهو قواعد وكليات ثابتة ومبادىء أساسية ، تقام عليها أعمدة العلم في كل العصور والثقافات .

ونسوق مثلاً على ذلك ، عندما أشار القرآن الكريم إلى عسل النحل والتي جاءت في قوله تعالى :ـــ

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يَعْرِشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سُبُل ربك ذللاً يَخْرُج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للناس إنَّ في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون ﴾ (٢)

هذه إشارةٌ مجملةٌ إلى العسل ، لم تدخل في بيان خصائصه أو هيآته أو الجانب الشفائي فيه ، أو كيفية الكشف عن التداوي به أو في أي الحالات المرضية يستعمل العسل كشفاء ، والصدق القرآني موضوعي ومطلق لا يبطله الزمان ، وإنما يكشف كل زمان عن جوانب من جوانبه كلما ارتقى العلم أو تقدمت فنون الكشف وطرق البحث وقد كشف لنا التجريب المختبري الحديث عن فوائد كثيرة في العسل ، أولها علاج عسر الهضم ، وقرحة الاثنى عشر ، وأمراض المعدة من أحماض وحمائر ، إضافة إلى فائدة العسل كمضاد حيوي للجروح والحروق والقرح الجلدية .

والآن نود أن نقف هنا وقفةً ونتساءل في هدوء

---

(١) الأنعام (١٥٣)

(٢) النحل (٦٨ ــ ٦٩)



http://al-maktabeh.com

أولاً هل يحق لنا حمل الآية القرآنيه الكريمة ، المعجزة في مضمونها ومحتواها لنضعها في مناظرةٍ مع العلم الحديث ؟ خاصة بعد أن بيَّنا النسبية في الحقيقة العلمية ، والتغير في النظرية العلمية .

هل من المنطق أن تقيس الكلي بالنسبي ، أو الثابت بالمتغير ؟
وما موقفنا من هذا القياس الفاسد ، بعد إسقاط التكافؤ بين الخالق والمخلوق ، ونفي التشابه بين الرب والعبد ؟
لعله من صواب الرأى أن ننظر للمعجزة والإعجاز ، من حيث المقصد والغاية ، وغاية القرآن هداية النفس وإرشاد العقل .

ولكن كيف نوظف العقل في طريق الحقيقة ليظهرها ويرشد عنها ؟ وهذا جانبٌ نظرى ،يحققها ويطبقها نفعاً دنيوياً أو فردياً ؟ وهذا جانبٌ علمي .

وإن كان لابد من مواكبة النظر للتجريب حتى نثبت في جانب الهداية النظرية ، فضل السابق على اللاحق وتظهر قدرة الله وتجليه سبحانه في حق رق العلم ليكون العلم دعوة الى الله وهداية للحيارى إلى الإيمان ، الإيمان الصحيح السوى ويجب ألا ننسى قول الرسول ﷺ :
« **من فسر القرآن بالرأى فليتبوأ مكانه من النار** » وذلك أن تأتي شروحاتٌ أو تفسيراتٌ لإشارات القرآن العلمية اجتهادية وغير منضبطة وذلك بحسن النية وبدافع إيماني ولكنها غالبا ما تسيىء إلى الإسلام .

نعم .. تسيىء دون قصد إلى الحقيقة الثابتة وتخلط دون قصد أيضاً بين قول الحق ومتغيرات الفكر في عقول البشر ، فيفضل أن تأتي مثل هذه الشروحات والتفسيرات من خلال رجل دين ورجل علمي متخصص .

نعم .. نوعية مخصوصة من العلماء هى التي يجب أن تتعرض لمثل تلك الأمور أو هذه المسائل العلمية لأن هذه النوعية الموسوعية هى التي جمعت بين ناحيتي أو طرفي العلم الديني والدنيوي ولكننا بكل أسف مازلنا نفتقر إلى تلك النوعية من العلماء المتخصصين والمتفهمين في دينهم . نعم .. إن تلك النوعية تكاد تختفي في عالم اليوم . عالم التخصص الدقيق .

والحل هنا يكمن في إقامة مجمع ديني علمي يضم فريقاً مشتركاً من علماء الشرع الحنيف رجال العلم المتخصصين مهمة هذا الفريق تسير في اتجاهين اتجاه نظري يأخذ على عاتقه شروحاتٍ وتفسيراتٍ شرعية علمية منضبطة في إطار انضباط الاجتهاد الشرعي من كتابٍ وسنةٍ وإجماعٍ وقياسٍ واتجاهٍ علمى يتناول إشارات القرآن العلمية ،القابلة للتحقيق المختبر كما رأينا في تحقيق الشفاء من عسل النحل على

http://al-maktabeh.com

تابع وكما نظرنا إلى نسبية الحقيقة العلمية أمام كلية الحقيقة الإيمانية العلمية ؟ كذلك أيضاً ينبغي النظر إلى كلية القرآن الكريم باعتباره منهجاً شاملاً لكل نواحي الحياة والوجود والحياة العلمية التي نحن بصدد التعرض لها

ولا ينبغي أن ننسى أن ثقافتنا هي ثقافة القرآن فإذا ما اصطدمت نظريه علمية أيا كانت تلك النظرية مع حقيقة إيمانية علمية ، وجب علينا أن نسلم بدايةً بصحة هذه الحقيقة الإيمانية وننكر تلك النظرية العلمية الأخرى وفي الوقت نبذل قصارى جهدنا في تصحيحها عن طريق البحث العلمي الجاد والمثابرة في التجارب المعملية وسوف يتم الله نوره إن آجلاً أو عاجلاً برد الأمور إلى نصابها ووضع المسائل في وضعها الصحيح . وقد سقنا أمثلة سابقة توضح هذا المفهوم وينبغي ألا يزعزعنا هذا الاصطدام فإنه لن يزعزع إلا ذوي النفوس الضعيفة الإيمان ، القليلة الثقة في كلام ربها وهذا ما يجب على المؤمن أن ينأى عنه ويبعد عقله عنه فيحاول جاهداً بأن يخضع مناهج البحث العلمي المختلفة لهذه الإشارات العلمية القرآنية لتلافي مسألة الازدواج في عقلية النفس المؤمنة وإزالة الحيرة من النفوس الضعيفة وبتأكيد أن ما وصل إليه العلم من تقدم جاءت الإشارة عنه في الأصول الثابتة من كتابٍ وسنةٍ ، هنا نكون قد تبنينا إظهار الحقيقة العلمية المتوافقة مع عقائدنا الإيمانية ، وهنا أيضاً نكون قد وضعنا قياساتنا التربوية عقلية ونفسية وروحية ومن واقعنا نحن لا من واقعٍ خارج عن حياتنا وبيئتنا و معتقداتنا ومتوارثاتنا

وبذلك نكون قد وضعنا تصوراً خاصاً بنا نحن وضعنا منهجا يمس واقعنا الحضاري بكل متطلباته العلمية الإيمانيه والله المستعان

إن كل ذلك إنما يفرض علينا أن نقدم تتبعات رسالة عظيمة وهامه تجاه الأجيال المضللة لتبين لهم الداروينين وأثرها السيىء في العلوم الإنسانية بتبين علاقتها الوطيدة بالإلحاد وكيف وأنها قد استغلت أبشع الاستغلال في عالم السياسة لاستعمار الدول واستبعاد الشعوب وكيف أن نظرية التطور بكلياتها ما هي إلا طبخه بائتة لا يقبلها ذو العقول السليمة الطباع السوية وهذا هو موضوع حديثنا في الباب القادم إن شاء الله تعالى

http://al-maktabeh.com

## الباب السادس
## لحن والأجيال القادمة

أولاً : **الداروينية وأثرها السيىء في العلوم الإنسانية .**

أ ــ الداروينية والسياسة .

ب ــ الداروينية والإلحاد .

ثانياً : **الطبخة البائتة .**

ثالثاً : **أخيراً بماذا يجب أن نؤمن ؟**

http://al-maktabeh.com

# الباب السادس
# لمحن والأجيال القادمة

## أولاً : الداروينية وأثرها السيىء في العلوم الإنسانية

إننا بعد أن تعرضنا للكثير من مفاهيم تلك النظرية العقيمة والأسس التي قامت عليها ، نود لو نظرنا إلى جانبٍ هامٍ وخطيرٍ فيها ، ألا وهو الأثر السيىء الذي تركته هذه النظرية في كثيرٍ من علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والدين والأدب ، فإن الخطر الحقيقي لا يكمن في النظرية ذاتها بقدر ما خلفته من دعوات هدامة ونداءات مجزية ومحاولات من القوى التلمودية الصهيونية التي اتخذت منها منطلقاً إلى نشر الدعوى المادية ، وإلى تدمير المجتمعات ، فأرهقوا أنفسهم وأجهدوها في سبيل نشر فكرة التطور المطلق الذي يعارض طبيعة الحياة ومفهوم الفطرة ﴿ **فطرة الله التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تبديلِ لخلقِ الله** ﴾ [1] ومقررات الدين الحق ، ولقد تردد داروين كثيراً في نشر آرائه تلك أو نظريته هذه وظل على تلك الحال زهاء العشرين عاماً وفي كل مرةٍ كان يتراجع ، ربما كما قال البعض إنه كان مؤمناً ، ولا يحب أن يصدم الناس في دينهم أو معتقداتهم من ناحية وربما لأنه لم يكن قد اجتمعت لديه الشجاعة الكافية والثقة الكاملة فيما اعتنقه وآمن به من ناحيةٍ أخرى ، فقد اكتملت لديه الرؤية التامة والتصور الكامل لفكرته تلك وكتب عنها أول مؤلف عام ١٨٣٩م أى قبل نشر كتابه « أصل الأنواع » بعشرين عاماً ، حيث أنه قد نشره في يونيو من عام ١٨٥٨ .

نعم ... لم يكن داروين يعلم مدى الخطورة من محاولة القول بأن الأجناس البرية والحيوانية من أصلٍ واحدٍ وأن الإنسان من أصل حيواني فإنه بذلك إنما فتح باباً خطيراً من الشبهه ، حمل لواء الدعوة إليها رجال الفلسفة من بعد بالدعوة إلى حيوانية الإنسان ، وظهرت الفلسفات الانحلالية التي تعلى من قدر الغريزة وترفع من شأنها وتفسر تصرفات الإنسان وسلوكه على أساسها وعلى هدى من معانيها وإيحاءاتها .

وبالطبع كان كل ذلك معارضاً لمفهوم الدين الحق ، الدين الذي أعلن كرامة الإنسان ﴿ **ولقد كرَّمْنا بني آدم** ﴾ [2] ونادى بخلق الإنسان خلقاً مستقلاً في أجمل صورة وأكمل هيئة وأحسن تكوين . ﴿ **لقد خلقنا الإنسانَ في أحسن تقويم** ﴾ [3] وحمله أمانة الخلافة في الأرض وعمرانها وإقامة العدل فيها ونشر الأمن والأمان بها .

---

(١) الروم (٣٠)
(٢) الإسراء (٧٠)
(٣) التين (٤)



http://al-maktabeh.com

نعم .. لقد كان لاتخاذ مفهوم التطور أسلوبا اجتماعيا أبعد الأثر في التنكر للقيم الروحية والمبادىء الثابتة مثل العقيدة والشريعة والأخلاق

تقول بروتوكولات صهيون : « إن داروين ليس يهودياً ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع وأن نستغلها في تحطيم ( الدين والواقع ) » إن السر في دفع نظرية داروين ذلك الدفع القوى هو قيامها على مفهوم مادية الكون ، فقد كان داروين يرى أن العالم وجد صدفة ومن هنا من وجهة نظرهم ينتفي القول لوجود قوة خالقة حكيمة مدبرة وبالتالي تنتفي وحدانية الخالق جل وعلا .

ويقول أيضاً بمادية الكون ، فيفهم الناس ويثبت في أذهان المثقفين وطلاب العلم في زمانه ومن بعده أيضاً أن المادة هى أساس الوجود وأنها لا تنفي بل تتحول من صورة إلى أخرى ولا توجد من عدم أى ليس لها بداية أومنشىء قديم . فتبدأ دعاوي الإلحاد في الظهور وكذلك اعتناقات الوجودية والفلسفات الضالة المضلة التي تقدس المادة وتعلى من شأنها وتهبط بالإنسان إلى درجات البهيمية البحتة وتهمل شأن الروح فيه ولا تسمو بأخلاقياته ومبادئه وقيمه ومثله الرفيعة .

نعم .. كان داروين أول من صور الإنسان على إنه حيوان ضارباً الصفح عما به من ملكاتٍ قادرة ومواهب فذة ترتفع به عن كل أنواع الكائنات الأخرى وستظل حاجزاً وأى حاجز تفصل بينه وبينها إلى يوم القيامة .

## أ ــ الداروينية والسياسة :ــ

لقد كشف الباحثون النقاب عن تأثر بعض المفاهيم السياسية التي اعتقد فيها حكام الغرب وزعماؤه بأقوال داروين ومبادئه فحاولوا أن يلتمسوا لأنفسهم الأسباب التي تعينهم على احتلال الشعوب من خلالها .

نعم .. استغلوها في محيط السياسة مما أدى إلى خلق جو مضطربٍ وحياةٍ مكفهرة تطل منها مذاهب العبقرية فقد كان قول داروين بأن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تستأصل ، قولاً استغلته حركة الاستعمار العالمي أيما استغلال ، فجعلته نظرية مرموقة تحتاج إلى تطبيق ، فطبقتها على البلاد المحتلة وخاصة بلاد العالم الثالث [1] فنهبت خيراته ، وأجهزت على ثرواته الطبيعية تستنزفها بقدر ما تستطيع ظناً منهم بأنهم الجنس الأسمى بالوجود والعيش في رغدٍ وهناء فهو بالطبع الأكثر تطوراً والأرقى فكراً والأسمى في مشاعره وعواطفه حسب فهمهم وزعمهم أما الجنس الأسود فهم ليسوا إخواناً لهم في الإنسانية أو آدميين مثلهم بل أقل مرتبة وأدنى درجة

(١) مسألة العنصر في العلم الحديث ــ جوان كوماس ــ اليونسكو ١٩٥٦



http://al-maktabeh.com

في سلم التطور الذي قال به داروين ومن سار على نهجه فأذاقوهم صنوف العذاب وألوان الهوان .

نعم .. نبت مع تلك الأفكار استغلال الإنسان لأخيه الإنسان أو على الأقل شجعته على ذلك وزادته بما يفعل ولكن صحوة الشعوب وثورتها على مستعمريها إنما تدل على سقوط هذه المفاهيم وتلك الأفكار الساذجة ، وتثبت أن الإنسان الذي استعمر واحتلت أراضيه يوماً ما ، لم يكن سلبياً أو جباناً ولا متدنياً في عواطفه أو مستسلماً في إرادته بل ربما أرق عاطفة وأكثر حساً من مثيله الأوربي وتمر الأيام لتثبت عكس أوهام داروين وخطأ معتقداته .

لقد تركت تلك النظرية آثار الصراع من أجل البقاء في أوساط السياسة والحرب ، فالبقاء للأصلح وللأقوى كما تقول وتدعي هذه النظرية وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثرٌ في مخططات الاستعمار وإبادة الأجناس المغلوبة على أمرها . لقد كتب المفكر الإسلامي الدكتور / محمد عمارة مقالاً مستفيضاً في هذا الموضوع أوضح فيه العلاقة بين الداروينية والماركسية [1] كتب يقول تحت عنوان « الإسلاميون والحضارة الغربية : الداروينية .. والماركسية » :

لقد كان التوازن ــ ولا يزال ــ من أهم القسمات التي تميزت وتميز بها الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات .. التوازن الذي وفقت به حضارتنا وجمعت وآخت بين ما يمكن جمعه من عناصر حسبها الكثيرون في الحضارات الأخرى أقطاباً متنافرة لا يمكن الجمع بينها ، فضلاً عن التأليف والتوفيق .. لقد وازنت بين « العقل » و « النقل » .. « الدين » و « الدنيا » .. « المادة » و « الروح » .. « الفرد » و « المجموع » ثبات مقاصد الشريعة وتغيرات السياسة والأجتماع والأقتصاد .. الخ .. الخ .

وعلى العكس من هذه السمة الحضارية الإسلامية كان « الصراع » و « التناقض » هو « المطلق » شبه الوحيد في فكر الحضارة الغربية وممارستها .. قامت عليه ، ووعت إليه نظرياتها العلمية الكبرى .. وفي مقدمتها « الداروينية » ــ العلم الطبيعي ــ « الماركسية » في « العلوم الإجتماعية » .. ففي التطور الطبيعي والإنساني : غدت الداروينية قسمة رئيسية من قسمات الفكر الأوربي الحديث .. وكان الناس ينظرون إليها في عصر المودودي على إنها « حقيقة علمية » لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها . ولم تكن الأبحاث العلمية التي عارضتها قد بلغت ما بلغته الآن ... وخلاصة هذه النظرية عند داروين Darwin ( ١٨٠٩ ــ ١٨٨٢ م )

---

[1] جريدة الجمهورية : ١٨/٤/١٩٨٧



http://al-maktabeh.com

هي :

أن نشأة الحياة والأحياء وتطورهما محكومان بقانون تنازع البقاء وفي هذا التنازع قانون حاكم يقضي بأن البقاء للأصلح ، والأصلح هو الأقوى .. فله البقاء ، والفناء للضعيف ؟! ..

وإذا كانت الهيجلية ــ في تفسير التاريخ ــ قد جعلت نسخ العصر الجديد « لثوابت » العصر القديم أمراً مشروعاً وطبيعياً وقانونياً بل وتنفيذاً « للحتمية » .. فإن الداروينية تجعل نسخ القوى للضعيف ، بإفنائه وإزاحته من الطريق هو « القانون » ؟! ..

وقد لعبت هذه الفلسفة الدور الأعظم في تبرير عدوانية الرجل الأوربي على غيره وعدوانية حضارته على غيرها من الحضارات .. فالاستعمار الاستيطاني ، الذي يبيد السكان الأصليين . كما في حالة الهنود الحمر ــ أو يهجرهم أو يقذف بهم في الصحاري والأحراش ــ كما حاول الفرنسيون في الجزائر ، ويحاول البيض في جنوب أفريقيا ، والصهيونية في فلسطين ــ تبرره الدروانية ، لأنه تنازع على البقاء ، الأقوى هو الأحق والأجدر بهذا البقاء ! .. والاحتلال العسكري والسيطرة السياسية والنهب الاقتصادي والنسخ والمسخ والتشويه لمواريث الفكر في حضارات البلاد التي هيمن عليها الغرب ، هو تنازع على البقاء بين « قوة » الغرب وضعف هذه البلاد .. ولذلك ، فإن تجربة شعوب هذه البلاد المستعمرة والتابعة من مقدرات بلادها . وهو نوع من الاجلاء عنها ! تبرره الفلسفة الداروينية الخاصة بتنازع البقاء . فالبقاء للأقوى والأقوى هو الأصلح ؟! والصلاح هنا تحدده مادية الحضارة الغربية ، فتجعله مرادفاً « للقوة » ؟!

لعبت هذه الفلسفة الداروينية الدور الأعظم في تبرير عداونية الرجل الأبيض الأوربي وحضارته .. فوجدناه يفترس الشعوب المستضعفة .. ووجدنا حضارته تمسخ حضارات المستعمرات ، تمهيداً لإزالتها ، والانفراد بالساحة .

وإنطلاقا من هذه الفلسفة لم يشعر كثيرون من مفكري الغرب بالخجل وهم يباهون بما صنعت بلادهم في المستعمرات .. ف « ماكس نوردو » ( ١٨٤٩ ــ ١٩٢٣ م ) يتحدث عن المشروع الفرنسي لإقتلاع شعب الشمال الأفريقي لحساب الاستعمار الاسيطاني ، فيقول :

« إن شمال أفريقيا سيكون مهجراً ومستوطناً للشعوب الأوربية .. وأما سكانه الأصليون فسيدفَعُون نحو الجنوب إلى الصحراء الكبرى ، إلى أن يفنوا هناك » ؟! ..

وجاء بريل هانوتو G. Hanotaux ( ١٨٥٣ ــ ١٩٤٤ ) يقول عن « رسالة » فرنسا في الجزائر :

http://al-maktabeh.com

« أن شعبنا جمهوري لمبادىء .. قد تقلد زمام إدارة شعب آخر ، منتشر في الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة ، يتبع تقاليد وعادات غير التي نعنو لها ونحترمها ، من الشعب الإسلامي السامي الأصل ، الذي يحمل اليه الشعب الأوربي المسيحي الجمهوري الآن : ملح وروح المدينة .. » ؟!

أما « سا يسيمون دي » فيقول سنة ١٨٣٠ م ، عن هذه المهمة الغريبة ، مهمة غزو الجزائر :

« هذه المملكة الجزائرية التي ستصبح بلداً جديداً يتدفق اليه الفائض من السكان ومن نشاط أبناء فرنسا .. » ؟! ..

ولقد كتبت تقاريرهم عن اللغة القومية للجزائر ، وصراع البقاء بينهما وبين الفرنسية سنة ١٨٤٨ م :

« إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها . والعمل الجبار الذي يجب علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية ، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا ، وتمثيلهم بنا ، وإدماجهم فينا ، وجعلهم فرنسيين .. » ؟!

أما عن الإسلام ، فكرية ــ إيدولوجية ــ للشعب الجزائري فلقد عبر الكاردينال « لافيجرى » عن الموقف منه ، عندما أخذ الفرنسيون يحتفلون بمرور قرن على إحتلالهم للجزائر ، فقال :

إن عهد الهلال في الجزائر قد غبر ، وإن عهد الصليب قد بدأ ، وأنه سيستمر إلى الأبد .. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاءها بنور مدينة منبع روحها الانجيل .. » ؟! ..

لقد صدرت هذه الأقوال ــ وأمثال كثيرة . من هؤلاء المفكرين الغربيين ــ وأمثالهم كثيرون ــ دون أن يشعروا بالخجل ، لأنهم كانوا ينطلقون من فلسفة تقول لهم : إن تنازع البقاء ، وإفناء القوى للضعيف هو القانون العلمي الواجب النفاذ ! ..

ونحن إذا قارنا موقف الفاتحين العرب من المواريث الحضارية للبلاد التي فتحوها .. وكيف أنهم إحتضنوها ، وأحيوها ، وفرجوها بما لديهم من فكر إسلامي متوثب وشاب ، وجعلوا من الجميع حضارة جديدة ، هي الإمتداد المنظور لكل هذه المواريث والمكونات .. إذا قارنا موقف العرب المسلمين هذا بموقف الغزاة الأوربيين ، على جبهة الحضارة ، برزت لنا معالم الفروق وضخامتها ووضعنا أيدينا على الأمثلة الحية التي تمايز بيننا وبينهم في هذا الميدان ! ..

بل إننا نستطيع أن نضيف فنقول : إن الداروينية لم تنهض فقط ، بدور « المبرر »

http://al-maktabeh.com

للرجل الأوربي وحضارته « المبرر » لهما عدوانهما على الغير .. وإنما هي قد كشفت عن الطبيعة الأصيلة ــ طبيعة الإستعلاء والعدوانية ــ في هذه الحضارة الأوربية ؟! ..

لقد عرفت حضارات أخرى ــ ومنها الحضارات العربية الإسلامية ــ فكرة « التطور » في الأحياء والنباتات والجمادات والأفكار ، ورأت فيه قانوناً من قوانين الله في الكون وسنة من سننه التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً .. لكن الحضارة الغربية قد إنفردت بهذا الثوب الذي ألبسته لفكرة « التطور » ، ثوب « قانون الغابة » ، المتمثل في مقولة الداروينية عن تنازع البقاء ، وبقاء الأقوى ، لأنه الأصلح للحياة ! ..

ولقد أبصر الأستاذ المودودي هذا الأثر السلبي للداروينية ودور هذا الأثر في فكرية الحضارات الغربية ، فقال ــ في معرض نقده لها :

« إن التصور الذي تأصل في الذهن الإنساني عامة للكون ، متأثر بنظرية التطور هذه إنه مضمار للمصارعة والمنازعة ، لا تزال الحرب قائمة فيه في سبيل الحياة والبقاء ، وأنه من نظام الفطرة أن كل من أراد الحياة والبقاء فعليه بالكفاح والمصارعة . كما أن من طبيعة الفطرة أنه لا يستحق البقاء ، في نظرها ، الا من أثبت قوته ، فكل من يفني في هذا النظام القاس فإنما يفني لأنه ضعيف يستحق الفناء ،ومن يبقى فهو يبقى لأنه قوى من حقه البقاء . في الأرض وما فيها ، ووسائل الحياة وما بها لا يستحقها لا القوى الذي يثبت أهليته للبقاء والحياة ، ولا حق للضعيف في هذه الأشياء ، وعليه أن يخلي المكان للقوى ، والقوى على حق تماماً إذا أخذ مكان الضعيف بعد إزاحته عنه أو قضائه عليه ! .. »

ثم يمضي الأستاذ المودودي فيقول :

« ولعمر الحق ، لو كان بقي في ضمائر أهل الغرب شيىء يخالج ضمائرهم ، فقد أزاله داروين بحججه وشواهده ، ومهما مكن لهذه النظرية من منزلة في العلوم الطبيعية ، فقد حولت الإنسان ذئباً مفترساً لأخيه في ميادين الاجتماع والمدنية والسياسة ! .. »

ففي ظل هذه الفلسفة العجيبة ، والقانون الغريب ، رأى أهل الحضارة الغربية أن من حقهم أن يبيدوا الأمم الضعيفة ، وإن يستولوا على أراضيها ، ويذلوا أهلها ، ويطردوهم من ديارهم فهم بهذا يثبتون جدارتهم وتفوقهم ، ويطبقون قانونهم وفلسفتهم القائلة بأن « البقاء للأصلح » ، أو « البقاء للأقوى » ، وأتباع الحضارة الغربية لا يعتبرون ما يرتكبون من جرائم وفظائع ظلماً ، بل يرون أنه حق وعدل تمثله القوانين الطبيعية .. » !

ولا ينسى المودودي أن يورد آراء مفكرين غربيين نبهوا على ما في الفلسفة الداروينية

http://al-maktabeh.com

من روح شر العدوان » وجعل الأنانيه والذاتيه هما قانون الحياة العامي »

هذا هو دور الداروينيه في كشف عدوانيه الحضارة الغربيه وشرورها وبقد المودودي هذا ، في سياق نقده هذه الحضارة الغربية

وفي الصراع الطبقي عند ماركس وإذا كانت فلسفه التاريخ عند هيجل قد غلبت « التغير » على « الثبوت » وعممته وأطلقته ، ثم جاءت الداروينية فمررت عليه « القوة » وحدها وإذا كانت الأولى قد جعلت هذا« الصراع » هو قانون « الفكر » والثانية قد جعلت هذا الصراع قانون « الطبيعة والفطرة » فإن الصراع الطبقي ، عند ماركس ( ١٨١٧ ــ ١٨٨٣ م ) قد أصبح هو القانون الذي يحكم تطور « المجتمع » ، بل لقد إعتبر التناقض والصراع هو المطلق الوحيد ، وما عداه ــ كل ما عداه ــ فهو نسبي ، يزيد وينقص ، بل ويزول بتغير الظروف والملابسات ! .. وبعبارة الأستاذ المودودي :

« فلقد جعل هيجل العالم الفكري ميداناً للصراع ، وجاء داروين وقدم الفطرة كميدان للحرب ، ثم جاء ماركس وصور المجتمع بنفس هذه الصورة ! »

ومن هنا نعلم إلى أى مدى استطاع أقطاب الفكر الغربى أن يستغلوا أفكار داروين وتطويع نظريته لخدمة أغراضهم الاستعمارية لإذلال الشعوب والسيطرة عليها

## ب ــ الداروينية والإلحاد .ــ

لقد عظمت فكرة الإلحاد في عقول الكثيرين من أبناء الغرب وقويت شوكتها ، عندما علموا بنظريه التولد الذاتي وصدقوا بها ،وآمنوا بها كما آمن بها داروين ولا مارك وارسب هيكل واتخذوها منطلقا للإلحاد واعتدوا بها سندا في إنكار العقيدة الدينيه ونفى وجود الله في الكون أو الحياة عامة ، وبهذا أصبحت هذه النظريه وقضيه الإلحاد قرينتين أحدهما بالأخرى

نعم آمنوا بظواهر كاذبة وأوهام خادعة عندما اعتقدوا بأن الدود إنما يتخلق أو يتكون بنفسه أو بطريقة ذاتية ، وكذا الضفادع التي رأوها تخرج من الطين فقالوا تخلقها من ذلك الطين وإن هى إلا سنوات قلائل حتى أفاقوا من عمههم واعتقاداتهم الباطله بتكذيب العلماء التجريبيين لهم ، وصدمهم بملاحظاتهم الدقيقة وأخذه عليهم قصر نظرهم . وانتقادهم جهلهم حقيقة الأمور وأصولها وكانوا قد أعطوا المادة بالطبع صفه القادر على كل شيىء فهى تلك التي تخلق وتبدع وتصنف وتنمو . ومن ثم دعا هيكل إلى تأليه الطبيعه وإنكار وجود الله تعالى بوحدة الوجود وإذا بالزمان يعيد نفسه ويتردد دعوى الدهريين الذين حاصبهم الله تعالى على لسان رسوله الكريم بدعوى التوحيد وعبادة الإله الخالق الحكيم الخبير فما إن ادعوا فهومهم



http://al-maktabeh.com

﴿ إنْ هي إلا حياتُنا الدنيا ، نموتُ ونحيا ، وما نحن بمبعوثين ﴾ [1]

لقد كان مشركو مكة أكثر تعقلاً وأوسع فكراً من هؤلاء الوجوديين الضالين ، الذين عبدوا الطبيعة من دون الله فلم يكابروا في خلق السموات والأرض ولم يعاندوا في الاعتراف بألوهية الله وخلقه للكون وإبداعه له

﴿ ولإن سألتَهم منْ خلقَ السمواتِ والأرض ليقولُنَّ الله ﴾ [2]

نعم .. اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان واصابتها في مقتل ولكن هيهات لما يريدون وبعداً وبعداً لما يشتهون .

وظهرت من خلال ذلك نظرية القوة والتمييز العنصري كما أشرنا من قبل وكذا فكرة الشعوب المختارة فاعتقد اليهود أنهم هم الأفضل والمختارون من قبل الحق لقيادة العالم وحكم شعوبه واستغلوها فرصة فجعلوا يروجون لها وينشرونها بكل ما يملكون من إمكاناتٍ ضخمة ، واستعداداتٍ كبيرة بصرف النظر عما إذا كانوا يؤمنون بها أو يعتقدون في صحتها أولا ، المهم هو مناسبتها لأغراضهم الدنيئة وأطماعهم التوسعية في العالم العربي فكان ما حدث في فلسطين من مجازر وحروب ومأساة شعب بأسره .

نعم على ضوئها صيغت نظرية القوة عند نيتشة ومن ذهب على مذهبه وسار على نهجه من علماء الجرمان .. وكذلك انتفع بها دعاة الارستقراطية ، فوجدوا فيها سلاحهم ، ودليلهم لساطع وحجتهم القوية فأعلنوا أنفسهم سادة البشر ومالكي العروش وصانعي التاريخ ، لأنهم بفهمهم للنظرية وتأويلهم لها هم الممتازون المختارون لكل هذه المكرمات ، وتلكم العظائم من الأمور .

لقد اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على ذاتية الاسم والشعوب ، باعتبار أن كل شيىء بدأ ناقصاً إنما يثير السخرية والاحتقار إلى أن يتطور ويرتقي إلى نوع آخر أو جنس مختلف فلا قداسة إذن لنخوة أو وطنية . فيحاولون إماتة هذا الشعور في تلك الشعوب وإبادته فيهم .

والغريب في هذا أنك من الممكن أن تفهم بداهة لمن توجه تلك النظرية او تشعر عند دراسة هذا الأمر كأن هذه النظرية إنما أخرجت لرجال السياسة وعلماء الاجتماع ليقتنعوا بها أكثر من علماء الأحياء .

ويعجب الإنسان من ذلك حقيقة ولا ينتهي عجبه !!! ويهدفون في النهاية إلى إلغاء الوطنيه الضيقة وحب الأرض التي عاش عليها الإنسان وترى فوقها ، وازاحة الوجود

---

(١) المؤمنون (٣٧)

(٢) لقمان (٢٥)



http://al-maktabeh.com

الذاتي لحاضر الأمة حتى نضيع وتذوب في عالم النسيان واللاشيء
وهذا هو همهم الكبير ومطلبهم الفريد .

قال أجاسير « إن النشوء لا يتم إلا وفقاً لخطة إلهية حكيمة ، وإن الاصطفاء الطبيعي إذا ما حل محل الخلق الإلهي فإن الإنسان يكون قد جرد من روحه ، وغدا آلهة صماء ، إن التفسير الحرفي لنظرية داروين يفسح المجال لتأليه سوبر مان بيتشة وتمجيد القوى البدنية على أنها الأساس الوحيد للسلوك بين الناس . إن الفكرة التي يعتنقها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق إلا افتراضاً اعتباطياً يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة . »[1]

وتتردد دفوع كثيرة عن فكرة داروين من أنه لم يجعل نظرية التطور والارتقاء أساساً للدعوة إلى الإلحاد وإنكار الخالق [2] ربما كان الأمر كذلك ولكنها على الأقل لم ـ إليها أو اتفقت في نتائجها مع مؤديات الإلحاد والإنكار .

فليس المهم في تلك الحالة أن هذه الفكرة ماكانت تقصد شيئا من ذلك ، أو تعنيه المهم هو ماترتب عليها من نتائج سيئة وماانعتق بسببها من أفكار هدامة ومأأفرزت من عصارات مرة تجرعتها على الأقل فرقةٌ من الناس ضلوا بسببها وحادوا عن إيمانهم بربهم فليست العبرة بالدافع هنا قدر مايكون العبرة بالنتيجة .

ويقول آخرون : إن داروين ليس هو القائل بالتولد الذاتي أو نفى الخالق . وإنما آرنست هيكل تلميذ هيكل هو القائل بأن الحياة تولدت من المادة تولداً ذاتياً بفعل الطبيعة وإن أنصار داروين وتابعيه هم الذين زعموا أن أصل الإنسان يرجع إلى القرد وإن القائلين بأن القرد هو أبو الإنسان الأول هم غلاة الماديين الذين ألصقوا هذا القول بمذهب داروين .

ولنا أن نتساءل ومن هم تلاميذ داروين ؟
أليسوا هيكل ولامارك وأوبادين . وعنهم أخذ بخنر وتعلم وحاول أن يجعل نظرية التطور منهجاً اجتماعياً

لقد أخذوا بمبدأ النشوء والارتقاء كقاعدةً لتفسير الكون دون النظر إلى ماوراء الطبيعة . والإنسان في نظرهم كائن بيولوجي يخضع لنواميس طبيعية لا تتزعزع وبات الكون كله سلسلة من الأجسام والكائنات يتوالد بعضها من بعض متدفقة على التوالي نحو مراتب جديدة من الارتقاء

---

(١) سلسلة في دائرة الضوء العدد ـ ٢٠ أنور الجندي

(٢) سبق أن أوضحنا ذلك في الباب الأول من هذا الكتاب شيء من التفصيل عند الحديث عن داروين ـ المؤلف



http://al-maktabeh.com

لقد جعلوا النظام الطبيعي لا الدين أو الله منبع الأخلاق والمرجع الأخير في تقرير القيم وصحتها ولم يبق لهم إلا خطوة واحدة حتى يرفضوا الدين رفضاً قطعياً ، ويستبعدونه من نظام الحياة الإجتماعية

إن مذهب داروين في جملته كما شرحه بخنر إنما يهدف في نهايته إلى اقرار مبدأ العلمانية في تنظيم المجتمع وفصل الدين عن الدولة وإزاحة الأديان ليصبح العالم أمة واحدة تحت لواء القوى العالية بكفرها وضلالها .

لقد كانت نظرية داروين فرصة استغلها مفكرون وفلاسفة وقوى خطيرة أرادوا بها أن تنتقل من ميدان البيولوجيا إلى ميدان الاجتماع والدين . والهدف والغاية هو القول بأنه لا شيىء ثابت وكل شيىء يتغير والهدف هو استغلال تلك الشبهات وهذه الفروض للقضاء على مفهوم الأديان . وكأن ما أحدثته الداروينية في عالم العقيدة وفي الفكر الأوربي كله أن فكرة التطور لم تنحصر في هذه الدراسة المعملية التي قام بها داروين ولا كان في الإمكان أن تنحصر في هذا النطاق وإنما دخلت مجالات الفكر الاجتماعي ولم يعد هناك شيىء ثابتٌ حتى فكرة العقيدة والألوهية .

ومن داروين بدأت فكرة القصور المطلق ومن داروين بدأت فكرة حيوانية الإنسان وتضخمت أبواب الفكر الماركسي والفرويدي معاً . وبه انفصلت النهضة الصناعية والكشف العلمي والحضارة والاستعمار والرأسمالية عن الدين واتجهت الحضارة إلى الإستهلاك ، وقامت صناعة أدوات الترف والزينة والفساد ومزيد من الأرباح تدخل إمبراطورية الربا اليهودية عسى أن يزيد هدا كله من عملية التطور ويسرع بخطواتها فيتحول الإنسان إلى جنس آخر أكثر تطوراً وأعظم رقياً

نعم ... في هذا الجو اللاديني وُلِدَت النهضة الأوربية وعلى أساس لاديني بل رأى أهلها في هذا المناخ سبباً لتخلفهم وعاملاً لركودهم فيما مضى من تاريخهم وسنوات حياتهم .

ومع أن العلم قد شجب كثيراً من تلك الفروض وعارض رأى داروين وكشف عن فساد رأى الداروينية بحيوانية الإنسان ، وعلن تفرده في نوعه وفي كيانه البيولوجي البحت فضلاً عن كيانه النفسي والعقلي والروحي فإن فلسفة العلم ظلت تحتضن تلك الفروض لتأييد مفهومها المادي الإلحادي للحياة .

وتبين فساد رأى داروين حين قال : الطبيعة تخلق كل شيىء ولا حد لقدرتها . ولقد تبين أن هذه حلقةٌ خطيرة تربط بين رأى داروين وبين الفلسفة المادية يقوم رجالٌ من الصهيونيةالتلمودية ، ولقد استغلت نظرية داروين في النشوء والارتقاء وفي التطور أبشع استغلال لتحطيم الدين والأخلاق وكان من أبرز ثمار الداروينية : ماركس

http://al-maktabeh.com

وفرويد ودور كايم ، وقام الفكر الغربي على احتقار الدين والقول بأنه ليس فطرة ، وأن الحريمة ظاهرة سويه ، وتصوير الإنسان على أنه حيوان وإنكار الأسرة وتحطيمها ووصف الأخلاق بأنها نسبيه وأنها انعكاس للوضع الاقتصادي ، وأن الزواج والدين ليس من الفطرة وأن للمرأة أن تحقق كيانها تحقيقاً جنسياً خالصاً من القيود

هذا هو موقف الأديان من نظرية داروين وعلاقتها بها ، أما عن علاقة تلك النظرية برجال الدين فكان غريباً ويدعو إلى الدهشة حقاً .

نعم ... لقد كان من الطبيعي أن تأتي أول حركة للانتقاد والاعتراض وأشدها عنفاً من رجال الدين [1] أي أن معظم النقد لم يصدر في الأصل نتيجة لرفض فكرة إمكان وجود علاقة بين الإنسان والقردة العليا بقدر ما كان ناشئاً عن موقف داروين من فكرة الخلق عامة والإنسان خاصة

ومن الإنصاف أن نقول إن داروين في كتاب أصل الأنواع كان حريصاً إلى حد كبير على أن يتجنب الكلام عن أصل الإنسان ولم يعرض لذلك إلا في مرحلة تالية ومع ذلك فقد وجهت إليه منذ البداية تهمة محاولة التدليل في ذلك الكتاب على انحدار الإنسان من القرود فعلى الأقل إن القاء نظرة عابرة وسريعة إلى شجرة الحياة لا شك أن تفكير أي قارىء أو مثقف سوف يقوده إلى ذلك المفهوم

ولقد أثارت هذه التهمة كثيراً من الدهشة والارتياح والشعور بالضآلة بين الناس . وأن قصة زوجة الأسقف وويلبر فورس أسقف كنيسة وورستر في ذلك لقصة شهيرة وطريفة [1] ففي إبان احتدام المعركة بين هكسلي وويلبر فورس سألت زوجها في ارتياع : « هل صحيح أننا انحدرنا من سلالة القردة ؟ إنني أرجو يا عزيزي أن يكون غير صحيح ولكن لو صح ذلك فإنني أرجو أن يبقى الأمر سراً غير معروف . »

وإن قصة الصدام بين هكسلي والأسقف ويلبر فورس أسقف الكنيسة السابق الذكر أثناء الاجتماع الخاص بالرابطة البريطانية في اكسفورد عام ١٨٦٠ قصة مشهورة أيضاً وتكشف عن مدى اختلاف الرأي وتباين النظرة إلى داروين ونظريته فقد نهض ويلبر فورس يهاجم النظرية وينقدها في أسلوب خطابي لاذع والتفت في نهاية خطابه إلى الأسقف هكلسي قائلاً في سخرية :
« أود أن أسأل الأستاذ إذا كان ينتمي إلى القردة من ناحية أبيه أو ناحية أمه ؟ »
فيرد هكسلي حسب إحدى الروايات التي أرجو أن تكون غير صحيحة بقوة :—
« ليس للإنسان أن يخجل من أن يكون قرداً وإذا كان لي جدٌ أخجل من أن أذكره

---

(١) أرجو أن يؤخذ في الاعتبار مفهوم ذلك الاسم وما يعنيه في الديانة المسيحية بخلاف ما يعرفه « علماء الدين » إذ لا كهنوت في الإسلام



http://al-maktabeh.com

فلابد أن يكون هذا الجد إنسانا به عقل فلوّ متقلب وتفكير غير مستقر ولا يقنع بالنجاح في مجال نشاطه الخاص ، وإنما يلقى بنفسه في متشكل العلمية التي ليس له بها دراية أو معرفة حقيقية »

وكل ما يفلح في أن يفعله هو أن يضفي عليها ستاراً من الغموض عن طريق الخطابة الجوفاء ، وأن يصرف انتباه السامعين عن النقطة موضوع الخلاف وذلك عن طريق اللجوء إلى الاستطراءات البليغية والاعتماد في حذقٍ ومهارةٍ على إثارة المشاعر الدينية .

لقد كنت آنفاً أرجو ألا يكون صحيحاً لأنني قد قرأت من قبل روايات عدة لرد هيكسلي على الأسقف بعباراتٍ أقذى وفي اعتقادي أنه لا يصح من عالمٍ جليلٍ أن يتردى إلى تلك الهاوية أو ينزلق هذا المنزلق فيسفف في تعبيراته ورده على الآخرين أو مع مَنْ يختلف معه في الرأى فقد كان يكفي أن يقول لوبلير فورس رداً على سؤاله : إن تلك النظرية وإن صحت يا عزيزي فلن أكون وحدي الذي ينتمي أبوه أو أمه إلى القردة بل أنت أيضاً فأنا بشرٌ مثلك جميعنا بشر كذلك

ولكنني أقول يجب ألا نعجب من رد هكسلي أياً كان وخاصة لو علمنا أنه كان يصف نفسه « بكلب داروين الحارس » من شدة تحمسه لآراء داروين ودفاعه عنها حتى وإن سَفَّه رجال الدين .

وإننا لنستطيع أن نلمح في ثنايا على الأسقف ذلك الفصل الواضح بين علوم الدين وعلوم الدنيا بطريقةٍ واضحةٍ لا تخوض فيها . فربما كان السبب في رده هذا ما يعتقد من أن يجب ألا يتدخل القساوسة والأساقفة والباباوات في شئون الدنيا لأنهم لا يفهمون فيها ولأن لهم عالمهم الخاص الذي حبسوا أنفسهم وتفكيرهم بداخله ألا وهو عالم الأديرة والكنائس وما كان سائراً أو متعارفاً عليه في هذا الزمان من تنافر بين علماء العلوم الطبيعية بصفة عامة وعلوم الدين ومن هنا نشأ الفكر العلماني الذي يطالب من هذا وذاك وربما كان لهم العذر في ذلك بخلاف ما نحن عليه في مناقشة قضايا الفكر الإسلامي إذ لا تعارض بين هذا وذاك كما بينا في فصولٍ سابقة .

ومن الطريف أن كارل ماركس كان يريد تصدير الترجمة الانجليزية لكتابه « رأس المال » بعبارة أخرى إهداء إلى داروين مما يكشف مدى إعجابه وتقديره له ولكن اعتذر في أدبٍ عن قبول ذلك العرض ومع ذلك فقد كتب ماركس بخطه على الرسالة التي أرسلها إليه عبارة « من المعجب المخلص » .

وعلى مايبدو أن داروين قد قرأ الكتاب وألم بما فيه بدليل أنه كتب إلى ولاس فيما بعد يقول :

« إنه من الغباء أن تسود في ألمانيا فكرة وجود علاقة بين الاشتراكية والتطور عن طريق

http://al-maktabeh.com

الانتخاب الطبيعي »

ولقد ظل ماركس متحمس لكتاب أصل الأنواع ولنظريه التطور بدرجة أنه كتب إلى انجليز يقول :
« على الرغم من أن هذا الكتاب يعالج نظرية التطور بأسلوب انجليزي فج فإنه يحتوي على أسس التاريخ الطبيعي لنظريتنا »

وكان ماركس بمجرد ما أن وجد قشة ظن أنها بالإمكان أن تقصد آراءه وتساند مبائه حتى تعلق بها ولكنه في الحقيقة تعلق بأحبال واهية وأوهام زائفة .

لقد حاول ماركس وأتباعه أن ينادوا دوماً بالنظرية التطورية على أنها تنبع من موقف إلحادي وعلى أنها تنكر فكرة الخلق وعلى الأقل تتعارض معها . وبالتالي فهم بذلك إنما يتوافق فكرهم على الجديد من العلم الحديث من الاكتشافات العلمية وبالتالي أصبح الاثنان نظرية التطور والإلحاد كل منهما فريق للآخر ولقد كان هذا هو مكان الخطر في تلك النظرية .. « نظرية التطور »

والآن أستاذي بالجامعة ، أخي الباحث ، عزيزي الطالب بعد هذا الذي عرضناه من شرح وتحليل لآراء تلك النظرية وما بها من ضلالاتٍ وما حوته من زيف وأباطيل لا تستند إلى دليل قاطع أو برهانٍ قوي . أدعوك لأن تتأمل فيما أقول وتُعْمل الفكر وتطيل النظر فيما كنت تعتقد سابقاً إن كنت من أصحاب نظرية النشوء .. ودعني أسألك سؤالاً واحداً يلح على ذهني بل يفرض نفسه علينا الآن .

أريد أن أسألك وتجيبني بصراحة هل تقبل طبخة بائتة ؟
وما معنى ذلك ؟ وسوف تتضح لك الأمور عما قليل .

**ثانيـاً الطبخة البائتة :**

عزيزي الطالب في كل معهد ومدرسة أخي الباحث في كل جامعة ، دعنا نفترض أن معلمك بالمدرسة أو أستاذك بالجامعة وخاصةً من يقومون بتدريس علمي البيولوجيا والجيولوجيا يطلعون على آخر ما يظهر في حقولهم أو ميدان بحثهم ويحبون أن يتظاهروا بأنهم لابد وأن يتمشوا مع روح العصر وكذلك من يقومون بتدريس التربية الدينية فربما يقرأ الواحد منهم سوى مقالٍ في بعض الكتب الشعبية أو المجلات العامة المثيرة عن النشوء وما حوته آراء داروين فعلى ما أعتقد أو من المرجح لدىَّ أن كل هؤلاء فرادى أو جماعات سيقومون على الرغم من كل نواياهم الحسنة بتقديم أطباق عديدة من طبخة بائتة مضى على رفض المتخصصين لها عهدٌ طويلا

http://al-maktabeh.com

عزيزي الطالب :

هل لايزال معلمك يحدثك عن إنسان « نيادرثال » وعن إنسان جاوة المتحجر بأنهم أشكال متوسطة بين القرد والإنسان ؟

نعم .. ربما لازالوا على سابق عهدهم لأنهم لايعلموا أن هذه المفاهيم كلها أمست طبخة بائتة .

من المتعارف عليه الآن أن هذين الإنسانين ليسا سوى رجلين عاديين حتى وإن بديا أو ظهرا بمظهر غريب بعض الشيىء ، إلا أنهما ليسا أغرب من بعض الأشخاص الذين يتجولون من حولنا اليوم علاوة على ذلك نحن نعرف أن إناساً في نفس مظهرنا عاشوا مثل هذين الرجلين من عصور ما قبل التاريخ ، وأود أن أعطيك الآن فكرة أكثر وضوحاً وإسهاباً عن البقايا البشرية التي يحدثونك عنها لتكون على بينةٍ وتقف فى مناقشتك على أرضٍ صلبة فلا تتراجع .

## ١ ــ إنسان جاوة :

في عام ١٨٩١ عثر الجراح الهولندي آيوجين ديبوا في ترنيل بجزيرة جاوة على الجزء العلوي من جمجمة وثلاثة ضروس وعلى بعد ١٥ ياردة عثر على عظمة فخد . وفى ١٨٩٤ أعلن ديبوا أن الجمجمة وعظمة الفخذة لمخلوق واحدٍ شبيه بالإنسان والقردة وأنه يمثل الحلقة لمفقودة في نسب الإنسان وأيده في ذلك السير آرثر كيت . (١)

إلا أن دراسات كثير من العلماء الجادين مثل رودلف فرشو وبومولر وكولمان ومرسلين بول اعتبرتها عظام جيبون منقرض ، وقد اعتقد ديبوا برأيهم فيما بعد . وتلك هي صفة الباحث الجاد الذي يتبع الصواب ولا يهمه على يد من اكتشف فلا تعصب إلا للحقيقة العلمية الخالصة .

## ٢ ــ إنسان نياندرتال :

في عام ١٨٥٧ عثر في مغارة حجرية بوادي نياندر بألمانيا على بقايا جمجمة مع بعض العظام الطويلة واختلفت فيها الآراء فوضعها جرانت آلن بأنها تتميز ببروز الحاجبين وانحدار الجبهة والذقن وضخامة الفك السفلي مما يعطيها مظهر الغوريلا . (٢)

وعزاها هكسلي إلى نوع من الإنسان القديم جداً وقدر حجم المخ ١٢٣٠ سم٣

(١) الأجناس البشرية . م . ستودد في مراجعة د أحمد على إسماعيل .

(٢) إنسان ما قبل التاريخ سام ويربل إنيشتين

http://al-maktabeh.com

واعتبرها جمجمة نوع منحطٍ من البشر والسير آرثر كيث رأى أنها عظامُ جنسٍ خاصٍ من البشر ، أما فرشو فرأى أنها عظام إنسان يشكو من مرض الأكروميجاليا وهذا هو الرأى السائد اليوم خاصةً وأن حجم المخ هو حجم مخ الإنسان الحديث . بالإضافة إلى أن الأسنان أسنان بشرية حقيقية .

وقد كان إنسان نياندرتال صياداً ماهراً ، استخدم الالآت وأشعل النار ودفن موتاه في طقوسٍ جنائزيةٍ تدل على اعتقاده في الحياة الأخرى .

وفي بعثةٍ للحظائر في مغارة بقرية شانيدار بكردستان بالعراق بقيادة عالمِ الأجناس الأمريكي رالف س . سوليكي بجامعة كولومبيا ، اكتشف تسعة هياكل بشرية كان واحدٌ منها مغطىً بالورود ، ووجد هيكل شخص عمره حوالي ٨٠ عاماً وُلد وذراعه اليمنى ضامرة ووجدت الساق مقطوعة فوق الركبة بعملية جراحية قام بها جراح تياند رتالى وحالة الرجل وعمره المتقدم توحي بالظن إلى أن رفاقه قد تركوه حياً لإحساسهم بالخطر أثناء قيامهم بالصيد جماعة ، فمات الرجل بانهيار الصخور فوقه وهو داخل الكهف .

ويعلق عالِم الأجناس البشرية كارلنوسس كون عن ذلك بقوله :
يستحق سكان شانيدار على أساس السلوك فقط لقب الإنسان المدرك .

**٣ ــ إنسان بلتدون :**

في ديسمبر ١٩١٢ أعلن هاو محترف التنقيب عن الحفائر اسمه داوسن عن اكتشافه لجمجمة في بلتدون وقدر عمرها حينذاك ٥٠٠ , ٠٠٠ سنة وعندما أعاد فحصها كينيت أوكلي بالمتحف الجيولوجي عام ١٩٥٠ واختبرها كيميائياً فقدر عمرها ب ٥٠ , ٠٠٠ سنة .

وفي عام ١٩٥٣ توصل العلماء إلى أن حفرية بلتدون كانت خدعة محبوكة جيداً [١] ، فقد عالج داوسن الجمجمة بأملاح الحديد لتبدو في شكل حفرية قديمة العمر جداً ، كما أنه برد ضروس الجمجمة لتبدو كأنها أسنانٌ بشريةٌ في مظهرها ، وتأكد العلماء أنها لقرد الأورانج أوتان .

وبالطبع عندما تقول لمعلمك كل هذا ، فعلى ما أظن لن تجد سوى عين جاحظةٍ أو بصرٍ شاخصٍ وفاهٍ فارغٍ ولسانٍ لا يتكلم .

---

(١) مجلة اليونسكو أكتوبر ١٩٧٢ .



http://al-maktabeh.com

## ٤ ــ إنسان كرومانيون :

إننا نود الحديث عن هذا الإنسان بالذات لأنه كما يقول النشوئيون أنفسهم كان أول من عرف الرسم على جدران الكهوف وعاش حياةً راقيةً ومتقدمةً تنم عن عقليةٍ كبيرة وتفكيرٍ عميق يشابه إلى حدٍ ما إنسان العصر الحديث ونود أن نسهب في هذا الأمر قليلاً كي يتضح لنا إلى أى مدى يختلف الأمر عن القردة .

كان إنسان كرومانيون صانع أدوات ماهراً ، صنع على سبيل المثال حراباً ذات أطراف حادة مقوسة وهى التي أمكنه استخدامها لقتل حيوان الرنة ، وصنع قاذفات لرماحه ، وساعده ذلك على اقتناص صيده من مسافة بعيدة . وأصبح قادراً على قتل الحيوانات السريعة تفوق في سرعتها سرعة الإنسان ، وصنع أزاميل حجرية حادة استخدمها في تحويل قطعة من عظم أو قرن إلى إبرة دقيقة وبهذه الإبر استطاعت نساء كرومانيون أن يخطن جلود الحيوانات ويحيلنه إلى ملابس دقيقة أنيقة من الفراء . (١)

ويبدو أن إنسان كرومانيون كان يلبس ملابس قليلة جداً حينما يكون الجو دفيئاً . كما كان يطلي جسمه باللون الأحمر مستخدماً أكسيدَ الحديد ، الذي يتوافر في التربة الأرضية ، أما الملابس المصنوعة من الفراء فكانت تساعده على الحياة في الجو القارس الشديد البرودة .

وكان إقليم الدردون الفرنسي أحد الأمكنة التي عاش فيها إنسان كرومانيون جيلاً بعد جيل لآلاف السنين وحتى اليوم يمكن لمن يزور هذا الإقليم أن يؤكد أنه كان جنة لسكان الكهف .

وإقليم تادردون هو في الحقيقة هضبة مستوية كبيرة تخترقها وديان أنهارٍ كثيرةٍ ضيقةٍ وعميقةٍ وتهب على الهضبة رياح محملة بالرطوبة من المحيط الأطلنطي الذي يقع غير بعيد عن جهة الغرب فنمت لذلك الحشائش الخضراء وفيرة فوق الهضبة في العصر الجليدي وتجمعت للرعى قطعان الحيوانات التي لا حصر لها ، مثل : الماموث ، والرنة ، والخيول البرية .

وتختزن وديان الأنهار الضيقة حرارة الشمس وتمد هذه الروافد المائية سكان الكهوف وحيوانات الصيد المتوحشة بالمياه الوفيرة وتكون جروف هذه الوديان من الحجر الجيري وتمتلىء بقطع الصخور ومعنى هذا أن سكان إقليم الدردون من إنسان كرومانيون لم يحتاجوا إطلاقاً إلى الذهاب بعيداً بحثاً عن موادٍ لأدواتهم .

---

(١) إنسان ما قبل التاريخ . سام وبرومل ابشتين

http://al-maktabeh.com

وكانت الطنف ( الأفاريز ) الصخرية المعلقة على طول هذه الجروف هى المأوى المريح الذي استخدمه ناس كرومانيون حين تشتد برودة الجو ولا يصلح لمعيشتهم الهواء الطلق فوق الهضبة، وكذلك كانوا حين يسكنون الكهوف العميقة في ذلك الإقليم فإنهم يعيشون في مقدمتها وقرب مداخلها .

انسان كرومانيون يوقد النار أمام كهفه

ومن المحتمل أن ناس كرومانيون استخدموا الشرفات الصغيرة الموجودة أمام الكهوف كطنف يتمتعون فيها بالشمس في الأيام الصافية وفي بعض الأحيان كانوا يوسعون هذه الشرفات ويعملون لهاحدوداًمن الأحجار وكانوا يشعلون النار في تلك الساحات ويتناولون طعامهم في دفئها وفي حماية ألسنة اللهب ، وتجلس النساء هناك لحياكة الملابس ، أو عمل العقود من الأصداف وأسنان الحيوانات . أما الرجال فكانوا يشغلون أوقاتهم بصنع أدواتهم وما تحتاج إليه أسرهم من سائر الأشياء ففي بعض الأحيان كانوا ينحتون قطعة كبيرة من عظمة مفصل ليصنعوا منها آنيةً قليلة

http://al-maktabeh.com

الغور يملؤنها بشحم الحيوان ويصعون بها قطعة من الطحلب الجاف لتقوم مقام الفتيلة وبذلك ينحون حق المفصل إلى مصباح

ألا يدعو كل ذلك لأن نعتقد بأن هناك بوناً شاسعاً بين الإنسان والقردة التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تضع هذا أو تفكر على هذا النحو

لقد كانت الحافات الجبلية الشديدة الانحدار والوديان الضيقة في إقليم هضبة الدردون ذات فائدةٍ كبيرة لصيادي كرومانيون ، فالمراقب من أعلى حافة الجبل يتمكن من رؤية قطيع من الخيول البرية وهي تجرى فوق سطح الهضبة المستوية على بعدٍ كبيرٍ منه . وبهذا يكون لديه الوقت الكافي يستدعي بعض جيرانه إلى الهضبة وليرسل الآخرين ليتجمعوا في بطن الوادي ، ثم يطارد الرجال الحيوانات من فوق الهضبة في حين يجهز الذين هم في الوادي على الجريحة منها قبل أن تنجو بنفسها

وإذا رأى المراقب قطيعاً من الرنة متجمعا للشرب من النهر في الوادي عند أسفل الحافة فإنه يكون في وسعه أن يدل جيرانه على مكان القطيع .

وبالعمل المشترك يدفعون جميعاً الحيوانات نحو الطرف الضيق من الوادي حيث لا يستطيع حيوان الرنة في ذلك الفخ الطبيعي أن يتفادى الرماح التي يقذفه بها الصيادون .

ومن الواضح أن إنسان كرومانيون كان يعلم كيف يقيم الفخاخ الحقيقية وربما استخدمها لصيد الوحوش الكبيرة ولكن صيده المحبب كان حيوان الرنة ويرجع ذلك إلى أن حيوان الرنة كان موفوراً بأوربا حينذاك لدرجة أنهم يسمون هذا العصر أحياناً بعصر الرنة وثمة سبب آخر هو أن إنسان كرومانيون كان يحل من حيوان الرنة على أشياء كثيرة ومفيدة

فلحم الرنة في الأكل طيبٌ ومغذٍ لدرجةٍ كبيرةٍ وجلودها تصلح ثياباً ناعمة تبعث الدفء وقد تقطع إلى شرائح رفيعة لربط رؤوس الرماح مع عصيها . أما قرون الرنة فيمكن تحتها واستخدامها في عمل كل الأشياء المفيدة الجميلة .

ومن أحسن الأدلة على طرق معيشة إنسان كرومانيون تلك القطع المحفورة من قرون الرنة التي عثر عليها في إقليم الدردون وفي غيره من الأقاليم فالحراب أو قاذفات السهام المزدانة بالرسوم المحفورة توضح أن الإنسان الأول أو سكان الكهوف هؤلاء تفننوا في صناعة أدواتهم وأسلحتهم .

وهناك بعض أشياء معينة نحتها ناس كرومانيون من قرون الرنة وهي تثير الدهشة بدرجة كبيرة إذ لايستطيع إنسانٌ أن يعرف لماذا كانوا ينقشون شكلا ماعلى قطعةٍ معقوفة من قرن الرنة ، ثم يثقبونها بثقبٍ أنيقٍ مستديرٍ على أن بعض الخبراء يظنون أن

http://al-maktabeh.com

كانت الرنة أحب أنواع الصيد عند انسان كرومانيون

سكان الكهوف استخدموا هذه الأدوات أزواجاً لتقديم عصى الرماح ، ويظن آخرون أنهم استخدموا مقومات العصى هذه كما نسميها عادةً لتليين السيور الجلدية ، وهناك خبراء آخرون يظنون أن هذه الأشياء الغريبة ربما كانت تنتظم في سيور رفيعة من الجلد وتوضع حول الرقبة كحلية أو وسام شرف .

وربما كانت قطع القرون المعقوفة هذه وغيرها من الأشياء ذات النقوش التي صنعها سكان كرومانيون كأشكال النساء تدل على أن سكان كرومانيون قد عبدوا آلهة باعتبارها المصدر لكل الحياة ويذهب بعضهم إلى أن أشكال الحيوانات تدل على أن

http://al-maktabeh.com

عهد انسان كرومانيون ــ احياناً ــ إلى زخرفة قاذفات رماحه

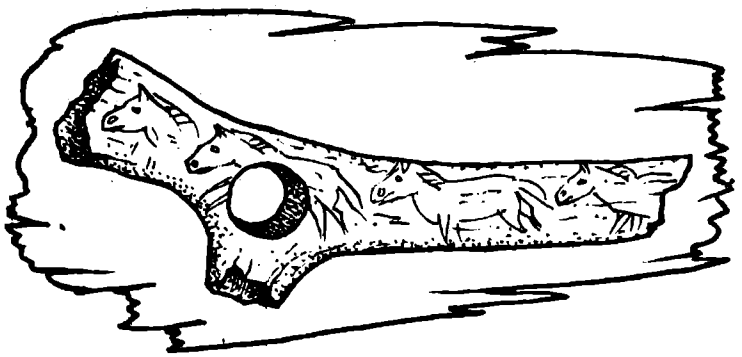

انسان كرومانيون يحفر ثقوباً في عظام الوعل

سكان الكهوف كانوا يحاولون إرضاء هذه الآلهة أملاً في مساعدتهم على أن يكونوا صيادين مهرة ولكن أحداً لا يمكنه أن يؤكد ما تدل عليه حقاً أشكال الأشخاص أو لماذا صنعها سكان كرومانيون معنى هذا أن الإنسان الأول عرف الدين أو التدين وعبد الله وبإمكاننا أن نربط ما ذكره الخبراء وخلق آدم عليه السلام وعبادته لله تعالى .

ويؤكد معظم الخبراء أن سكان كرومانيون كانوا يعتقدون في نوع من السحر وكان هذا السحر جزءاً من ديانتهم ويرجح العلماء أن هذا هو السبب في أن إنسان ما قبل التاريخ كان يرسم صور الحيوانات ويحفرها على جدران وأسقف بعض الكهوف .

ورغم أننا لا نعرف بعد ، بصورة أكيدة سبب تزيين هذه الكهوف بالنقوش فإن من السهل أن نفهم لماذا يذهب الناس إلى أوربا من كل مكانٍ في العالم لمشاهدتها ، إنها عمل فني رائع وحينما اكتشف أول أمثلتها لم يكد يصدق أحدٌ أنها من خلق يد إنسان ما قبل التاريخ ، الإنسان الذي عاش منذ آلاف السنين ولكنها الحقيقة . (١)

(١) فن حوائط الكهوف وكيف مارسه الإنسان ــ أندريا لوراجزن . اليونسكو أكتوبر ١٩٧٣ .

http://al-maktabeh.com

هل مازال معلمك يقص عليك تلك القصة القديمه عن التصور الجنيني للإنسان أعنى تطوره قبل الولادة على أنها نوعٌ من مراجعة تاريخه المتسوني ؟

ألاَ فليعلم أنها طبخةٌ بائتةٌ مرفوضةٌ منذ عهدٍ طويل ولم يعد هناك شخص سليم التفكير يصدق هذه الأمور بعد .

هل قص عليك أستاذك مثلاً ، أن الإنسان قبل أن يولد ، في مرحلةٍ مبكرةٍ معينةٍ تكون له فتحات خيشومية وذيل وخياشيم ؟

ألا فخبره وبكل صراحة ووضوح أن هذه ليست ولا حتى خياشيم وإنما اخادير ضرورية ومهمة ينمو عليها فيما بعد أشكال مختلفة من الأعضاء كما يقول علماء البيولوجيا ويعتقدون في عصرنا الحديث علاوة على ذلك فقد سبق وحدثتك بأن التلاؤم لا يمكن أن يكون أبداً برهاناً على الترقي .
أعتقد الآن أنه من الممكن أن يقول : نعم يالها من طبخة بائتة .

هل لايزال أستاذك يخبرك بأن الإنسان يملك العديد من الأعضاء البدائية والتي لا تؤدي بعد أى وظيفة . أعضاء يفترض بأنها مخلفات الأجداد البعيدة من الحيوانات والتي قدرت على الاستفادة منها ؟

إنه ربما كان له العذر في ذلك ، فهذا ما كان الناس يعتقدون به ذات مرة وحين كانت وظائف الكثير من الأعضاء مثل الزائدة الدودية والغدة التيمية والعصعص لاتزال مجهولة النفع غير معلومة الفائدة ولكننا اليوم نعرف هذه الوظائف أفضل بكثير ونعرف على سبيل المثال طبعاً أن الغدة التيمية هى عضوٌ حيويٌ جداً .

فمن الحقائق المعروفة أن الكائن الحى يكيف نفسه لملاءمة بيئته وقد أجهد كثيرٌ من علماء الحياة أنفسهم في إيجاد فائدة ولو خيالية لكل عضوٍ من أعضاء الكائن الحى لبيان مدى تكيف العضو للبيئة .

ولقد تطلع التطوريون إلى أعضاء في أجسام الكائنات الحيه بدت لهم أنها معطلة ليست ذات فائدة كأطراف الحوتوقرون الوعل الأيرلندي وضروس العقل وعضلات حيوان الأذن وكما أسلفنا سابقاً الزائدة الدودية في الإنسان وكذلك الغدد الصماء واتخذوا من وجود هذه الأعضاء دليلاً ليبرهنوا به على ادعائهم بتسلسل الكائنات عن بعضها موحين أن وجود هذه الأعضاء المعطلة في كائن حى يكون دليلاً على أنه ورثها عن سلف كانت هذه الأعضاء ذات فائدة له .

بهذا المنطق يكون الثدى الضامرة في ذكور الثدييات دليلاً على أنها ورثت عن أسلاف كانت الذكور فيها هى التي ترضع الصغار فهل يعقل هذا ؟

http://al-maktabeh.com

الواقع أن محاولات مثل هؤلاء كانت عزيزي الطالب متطرفة ومفتعلة إلى درجةٍ كبيرة حتى أن بعض العلماء رفضها رفضاً باتاً ، فالكائن الحى الذي يتنقل بين مختلف البيئات فوق سطح الأرض ويتعرض لتغييراتٍ بيئية على مختلف فصول السنة ينبغي أن تكون أجهزته من المرونة بحيث تقابل مختلف التغيرات ، ولذلك نجد أن بعض أعضاء الكائنات الحية تعطل وظائفها أحياناً بل وقد تصبح غير ذات فائدة في البيئة التي تكون قد تغيرت خلال العصور الطويلة عدة مرات فبعض الحيوانات تضعف فيها قوة الإبصار إذا عاشت في المغارات المظلمة ولكنها تسترد صحة أعصاب العينين متى تغيرت هذه البيئة وعاشت في ضوء الشمس .

إن الكائن الحى ينبغي أن يُدْرس من حيث أنه وحدة متكاملة تتكيف في مجموعها لمواجهة ظروف البيئة أما وراثة وظائف معينة فهو خطأ أفليست البيئة الواحدة متشابهة في جميع أجزائها ؟ لو في مدى ملاءمتها لجميع أفراد النوع الواحد . أليس كذلك ؟

هل مازال معلمك بالجامعة حامل لدكتوراه في البيولوجيا يقص عليك بأن العملية كلها لا تخرج عن كونها قضية بضع سنين لا أكثر حتى يتمكن خلالها العلماء من إنتاج الخلية الحية ؟
إنها طبخة بائتة .

نعم ... لم يعد هذا القول بمستساغ على الإطلاق مثل تلك الطبخة تماماً بتمام .
أتدري لماذا ؟
أجيبك بكل أمانةٍ ووضوح :
لقد اعتاد الناس التفكير على هذا النحو حين اعتقدوا يوماً ما بأن الخلايا ليست سوى قطرات ماء تحتوي على مواد معينة بداخلها ، ومع مرور الوقت اكتسبنا بعض المعرفة من التركيب المعقد المدهش للخلية .

لقد حسب علماء الرياضات بأن التريليونات من السنين لن تكفي لأن تجعل في الإمكان التصور بأن شيئاً على هذا التنسيق والروعة كان حصيلة ما هو بالحقيقة الصدفة الخالصة .

وسوف يعتبر صنع الخلية الحية من المواد اللاحية أعظم إعجاز من انحدار الإنسان من تلك الخلية الوحيدة التي يقول بها النشوئيون .

لا تسمح لهم بأن يخدعوك بأساطير عن التجارب والاكتشافات الحديثة والتي هى حالياً خالية لأن النتائج التي أحرزت حتى الآن تشبه شخصاً استطاع أخيراً وبعد جهدٍ جهيدٍ أن يصنع قالباً من الطوب وهو يعتقد الآن أنه بذلك إنما يستطيع بدون أية صعوبات أن يبني قصراً .

http://al-maktabeh.com

ومع ذلك فرض ان مئات من الاجيال توصلوا إلى بناء خلية حية فماذا سيبرهن ذلك ؟

يقول العالم البيولوجي الشاب الدكتور أوانيل :

« بكل تأكيد ليس أن الحياة نشأت من ذاتها بمحض الصدفة الخالصة من المادة اللاحية ، بل بالأحرى أو من بابٍ أولى ستشير إلى أن الحياة يمكن أن تنشأ فقط بواسطة عقلٍ ذي ذكاء عظيم أو عقلية فائقة تصور عظمتها قوة رفيعة خارقة ذلك هو اللهنفسه ، ولا أحد سواه .

أما بالنسبة لِما يخص تلك القضية أو يتعلق بها من ناحية علم الجيولوجيا فإنني أقول لك :

أمر طبيعي أن تبدأ بالشك في حقيقة تلك الطبقات والحفريات ولعلك تتساءل كما تساءلت أنا يوماً ما . كيف يتصور الخلقيون أى الذين يؤمنون بالخلق فقط ظهور الطبقات في الوجود إن لم يكن هناك داعٍ أو يصاحب ذلك الافتراض بأنها نشأت على مدى ملايين السنين ؟

إنـه سـؤالٌ وجيـهٌ .

أجيبك عليه بكل هدوء فأقول : إن النشوئيين قد انحرفوا عن الطريق الصحيح إنني أشعر الآن أنك تحتاج إلى توضيح أكثر وتريد تفسير لذلك ولا شك ، أليس كذلك ؟

دعهم إذن يأتون لنا بإجابةٍ أفضل تكون مبنية على ما ورد في القرآن الكريم وفي ذات الوقت مستساغة ومقبولة علمياً .

القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً كما نعلم وهذا واضحٌ ولكن هذا ليس معناه كما يستنتج البعض بشكل متهور وأحمق أنه لا يعد واقعيا حين نصل إلى أصل الأشياء مثلاً . وكما ذكرت ذلك لك سابقاً بأنه عندما نعرض لمسألةٍ علميةٍ أو قضية كونية ذكرها جملة لا تفصيلاً حتى يوائم مفاهيم كل العصور هذا من ناحية وحتى يعمل الإنسان عقله وفكره فيزداد إيمانه بربه وتعمر الحياة من ناحيةٍ أخرى وعلى ما أعتقد فلقد وضح لنا ذلك الشيخ الشعرواي في كثير من أحاديثه جزاه الله عنا وعن الإسلام كل خير وبناءً على ما سبق فان ما يقوله الله تعالى في كلمته هو صحيح حتى وإن لم يكن موضوعنا في صيغة عصرية تتفق مع أسلوب التعبير في القرن العشرين والقرون القادمة .

ودعني أضرب لك مثلاً .

فعندما قال الحق تبارك وتعالى :

http://al-maktabeh.com

﴿ قال فمن ربُّكما يا موسى قال ربُّنا الذي أعطى كل شيء خلْقه ثُمَّ هدى ﴾ (١)

من النظرة الأولى في الآية الكريمة قد لا يكون التعبير واضحاً من حيث المعنى بالنسبة لنا ويرحم الله أجدادنا الذين فهموا المراد من الآية فهماً دقيقاً وسليماً دون حاجةٍ إلى إيضاح لهم أو فلكٍ لألغاز الكائنات من نباتات وحيوانات .

فمن المعلوم أن الله خلق كل الكائنات من نباتات وحيوانات في أجناسها الخاصة بها وأشكالها المختلفة . فكل كائن لم يخلقه الله في عملية نشوئية استمرت آلاف أو ملايين السنين وإنماخلقه في ذات الوقت في عدة أشكال تقف جنباً إلى جنب مع بعضها ثم هداه إلى وسائل معيشته وتناسله ليعيش ويستطيع البيولوجيون أن يقدروا مدى شمول مفهوم ( خلقه ) على أى حال ففي معظم الظروف هى أوسع من مفهوم النوع التي يشير إليها البيولوجيون .

والكلب مثلاً هو نوع بيولوجي نستطيع ضمن نطاقه التمييز بين سلالاتٍ لاتحصى ولكن يمكن تهجين الكلاب مع نوع « الذئب » وهذه المجموعة لاتمتد أكثر لأنه لايمكن تهجين الكلاب والذئاب مع أنواع أخرى مربية .

وأيضاً على مدار ما سبق يمكننا فهم قوله تعالى :

﴿ سبح اسمَ ربِّكَ الأعلى الذي خلَقَ فسوَّى والذي قَدَّر فَهَدَى ﴾ (٢)

أى خلق كل كائن فسواه على ما يناسب حياته ومعيشته لأن لفظ خلق هنا لفظٌ أطلق على العموم فالإنسان قد سواه الحق تبارك وتعالى في أحسن صورة وأكمل هيئة لما سوفَ يناط به من مهام وما يُطْلب منه من عمارة الكون واستخلاف ، الله في الأرض ثم لكل واحد من كل نوع أو جنس رزقه وعمره وشقاؤه أو سعادته ثم هداه ويسر له طريقه أو سبيله في الحياة .

إننا نستطيع أن نقول بوضوح أكثر إن الله تعالى خلق عدداً ضخماً من الأشكال التي يمكن أن تميزالواحد عن الآخر بوضوح لأنها تظهر فروقاً خارجية كبيرة ولا يمكن تهجين الواحد منها على الآخر . وهذا بالضبط ماأثبته علم الأحياء ، إذ أن الكائنات قد تتنوع إلى ما لا نهاية ضمن نطاق النوع أو الشكل هكذا ولربما يستطيع هذ ذوى المشاتل الزراعية أو مربوا الماشية مد يد المساعدة من خلال التهجين الموجه ولكنهم لا يستطيعون تعدي النطاق الذي فرضه الله على هذه المجموعات .

إننى لأنصحك عزيزي الطالب أن ترجع إلى كتابٍ هامٍ في هذا الموضوع وهو

---

(١) طه (٤٩ ــ ٥٠)

(٢) الأعلى (١ ، ٢ ، ٣)

http://al-maktabeh.com

كتاب « سوبر مان العملية » للعالم البيولوجي « أوانيل » فستجد الكثير عن النشوء وخصوصاً عن النشوء المزعوم للإنسان ولكننا نود أن نهتم بالإجابة على سؤالٍ هامٍ بماذا يجب أن نؤمن ؟

**ثالثـاً : بماذا يجب أن نؤمن ؟**

نعم ... إن هذا السؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن فلابد أن نخلص إلى حقيقةٍ هامةٍ أو نتيجة موضوعية لبحثنا ذاك .

بماذا يجب أن تؤمن يا من تبحث عن الحقيقة وتنشد المعرفة أتؤمن بالخلق أم بالنشوء ؟ هل تؤمن بآراء داروين ونظريته المزعومة والتي ينقصها الكثير من الأدلة أم ترضخ للواقع العملي وتذعن للحق الذي يتعانق مع تعاليم القرآن وقرائن العلم الحديث والمنهجية العلمية العصرية والمتجددة دوماً .

أما وإنه كما ترى لا خيار أمامنا سوى الإيمان بأن الله خلق كل الأشياء . أريد أن ألفت إنتباهك وأوجه نظرك إلى ثلاث حقائق هامة من القرآن الكريم . الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ خبيرٍ ، وهذه الحقائق سوف تساعدك ولو قليلاً في فهم الطبيعة كما نراها من حولنا :

أولاً : لقد ذكرت فيما سبق بأن القرآن الكريم يعلمنا أن الله تعالى قد خلق عدداً من الأشكال المتميزة من النبات والحيوان وأن الروابط الموجودة بين هذه الأشكال يمكن أن تلاحظ في كل مكان في الطبيعة .

لقوله تعالى :ـــ

**﴿ والله خلَقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجْلين ومنهم من يمشي على أربعٍ يخلق الله ما يشاء . إن الله على كل شيء قدير ﴾** (١)

وتحدث أيضاً عن الأنعام وبين وجه الإعجاز فيما تخرجه لنا من لبن سائغ شرابه وكذلك النحل مع الاختلاف ونوع الطعام لكل صنف وإخراجه لينتفع به الناس عامة .

فقوله تعالى :ـــ

**﴿ وإنَّ لكم في الأنعام لعبرةً ، نُسقيكم مما في بطونه من بين فَرْثٍ وَدَمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذُون منه سَكَراً ورِزْقاً حَسَناً ، إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعقلون ﴾** (٢)

(١) النور ٤٥

(٢) النحل (٦٦ . ٦٧)



http://al-maktabeh.com

وقوله تعالى ــ

﴿ يخْرُج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانه فيه شفاءٌ للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكَّرون ﴾ (٣)

وقوله تعالى ــ

﴿ أو لم يروا إلى الأرضِ كم أنبتنا فيها من كل زوجٍ كريم ﴾ (٤)

﴿ يُنبِتُ لكم به الزرعَ والزيتون والنخيلَ والأعنابَ ومن كل الثمراتِ إن في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكَّرون ﴾ (٥)

﴿ وهو الذي أنْزَلَ من السماءِ ماءً فأخرجنا به نباتَ كل شيءٍ فأخرجنا منه خضِرَاً نُخرِجُ منه حبّاً متراكباً ومن النخل من طَلْعِها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعنابٍ والزيتون والرمانَ مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثَمَره إذا أثمر ويَنْعه إنَّ في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴾ (٦)

﴿ وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتىّ ﴾ (٧)

ثانيـاً : الحقيقة الكبرى الثانية نجدها في الآيات القرآنية التي تحدثت عن هبوط الإنسان إلى الأرض فأنت تعلم يقيناً أن آدم وحواء أول زوجين بشريين كانا غير طائعين لله وكان أن نسى آدم العهد الذي أخذه الله تعالى عليه وأغواه الشيطان فسقط الإثنان في الخطيئة .

وقوله تعالى :ــ

﴿ ولقد عَهِدْنا إلى آدَم من قَبْلُ فَنَسِىَ ولم نجدْ له عَزْماً ﴾ (١)

وقوله تعالى :ــ

﴿ وقُلْنا يا آدمُ اسكُنْ أنت وزوجُكَ الجنةَ وكُلا منها رَغَداً حيثُ شِئْتما ولا تقْرَبَا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين فأزلَّهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضُكُم لبعضٍ عدوّ ، ولكم في الأرض مستقر ومتاعٌ إلى حين ، فتلقَّى آدمُ من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التوابُ الرحيم ﴾ (٢)

ويا للخسارة

أقول ذلك وإن كان قد تم بقدر الله وهذا عزاؤنا الوحيد لأننا لا يمكننا سوى أن نخضع

---

(٣) النحل (٦٩)
(٤) الشعراء (٧)
(٥) النحل (١١)
(٦) الأنعام (٩٩)
(٧) طه (٥٣)
(١) طه (١١٥)
(٢) البقرة (٣٥ ــ ٣٧)



http://al-maktabeh.com

لمشيئته وندعن لإرادته

يا للخسارة !
لأن نتائج ذلك السقوط كانت مروعة ليس فقط لأنفسهما بل وللخليقة بأكملها ، فقد ظهر الهدم والانحلال في كل مكان وعلت أصواتٌ هنا وهناك تحاول حشر نظريات بين سطور العلم حشراً . وما هي بعلم .

تأمل لحظة عزيزي القارىء إنك تستطيع أن تشاهد ذلك في كل مكان حولك الكون كله يشبه ساعة منبه عملاقة عبثت وتفرغ ببطء .

نعم ... الإنسان أو الحيوان ، إذالم يمت في حادثٍ يموت موتاً طبيعياً محتماً وتتحلل جثته . كواكب السماء بما فيها شمسنا تحترق بثباتٍ وببطءٍ مثل الشموع . كل شيىء في النهاية إلى زوال .. أليس كذلك ؟
وهذا ما يجعلنا لابد وأن نفكر وبعمق فيما يقولونه وكما لقنوه لنا سابقاً :
إن المادة لا تفنى ولا تخلق من عدم .
ولكن كيف . نعم .. كيف وكل شيىء من حولنا يفنى ويضيع هباء .
إن أحد قوانين الفيزياءالأساسية يصف هذا الوضع أى تلك الساعة العملاقة والكون على النحو التالي :ـــ
في كل مكان في الطبيعة نلاحظ ميل « النظام » إلى التحول التدريجي نحو « الفوضى » يقصد أن تبلى . الإنسان بعمله والله بقدرته يستطيع أن يحدث نظاماً ما في ظرفٍ خاص ، ولكن حين نترك الأمور وشأنها فإنها تذبل ثم تضعف ثم تفسد ثم تبتلى ، وكلنا قد سمع عن تحطيم الذرة التي يعتقد أنها ادق المكونات من المادة .

وكل من يدرس الطبيعة يكتشف صدق هذا القانون ولعله يوضح المثل الذي معنا استصحابنا لكلام ربنا عز وجل وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول :ـــ
**﴿ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السموات والأرضَ أنْ تزولا ، وَلإنْ زالتا إنْ أمسكهما من احد من بعده إنه كان حليماً غفوراً ﴾** (١).

ولكن ماذا يقول النشوئيون ؟
إنهم يدعون أن النشوء ظهر خلال البلايين من السنين بطريق الصدفة وعنه نتج دائماً ازدياد حالة النظام وأن اشكالاً أكثر تعقيداً وأرق من سابقاتها ظهرت خلال حالة من الفوضى . لكن علميا :
هـذا مجـــرد هـــراء .

نعم .. فتكونها غير ممكن ولا يوجد عالم أحياء واحد لا يخفي ارتباكه أمام هذه

(١) فاطر (٤١)


http://al-maktabeh.com

المشكلة التى لا تحل هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن القرآن قد أنبأنا نبأ صدق وأخبرنا خبر يقين أن الله خلق العالم على أفضل وأكمل وجه فقال تعالى :ـــ

﴿ قُلْ أَئِنكُم لتكفرون بالذي خَلَقَ الأَرضَ في يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك ربُّ العالمين وجعل فيها رواسي من فَوْقِها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيَّامٍ سواءً للسائلين ﴾ (١)

ولكن بعد سقوط الإنسان من عالم الخلود إلى الأرض دخل العالم تحت حكم الموت والفناء والانحلال والهدم ـــ ألا ترى ذلك ؟

إذاً ، فليس النشوء أو ( التطوير ) هو القائم بل الانحطاط أو ( التأخر ) .

## الأمـر الثالث :

وتلك قضيةٌ ثالثة على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية فلقد قرأنا :ـــ

﴿ فقضاهن سبع سماواتٍ في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرَهَا ، وزيَّنَّا السماءَ الدنيا بمصابيح وحِفظاً ، ذلك تقديرُ العزيزِ العليم ﴾ (٢)

قرأنا في القرآن الكريم عن طوفان نوح الذي قضى ذات مرة على الجنس البشرى بل وعلى الأرض كلها إنه على ما أرى لم يكن مجرد طوفان جديد وعادى ويشاركني في الرأى د . أوانيل وإن كانت دراسته نابعةً من واقع الكتاب المقدس وتجاربه المعملية وكل له دليله النقلي أو الفعلي .

فهذا الطوفان وغيره من الأحداث الجسام التي تحدث عنها القرآن لابد وأن ينتج عنها نتائج رهيبة ويجب أن توضع في الحسبان طالما وإننا نتحدث بموضوعية ونريد أن نناقش الأمر بأمانة تامة مثل وجود أجسام نيزكية من فضاء خارجي ربما كان أصلها من عذاب الله لقوم معينين مثلاً وموت قرى ظالمة بأكملها ورفع الجبل من مكانه فوق بني إسرائيل لأخافتهم .

يقول تعالى :ـــ

﴿ وأخذَتِ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهِمْ جاثمين ﴾ (٤)

ويقول تعالى :ـــ

﴿ وأمطرْنا عليهم مطراً فساءَ مطرُ المنذَرين ﴾ (٥)

---

(٢) فصلت (٩ ـــ ١٠)
(٣) فصلت (١٢)
(٤) هود (٩٤)
(٥) الشعراء (١٧٣)

http://al-maktabeh.com

ويقول أيضاً :ـــ

﴿ وأمْطَرْنا عليهم حجارةً من سِجِّيل ﴾ (١)

ويقول تعالى :ـــ

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فيهم سَنَةٍ خمسين عاماً فَأَخَذَهُم الطوفانُ وهم ظالمون ، فأنجيناه وأصحابَ السفينةِ وجعلناها آية للعالَمين ﴾ (٢)

كل هذه الحوادث يجب علينا عندما يرد ذكرها على خاطرنا ألاَّ نمر عليها مرور الكرام أو نحاول أن نغض الطرف عنها فلابد وأنها جميعاً قد أثرت بشكلٍ واضح على وجه الأرض وعلى كل ما فيها من كائنات ولكنها للأسف كانت مجالاً خصباً لخيال داروين وأتباعه فلم يفهموا الأمر منهما فهماً صحيحاً .

فعلى سبيل المثال لابد وأن القشرة الأرضية تشققت ونتيجة لذلك فإن سطح الأرض بكامله قد تحرك بعنفٍ وحدثت الكثير من التشوهات والانزلاقات الصخرية والعديد من الفوالق والطيات العظيمة .. الخ .

فإذا كنت تصدق الله في كلامه وفهمت ما فهمته أنا من أنه تعالى قد أمر الأرض بتلك الدرجة الواسعة فحاول أو جرب أن تسأل الجيولوجيين عن نتائج طوفانٍ مثل هذا . طوفانٍ يغرق كل من في الأرض إلا نوحاً وأصحاب السفينة .

إن علماء خلقيين في الجيولوجيا والفيزياء كتبوا الكثير في هذا الموضوع وشددوا على أن مثل هذا الطوفان الذي جعل سطح الأرض يخض أو يهتز بعنفٍ لابد وأن رافقه أيضاً أمواج ضخمة مع تكوين الأنهار الجليدية في مثل هذا الطوفان ، لابد وأن تختلط المواد المخضة أو التي رجت فيه والتي ترسب ببطء مع بقايا الكائنات الميتة وخصوصاً البسيطة منها والتي تمتلك قليلاً من القدرة على الصمود في وجه التيار .
يا للبساطة التي حللنا بها تلك القضايا .

مع أن الكثيرين حاولوا أن يعقدوا الأمور كثيراً ويلبسونها أثواباً عديدة من الصعوبة والتعقيد لماذا ؟
لا تدري وإن كنت تدري فأرجو أن تخبرني .

الآن نحن ندرك السبب في أن ما يسمى بأقدم الطبقات المحتوية على حفريات والتي هي مليئة بالحفريات الممثلة تقريباً لكل فصائل المملكة الحيوانية قد توجد مباشرة فوق طبقة سفلية مجردة كليا عن الحفريات .

---

(١) الحِجْر (٧٤)
(٢) العنكبوت (١٤ ــ ١٥)



http://al-maktabeh.com

نعم .. الآن نستطيع أن ندرك أيضاً لماذا نلتقي عمداً بالحيوانات العليا والتي تتقن السباحة في الطبقات العليا وحيوانات اليابسة في الطبقات العليا النهائية . الشواذ عن هذه القاعدة ويشملها الطبقات المعكوسة ظاهرياً التي تحدثنا عنها قبلاً هى أسهل بكثيرٍ للفهم الآن من ازدراد النشوء وقبوله على مضض فيما لو كان قد حدث فعلاً .

الآن بعد أن اطلعنا على أمر الطوفان نستطيع أن ندرك بسهولة السبب في تلك الكثرة الكثيرة من الحفريات . ففي الأحوال العادية لا تتكون تلك المتحجرات أو تتواجد هذه الحفريات إطلاقاً ، بينما تنشأ على نحوٍ استثنائي وبسهولة في المياه الجارية إذ تتغطى سريعاً بطبقةٍ من المواد الصلبة . وهذا عين ما نتوقعه من طوفانٍ غامر .

ولعلنا بعد الآن نستطيع أن ندرك أيضاً السبب في اكتشاف قبور جماعية هائلة تحتوى على مئات الآلاف من الحيوانات والنباتات المتحجرة متكدسة فوق بعضها في مناطق متعددة من العالم . إن هذه الحيوانات هربت خائفة من الموت أمام المياه المتعالية التي مالبثت أن غمرتها .

وربما استطعنا أن نفهم على نحو مباشر سبب وجود أعداد هائلة من الماموث في ثلوج سيبريا لقد تغطوا فجأة بالمياه المتجمدة حتى أن الأكل لايزال في أفواه بعضهم . مما يعطي دلالة أو يترك انطباعاً لدى الجميع ان كان لعنصر المفاجأة دور عظيم كطوفانٍ مثلاً ، ثم إن لحومهم لم يعبث بها العفن .

مبدئياً يتشابه النشوئيون والخلقيون في تفكيرهم عن الطبقات . الأولون يعتقدون بأن العملية احتاجت إلى ملايين السنين بينما يؤمن الأخيرون بأن معظم الطبقات تكونت في سنوات قليلة أى أن الطبقات تراكمت سريعاً الواحدة فوق الأخرى نتيجة لحركات المد والجزر الهائلة والأحداث الكبرى كطوفانٍ مثلاً ولكنها احتاجت بعد ذلك لعدد من السنين قبل أن تتحجر .

من المهم جداً أن نطلع على التأكيدات المتكررة لعلماء الجيولوجيا والأنثروبولوجيا الخلقيين إذ يؤكدون المرة تلو الأخرى أنه عند تكدس الطبقات فوق بعضها ، فالجائز أن لا تكون الطبقات السفلى قد تحجرت بعد ، أما بموجب الفكر النشوئي فإنه إذا كانت ثمة طبقة حديثة تحتاج إلى ملايين السنين حتى تتكون فوق الأخرى قائمة ، فمن الطبيعي أن تكون الطبقة السابقة قد تحجرت قبل الحديثة بكثير ، بينما يؤكد الخلقيون مثلاً أن الكشف عن جذوع أشجار متحجرة مخترقة عدداً من الطبقات يبرهن بكل جلاء أن هذه الطبقات كانت قد تكونت في أمد قصير الواحدة تلو الأخرى عندما لم يكن أى منهما قد تحجر بعد .

http://al-maktabeh.com

مثالٌ آخر نود أن نسوقه وهو الكانيون العظيم المشهور في الولايات المتحدة الذي يبين وضع الطبقات الواحدة فوق الأخرى لأن نهر « كولورادو » المعرج حفر الأخاديد فيها . وفي كل مكان هناك تجد يافطات تقص على السائح كم من الملايين من السنين احتاج تكون كل طبقة على انفراد .
ألاَ أن ذلك غير ممكن في الواقع .. أتدري لماذا ؟

لأن مجرد إلقاء نظرة إلى ما صنعه النهر ، يوضح لك أنه قد حفر أخاديد عميقة بحسب تعرجه راسماً بعض المنعطفات وهذا أدى إلى تآكل ضفتيه على الجانبين . على ضوء علم الفيزياء يستطيع النهر أن يحدث كلا الشيئين في آن واحد إذا كانت الطبقات طرية فقط . وأثناء الطوفان تراكمت الطبقات الطرية فوق بعضها بسرعة . وبعد فترة وجيزة حفر النهر مجراه فيها ، أما تلك الطبقات فقد تحجرت تدريجياً في وقتٍ متأخر فقط .

لا تدعهم يخدعوك بقولهم أن ملايين السنين لزمت لتكون المعادن كالفحم الحجري والنفط مثلاً مع أنها القضية الأساسية في كثير من المرات . هل تعلم أنه في المعامل الآن قد أصبح في المستطاع تكوينها اصطناعياً ونعرف اليوم أن تكوين المعادن في أيام قليلة بل حتى خلال ساعات بينما تقول الافتراضات القديمة إنها احتاجت إلى ملايين السنين للتكون .

وأرجو ألاَّ تعتقد أن هذا مجرد رأيي لي ولكني لا أملك إلا أن أدعوك لأن ترجع إلى العديد من المقالات العلمية التي كتبت في هذا الصدد ولا أجد حرجاً لو امتنعت عن تقديم مثل هذه القائمة من الكتب والمجلات لأن أغلبية كتب التدريس والمعلمين أيضاً يكتفون بعددٍ صغيرٍ من البراهين على النشوء يقل بكثير عما قدمت هنا من براهين مضادة ومع ذلك ففي نهاية هذا الكتاب سأقدم قائمة أعتبرها قصيرة من الكتب التي تستطيع أن تفيدك أكثر .

إنه بعد مرور مائة سنة أو يزيد على وفاة داروين فإن نظريته كما نرى عزيزي القارىء لاتزال عرضةً للهجوم والنقد ومحاولات التعديل من جهة والتسفيه من جهةٍ أخرى مما يدفع إلى التساؤل عما إذا كانت كل هذه الاكتشافات والحقائق هي مؤشر على قرب نهاية نظرية التطور وموتها بالتالي موت داروين نفسه بعد أن شغل أذهان العلماء أكثر من قرن كامل .

قد يرى البعض أن هناك صعوبة مبعثها بعض الشك في الإجابة على هذا التساؤل .
ولكن على ما أرى فإن البحوث البيولوجية والاكتشافات الأنثروبولوجية قد حددت لنا

http://al-maktabeh.com

مصير هذه النظرية وقررت المكانة الحقيقية التي يجب أن يحتلها داروين في تاريخ العلم .

ولكن ما هو واجب علمائنا وما هو دورهم الذي من الممكن أن يقوموا به ويضطلعوا بأعبائه ؟

http://al-maktabeh.com

http://al-maktabeh.com

# الباب السابع
## خاتمـــة

**أولاً** : ماذا يضر حينُ نبث أفكار داروين ومؤيديه في عقول أبنائنا ؟

**ثانـاً** : علماؤنـا إلى أيـــن ؟

http://al-maktabeh.com

## خاتمـــة

إن مسئولية العلماء المسلمين في كل أرجاء المعمورة أن يعملوا بإخلاص على توجيه النشيء المسلم توجيهاً سليماً ، وتربيته تربيةً صحيحةً وذلك بأن يقوموا برفع التناقض في البرامج الدراسية بين ما يتصل بالعقيدة الإسلاميةوبين هذه النظريات الوافدة وتحول دون أن يتمزق شبابنا بين عقيدة الدين الثابت وفرضيات العلم المتغيرة .

وإن هذا الأمر لا يكون قاصراً فقط على نظرية داروين وخاصةً بعد أن سقطت وانكشف زيفها ووضح فسادها ، إنما ينسحب ذلك على كل النظريات العلمية الأخرى لفرويد ودور كايم اليهودي وجان بول سارتر إلى آخرهم .

نعم .. ضرورة تأسيس علوم إسلامية في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ من وجهة نظر إسلامية ذلك أن العلوم الإنسانية تلعب فيها الخلفية الفكرية والأيديولوجية دوراً بارزاً ثم إنها ليست علوماً محايدة كالعلوم الطبيعية التي لا تختلف قوانينها من بلدٍ إلى آخر ولكنها ــ أى العلوم الإنسانية تختلف حسب تفكير كل جماعة وفكر كل مجتمع حيثما يرى أن ذلك الأمر أو تلك النظرية صالحة أم لا ، فيخضع كل ذلك لهوى الإنسان وعقليته القاصرة .

كما يجب التنبيه إلى أن بعض دوائر التنصير والماركسية ، تحاول إحياء نظرية داروين وبعثها من جديد وإعادة الاعتبار لها ، لتستخدمها كسلاح للغزو الفكري والتشكيك في قيم الإسلام وعقيدته النقية .

ولكننا يجب أن نوضح لأبنائنا في المدارس والجامعات الصورة كاملة فنعرض عليهم آراء داروين ولا مارك وغيرهم ثم نطرح لهم التصور الإسلامي كحل بديل لمهاترات السابقين وافتراءاتهم الكاذبة وذلك عن طريق شرح آيات القرآن الكريم لتكذبهم وتكشف زيفهم :ــ

فمثلاً يقول الله عز وجل :ــ

**﴿ إذ قال ربُّكَ للملائكِة إنّى خالقٌ بَشَراً من طين ، فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين ﴾** (١)

ويقول جل شأنه :ــ

**﴿ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ وصَوَّركم فأحسن صُوَرَكُم وإليه المصير ﴾** (٢)

---

(١) ص (٧٢)

(٢) التغابن (٣)



http://al-maktabeh.com

فالآيات تعلنها صراحة دون مواربة أو لبس أن الله تعالى خلق آدم أبا البشر من ترابٍ ثم مزجه بالماء ثم صوره على تلك الهيئة التي نراها في أنفسنا الآن ثم خلق من نفس آدم حواء ليستأنس بها ويسكن إليها وحتى يشعر كل واحد منهما بحنينٍ نحو الآخر واشتياقٍ وتعمر الأرض وتمتد الحياة .

**﴿ الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلَقَ منها زَوْجَهَا وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴾** (١)

ومما يجب التنويه عنه والإشارة إليه أن الله عز وجل لم يكتفِ بإخبارنا لأنه خلق الإنسان من تراب بل وصف لنا خطوات اكتمال خلق بصورة تفصيلية ودقيقة حسب تسلسلها الزمني فقال عز وجل :

**﴿ ولقد خلَقْنا الإنسانَ من سلالةٍ من طين ، ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين ، ثم خلقنا النطفةَ عَلَقَةً فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناه خلْقاً آخر ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين ﴾** (٢)

نعم ربما كان ذلك لسابق علم الله الأزلي إن إنسان القرن الثامن عشر سيحلوله يوماً أن يغرق بفكره إلى الحضيض في مستنقع يعيش فيه القرود حيث تكفن كرامته وتدفن في قبور من الأوهام ويتخبط عقله في دياجير الظلام .

وهل هناك من شكٍ في قدرة الله تعالى على الخلق المباشر ؟

إنه الله عز وجل .. يخلق ما يشاء ووقتما يريد « بالكاف والنون » وكيف لنا أن نتصور أنه قد أمر ملائكته بالسجود لكائنٍ ما في صورة أدنى من هذا الإنسان ؟

ذلك الذي كرمه ورفع له طعامه وعدده وحمله الأمانة وخوله الخلافة ، وأعطاه عقلاً ومنحه من أجل ذلك حرية الأختيار .

## أولاً : ماذا يضر حين نبث أفكار داروين ومؤيديه في عقول أبنائنا ؟

لقد جاء بعض العلماء من كل صوبٍ وحدبٍ من هذا الغرب بصوت واحد أو يكاد كل منهم ميرح بدلوه . كما قرأنا سابقاً فيكسب من فيه ببعض ما فيه من مكرٍ وفكرٍ وعلى الرغم من أنهم في الرأى مختلفون ــ إلا أنهم جميعاً في هدفهم متفون على أن الإنسان لم يكن إنساناً وإن اختلفت نغمات أصواتهم .

فواجبٌ علينا نحن الآن ألا نمكث معهم كثيراً في هذا القاع أو المستنقع الفكري لأن أقوالهم وياللأسف قد أصبحت كبعض الحقائق في المدارس تدرس كأنها الأحياء

---

(١) النساء (١)

(٢) المؤمنون (١٢ ــ ١٤)

http://al-maktabeh.com

تحت الشمس بين الناس تتنفس .

بل يجب أن نأخذ بأيدي أبنائنا فلا نتركهم حيارى تائهين بين ما يؤمنون به وبين ما يدرسون فلا نطلب منهم أن يتجرعوا علوماً تتعارض صراحة مع نصوص هذا القرآن الكريم دون أن نبين لهم الحجة مقروعة بالحجة كى لا تتعلق عقولهم بها وهى واهية أوهى من بيت العنكبوت ، أو تتأرجح سفنهم بين أكف الهوى وتلك الأمواج العالية فتتقطع بسببها بعض حبائل إيمانهم .

يجب أن نوضح لهم ونرسخ في أذهانهم أن ما تمخضت به عقول أصحاب هذه النظريات ما هو إلا خرافات أو انحرافات فكرية قد انطبعت أو أطياف خيال قد سرت له خواطر قائليها فاختمرت ثم فاحت رائحتها وانتشرت .

ليس العيب إطلاقاً أن نعلمها أبناءنا أو يسمعوها لأننا لا نخشى أن يعلموا بها ولكن العيب الكبير والخطأ الفاحش أن نفرض عليهم ويطالبوا بحفظها ولا يتأتى ذلك إلا إذا أوضحنا أباطيلها في الوقت نفسه الذي تدرس فيه حتى لا تعطى الفرصة للشيطان كي يوسوس ويعربد فيلبس عليهم تفكيرهم وتخلط أذهانهم بين ما هو حقّ وما هو باطلٌ وزيفٌ .

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفَاءً وَأَمَّا ما ينفعُ الناسَ فيمكُثُ في الأرضِ ﴾ [1]

حقا إن مسئوليتنا تجاه الأجيال القادمة النشيء الجديد لعظيمة وخطيرة ...
حقا إنها لنظريات قد حشرت بين سطور العلم .. وما هى بعلم إنها همسات شياطين قد زُجَّ بها في رؤوس مرددها زجاً فنشروها بعد أن عفروها ببريق الكلام ثم زينوها بسحر البيان وياليتهم قالوا لمن تعلموها إنها لا تستند إلى حجج ملموسة أو براهين مدروسة سوى تلك الحلقة المفقودة .

ولعل خلاصة ما قيل فيها من حق هو ما ورد على لسان واحد ممن كانوا يسبحون بحمدها وأحد أقطابها الذين هللوا لها ولوحوا بأعلامها ، إنه العالم المادي سير آرثر كيث الذي قال :ـــ
« إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً ، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ، ونحن نؤمن بها لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه »

إن هذا الكلام لفي غاية الخطورة من الناحة العلمية أو في مفهوم البحث العلمي ، لأن معنى ذلك تلك النظرية ليست من العلم في شيء وأنه ليس هناك سوى العناد والمكابرة .. فقط .

---

(١) الرعد (١٧)

http://al-maktabeh.com

وكأنه ليس بينه وبين الأمانة العلمية سبيل فإن الأمانة العلمية تفرض على الباحث أو العالم في أى بلد كان وفي أى فرع من فروع العلم المختلفة أن يكون صادقاً مع نفسه وأميناً في تعامله في المواد المتباينة في معمله فلا يعيب أى عالم أن يعلن عن عدم تمكنه من التوصل إلى حقيقةٍ معينة وعجزه عن إدراكها أو معرفة كنهها بل يكفيه فخراً أنه حاول ولم ييأس وعاود الكرة المرة تلو الأخرى فإن ذلك يزيده فخراً على فخر ولن يصغر في عين أحد بل على العكس من ذلك تماماً فسوف يكبر أهل العلم فيه ذلك وسيحترمون فيه نزاهته العلمية وشجاعته الأدبية وسيحفزونه على السير قدماً في أبحاثه والمضى في تحصيل العلم ولابد من أن يوفق يوماً ما في التوصل إلى نتيجةٍ مشرفةٍ لكده وتعبه وسهره .. المهم أن يظل ضميره العلمي حياً ، يقظاً ، فلا يكابر ولا يعاند فإن طريق العلم والتعلم والبحث والمثابرة لا يعرف مثل تلك الصفات المذمومة .

يجب على أبنائنا أن يعوا أقوال علماء الغرب أنفسهم الذين أجهدوا أنفسهم في البحث والدراسة ولم يتعجلوا النتائج أو يفرحوا بظاهر من القول .

إن مولد هذه النظريات كان في الغرب بعد أن حملت بها بطون عقول بعض علمائه حقبة طويلة من الزمان بل وإلى الآن ، لكننا نستطيع أن نطوف معا أرجاء العالم الغربي نفسه فنقرأ بعضاً من آراء لعلماء آخرين باعتبارها معاول هدم حطمت أساس تلك الخزعبلات ....

تلك الخزعبلات ، قال فرخو : [1]

« إنه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً ، فلا يمكن أن نحكم بأن الإنسان سلالة قرد أو غيره من البهائم ولا يحسن أن نتفوه بذلك »

وقال فون يسكوف :

« إن الفرق بين البشر والقرود أصله بعيد جداً »

وقال ميفرت :

« إن مذهب داروين لا يمكن تأييده وإنه رأى من آراء الصبيان »

وقال دالاس :

« إن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يُصَدَّق على الإنسان ولابد من القول بخلقه رأساً »

والغريب أن دالاس هذا صديقٌ لداروين وباحثٌ معه في نفس المجال ...

كل هذا حدا بأحد العلماء للقول عنها :ـــ

« إن أباها الكفر وأمها القذارة »

---

(١) مجلة الأمة القطرية العدد ٤٨ سبتمبر ١٩٨٤ .



http://al-maktabeh.com

فكيف لنا بعد ذلك أن نسمح لأنفسنا مختارين غير مجبورين أن نتبع من اتبع هواه فضل وأضل ثم أرداه جموده وضلاله فلم يؤمن بالله العظيم ، كذلك مالنا قد مضينا نحوها فضمناها وتبيناها بعد أن أنكر بنوتها وشرعيتها أخوالها وعشيرتها قبل أن نهيم بها .

نعم ... إن تدريس تلك النظرية أصبح يلقى الكثير من المقاومة في عددٍ غير قليل من البلاد الأوروبية لأسباب دينية بعد أن سقطت علميا تتعلق بتعارفها مع قصة الخلق ، وإنني لأتسائل :ـــ
ألم نكن نحن أولى بذلك منهم ولا نكون أمعة .

الطريف في الأمر أن عدداً من الولايات الأمريكية رفض تدريس نظرية التطور في المدارس الثانوية إلا إذا درست إلى جانبها قصة خلق العالم كما وردت بالكتاب المقدس .

نعم .. إن فكرة الخلق تكسب الآن مزيداً من الأنصار والمؤيدين في أمريكا حتى بين صفوف العلماء وقد بدأت الحركة في أمريكا عام ١٩٢٥ حين طالبت بعض العائلات المحافظة والمتدينة في ولاية يتسنى بضرورة منع تدريس نظرية التطور في المدارس لأنها تفسد عقول النشيء وتتعارض مع مفاهيم الكتاب المقدس ودفعت الأمر للقضاء الذي حكم بعدم جواز الاكتفاء بتدريس نظريةٍ واحدةٍ من أصل الكون ونشأت الكائنات .

ولكن أنصار فكرة الخلق لم يقنعوا بذلك ، وإنما أخذوا ينظمون صفوفهم ويعملون على إضفاء الطابع العلمي على القضية الدينية بل وأنشأوا عدداً من مراكز البحث والكليات والمعاهد العليا التي تقوم بإجراء دراسات وبحوث في مجالات البيولوجيا والأنثروبولوجيا الفيزيقية والحفريات لكي تستخلص منها شواهد يعتمدون عليها في التدليل على صدق ما جاء في الكتاب المقدس وظهر بذلك عِلْمٌ جديد هو علم الخلق ثم أثيرت المشكلة أمام القضاء مرة أخرى عام ١٩٨١ وأمد لي سبعةٌ من كبار العلماء كان أحدهم عالم رياضيات مشهوراً بشهادتهم وحاولوا تقديم البراهين والحجج العلمية على بطلان نظرية التطور وصدق نظرية الخلق .

وقد يكون هؤلاء العلماء أخفقوا في إقناع القضاة بصدق دعاواهم بحيث أصدروا حكمهم بأنه ليس ثمة ما يمنع من تدريس قصة الخلق في المدارس كجزءٍ من التربية الدينية أو ضمن مقررات التاريخ أو العلوم الاجتماعية دون اعتبارها نظرية علمية نظراً لصعوبة البرهنة عليها في أساليب مناهج موضوعية تعتمد على الإحصائيات وعلى القياس كما هو الشأن في العلوم الحديثة ( هذا من وجهة نظر المحكمة ) ولكن هذا لا يعني انحسار الموجه فكل الظواهر تدل على العكس من ذلك تماماً .



http://al-maktabeh.com

نعم ... إن التغيرات التي حدثت في الكتب المدرسية خير دليل على ذلك . فكتاب البيولوجيا المقرر على المدارس الثانوية في بعض الولايات الأمريكية كان يعرض لحياة داروين في ١٣٧٣ كلمة ولكنه في آخر الطبعات عرض الموضوع ذاته في خمس وأربعي كلمة فقط وانخفض عدد الكلمات التي تناول بها موضوع أصل الحياة من ٢٠٢٣ كلمة إلى ٣٢٩ كلمة إلى ٢٩٦ كلمة فقط . بينما حذفت تماماً الأجزاء الخاصة بتكوين الحفريات والأزمنة أو الحقب الجيولوجية وهذا يصدق على كثير من الكتب المدرسية التي تمس موضوع التطور بشكل أو بآخر .

أما نحن فمازلنا نعرض نظريات داروين لأبنائنا في كتب العلوم وخاصةً كتاب الأحياء والجيولوجيا بالتعليم الثانوي على أنها قضايا مسلَّمٌ بها ، أو حقائق علمية ثابتة .
لمصلحة مَنْ يتم وعلى حساب من ؟
نعم على حساب عقول أبنائنا وفي سبيل محو المنهجية من تفكيرهم وضياع مفهوم أو معنى النقد العلمي من أذهانهم .
أَمَا آن لتلك المعاناة أن تنتهي ؟
أَمَا آن لتلك المهازل التي تتم باسم العلم أن يوضع لها حد ؟

إن الأمر يا سادة قد وصل في بعض الولايات الأمريكية إلى إغفال هذه الكتب ووضع أى صور أو أشكال توضيحية عن الحفريات كوسيلة لإرضاء أنصار فكرة الخلق بينما تحرض بعض المدارس على الكلام عن التغير بدلاً من التطور بقدر الإمكان . وبذلك فإن التلاميذ يتلقون دروساً عن الطيور مثلاً وأخرى عن البرمائيات ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن العلاقة بين الفئتين .

وكل هذا معناه في آخر الأمر أن أنصار فكرة الخلق أفلحوا بالفعل في تغيير الكتب والمعلومات التي يتلقاها النشىء على الرغم من فشلهم في الحصول على حكم رسمي من القضاء باعتبار القصة الدينية نظرية علمية جديرة بأن تؤلف جزءاً من مقرر الجيولوجيا في المدارس الثانوية.

ونحن ماذا فعلنا وبين أيدينا الحقيقة كاملة وواضحة في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد . تركنا كل هذا وجرينا وراء نظرية لم تصل بعد إلى درجة اليقين .

## ثانيـاً : علماؤنا .. إلى أين ؟

إن إنقياد البعض من علمائنا لآراء تلك النظرية وتأثرهم بها حتى أسرتهم إلى الحد الذي يجعلهم يقررونها على أبناء العالم العربي والإسلامي في المدارس والجامعات ليدل

http://al-maktabeh.com

صراحةً على عدم ثقة هذا البعض في أنفسهم وبالتالي ضعف شخصيتهم من ناحيةٍ واهتزاز أمانتهم من ناحيةٍ أخرى .

فأين أبحاثهم الجادة في السعي وراء الحقيقة العلمية واستجلاء ما خفى من قوانين وما غاب من مفاهيم للوصول إلى معاني الآيات الكونية أو فهم الإشارات العلمية في كتاب ربهم عز وجل .

وأقولها صراحة : إن هذا لذو دلالة كبرى أود أن أشير إليها في هذا المقام . « إن الإنسان لتملأه الحسرة » ويعتصره الألم حين يشعر بها أو يحسها أحياناً ، ولكنني لا أملك سوى أن أقررها في صراحةٍ تامة وأعلنها دون مواربة فأحياناً ما تكون الحقيقة مزعجة ومؤلمة ولكنها بقدر ما تكون كذلك وبقدر ما تكون سبباً في اليقظة وتصحيح الأخطاء . إن هذا يدل على أن كثيرين من علمائنا من أبناء الوطن لا يكثرون من مطالعة كتاب الله عز وجل ولا يفقهون كثيراً من تعاليم ربهم ، فلم يحفظوا صغاراً آيات الله كما كان يفعل بأبناء المسلمين إبان نهضة المسلمين وريادتهم لهذا العالم المترامي الأطراف .

فلقد كان إبن سينا طبيباً عظيماً وفليسوفاً ولغوياً كبيراً وفقهياً وكذلك ابن رشد وابن خلدون وغيرهم جمعوا بين علوم الدنيا والآخرة . ففتح الله لهم مغاليق العلم . وصدق الحق تبارك إذ يقول :ـــ

**﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيءٍ عليمٌ ﴾** (١)

كانت تقواهم لله عز وجل قائدهم لتعلم العلوم فشعروا بخشية الله عز وجل ، وأحسوا بقربهم من الله فزادهم هدىً وألبسهم لباس العزة والكرامة . عزة في الدنيا وكرامة ورضاً في الآخرة .

إنني من على صفحات هذا الكتاب أوجه تلك النشوة إلى علمائنا في أرجاء العالم العربي الإسلامي :ـــ

أقبلوا على مدارسة كتاب ربكم ولا تملوا في معاملكم ، بل ذاكروا ودارسوا وثابروا عسى الله أن يفتح لكم مغاليق العلم ويلهمكم الصواب في أعمالكم .

اعتزوا بشخصيتكم وكونّوا لكم ذاتيتكم العلمية فلا انسياق وراء الغرب وعلومه دون تمحيص أو تدقيق ، فسوف يحقق الله لكم وعده وصدق إذ يقول :ـــ

**﴿ كذلك يضربُ الله الحقَّ والباطل ، فأمَّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفَاءً وَأمَّا ما ينفعُ الناسَ فيمكُثِ في الأرضِ كذلك يضربُ الله الأمثالَ ﴾** (٢)

---

(١) البقرة (٢٨٢)

(٢) الرعد ١٧



http://al-maktabeh.com

## هل بعض أنواع القرود أصلها إنسان ؟

يقول العالم النشوئى ( آرثر كيت ) :

« تقترب كبد الأورانج أشد الاقتراب في تركيبها المتماسك من كبد الإنسان .. وقد عُرِف أن دم الغوريلا ودم الشامبانزي أقرب استجابةً إلى الانفعال بدم الإنسان من جميع الفقريات »

ولقد كنا نستطيع أن نرد على ذلك العالم ونحدثه بلغته التي يفهمها وبعلمه الذي يعرفه فنقول له :

« إن هذا التشابه لا يخرج على القاعدة العامة في وجود وحدة بين سائر المخلوقات تدل على أن الخالق واحد ، حتى وإن كان الظن أنها الطبيعة ( لدى الماديين ) .

لكننا قبل أن نوضح ما نحاول تقريبه يجب أن نتساءل .. هل كان آرثر مخطئاً فيما توصل إليه من وجود علاقة تشريحية وثيقة بين بعض أنواع القرود والإنسان ؟

كلا .. نعم كلا .. إنَّا نعتقد أن ما توصل إليه صحيحٌ بغضِّ النظر عما استنتج ، فبالرغم من أنه قد أعطى الحقائق السليمة إلا أنه لم يهتدِ إلى التفسير الصحيح الذي أدى إلى هذا .. لماذا ؟

لأنه وأعوانه لم يقرأوا كتاب الله عز وجل ولم يسمعوا بآياته حينما قال ولم يزل قائلاً عليماً :ـــ

**﴿ ولقد علمتُم الذين اعتدوْا منكمْ في السَّبْتِ فقلنا لهم كونوا قِرَدَةً خاسئين ﴾** (١)

وقوله تعالى أيضاً :ـــ

**﴿ قلنا لهم كونوا قِرَدَةً خاسئين ﴾** (٢)

لهذا نقول لهم :ـــ

إن إستنادكم التشريحي لتطور الإنسان من قرد ، هو نفسه ذلك الدليل الدافع الذي يواجهكم في سبيل تصديق هاتين الآيتين اللتين تفيدان بتحول بعض الآدميين عن صورتهم البشرية إلى قرود ، أى بمعنى آخر :

إن هذه الأصناف التي شرحتموها ربما كانت إحداها من نسل هذه المسوخات ، لأن القرود ليست كلها قروداً ، بدليل تفاوت درجات ذكاء كل منها .

لعل هذا ، ما حدا ببعض أو بكثيرٍ من علمائنا أن يسير في ركاب تلك النظرية مهللاً لها وإن هى إلا سنوات حتى اكتشف أنه يجري وراء وهمٍ وسرابٍ وخداع ..

---

(١) البقرة (٦٥)

(٢) الأعراف (١٦٦)



http://al-maktabeh.com

ولعل ذلك يكون درساً لهم لا ينسونه .

يجب أن يعلموا أن بطلان نظرية داروين أكد لنا وبشدة خطأ محاولات التوفيق بين المذاهب الفكرية الغربية والإسلام وتلك المحاولات التي يقوم بها بعض كتاب الغرب كمحاولاتهم في التوفيق بين نظريات أوغست كونت وماركس وفرويد والإسلام .

نعم فإن هذا المنهج يرادبه ظاهراً الخير وربما كان الدافع له النوايا الحسنة ولكن ماذا تفيد تلك النوايا بعد الحصول على نتائج سيئة وعواقب وخيمة ؟

ولكنه في حقيقته إنما يُراد منه تذويب الذاتية الإسلامية المتفردة وتمييعها ، وبالتالي إخضاع المسلمين للتبعية الحضارية الذليلة ، بعد احتوائهم عقدياً وفكرياً وثقافياً .

لذا يجب على كل مسلم أن يعتز بانتمائه للإسلام وأن يؤكد ذاته الإسلامية في مواجهة الصراع الحضاري المحتدم اليوم ، وإن الإرهاصات الأولى في مطلع القرن الخامس عشر الهجري لتشير إلى بداية انهيار الحضارة الغربية المادية وبزوغ فجر النهضة الإسلامية التي تبشر بعودة مباركة ميمونة إلى الإسلام وهي الطريق الوحيد للخلاص وصعود المسلمين مرةً واحدةً إلى قمة التاريخ .

فيا مَنْ بالله آمنتم ، يا من أمنتكم أمتكم على تعليم فلذات أكبادها ــ اتقوا الله وانهضوا وقولوا معناه .

يا واضعي المناهج التعليمية اجتنبوها ما استطعتم وجنبوا أولادنا تلك الوضعية أو لا تضعوها بعد ذلك في عقولهم ، بل صيغوها ولا تحشروها في الكتب فإن في أحشائها أفكاراً شنيعة .

**﴿ ولو اتبع الحقُّ أهواءهم لفسدتِ السمواتُ والأرضُ ومن فيهن ﴾** (١)

**﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يُضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظنَّ ﴾** (٢)

وإنتم يا أصحاب هذه النظريات .. تعالوا لتسمعوا قول الله فيكم :

**﴿ ما أشهدتُهم خلقَ السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسهم وما كنتُ متخذ المُضلِّين عَضُداً ﴾** (٣)

فحمداً لله يا ربنا أن بصرتنا ، ثم علمتنا أنك أوجدتنا فسويتنا في أحسن صورة خلقتنا ثم أحييتنا ثم علمتنا ، ثم عرفتنا طريقنا إليك فأقبلنا عليك ، فتقبلنا يا ربنا قبولاً حسناً ولا تخزنا .

---

(١) المؤمنون (٧١)
(٢) الأنعام (١١٦)
(٣) الكهف (٥١)

http://al-maktabeh.com

﴿ يوم لا يخزى الله النبيَّ والذين آمنوا معه ﴾ (٤)

« والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل »

---

(٤) التحريم (٨)

http://al-maktabeh.com

# أسمـاء المراجـع


١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ تفسير الجلاليين

٣ ــ في ظلال القرآن — سيد قطب

٤ ــ التفسير الفريد للقرآن المجيد — محمد عبد المنعم الجمال

٥ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبد الباقي

٦ ــ المعجم الوجيز — معجم اللغة العربية

٧ ــ المفردات في غريب القرآن — الحسين بن محمد المعروف بالراقب الأصبهاني إعداد د. محمد خلف الله

٨ ــ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ــ المجلد الأول دار الكتاب اللبناني ــ بيروت — د. جميل صليب

٩ ــ فقه السنة — سيد سابق

١٠ ــ الإسلام يتحدى — وحيد الدين خان

١١ ــ الدين في مواجهة العلم — وحيد الدين خان

١٢ ــ في دائرة الضوء ــ العدد ٢٠ — أنور الجندي

١٣ ــ الإسلام بنظرية العصر — محمد جواد مغنية

١٤ ــ التفكير فريضة إسلامية — عباس محمود العقاد

١٥ ــ الإنسان في القرآن الكريم — عباس محمود العقاد

١٦ ــ الرد على الدهريين — جمال الدين الأفغاني

١٧ ــ نظرية التطور بين العلم والدين — علي أحمد الشحات

١٨ ــ النشوء والارتقاء بين الواقع العلمي والتصور العلمي — د شاكر باسيليوس د جورجي شحاته د فوري الياس

١٩ ــ من زاوية فلسفية — د زكي نجيب محمود

٢٠ ــ مجتمع جديد أو الكارثة — د. زكي نجيب محمود

٢١ ــ تصدع مذهب داروين — حليم عطية سوريال

٢٢ ــ تكوين الجنين — د شفيق عبد الملك

٢٣ ــ أصل الإنسان — د محمد السيد غلاب

٢٤ ــ قصة التطور — د. أنور عبد العليم

٢٥ ــ أصل الأنواع — تشارلس داروين

٢٦ ــ مباهج الفلسفة — ول ديورانت

٢٧ ــ النظرية العلمية — برتدارتد رسل

٢٨ ــ العلم يدعو للإيمان — كريس موريسون

٢٩ ــ التطور من الفضاء — فريد هويل وآخرون

٣٠ ــ أيهما هو الصحيح الخلق او النشوء — د و ى أوانيل


http://al-maktabeh.com

| | |
|---|---|
| ٣١ ــ ملاحظات حول الإجماع الأول من سفر التكوين | د . و . ى اوانيل |
| ٣٢ ــ سوبر مان العملية | د . و ى أوانيل |
| ٣٣ ــ تيارات الفكر البيولوجي في القرن العشرين | كامل منصور |
| ٣٤ ــ التطور حقيقة أو نظرية ؟ | د . كيث تايلور |
| ٣٥ ــ مصير البشرية | د . لو كومت دي نوى |
| ٣٦ ــ أصل الأحياء | د لويس في قياليتون |
| ٣٧ ــ خاطرات جمال الدين الأفغاني | عبد العزيز سيد الأهل |
| ٣٨ ــ تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا | عبد الله بن العباس الجراري |
| ٣٩ ــ مبادىء علم البيولوجيا | أ .ب كاروزيا |
| ٤٠ ــ مشكلات تحير العلم | ج . م . طوسون ــ ترجمة د . أنور عبد العليم |
| ٤١ ــ إنسان ما قبل التاريخ | سام وبريل ابشتين ترجمة أحمد محمد عيسى |
| ٤٢ ــ أجناس البشرية | م . نستورخ ــ ترجمة يوسف ميخائيل أسعد مراجعة د . أحمد على اسماعيل . |
| ٤٣ ــ الإسلام والتقدم الاجتماعي | د . صابر طعيمة |
| ٤٤ ــ محاضرات في الجغرافيا التاريخية | د . محمد الفتحى بكير محمد |
| ٤٥ ــ نظريات الغرب وحضارته في ميدان الإسلام | ماهر خليل |
| ٤٦ ــ الإسلام والإنسان المعاصر | فتحي رضوان |

٤٧ ــ المجلات والجرائد اليومية :ــ

الأمة القطرية الأعداد ٤٨ ، ٢٣ لعام ١٩٨٢

الدوحة القطرية الأعداد ٨٢ ، ٨٣ نوفمبر ١٩٨٢

منار الإسلام العدد الأول ــ السنة العاشرة ١٩٨٤

الوعى الإسلامي الأعداد ١٥٨ ، ١٩٨ إبريل ١٩٨١

العربي الكويتية الأعداد ٢١٥ أكتوبر ١٩٧٦ ، ٢٨٤ يوليو ١٩٨٢ ، ٢٨٦ سبتمبر ١٩٨٢

اليونسكو ١٩٥٦ ، أكتوبر ١٩٧٢

جريدة النصر الجزائرية فبراير ١٩٨٠

أخبار اليوم القاهرية في ١٠ / ١ / ١٩٨٧

جريدة الجمهورية ١٨ / ٤ / ١٩٨٧


http://al-maktabeh.com

# فهرست


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| تقديم | ٥ |
| مقدمة | ٧ |
| **الباب الأول** | |
| **حياة داروين بين العلم والدين** | ١٣ |
| نشأة داروين وطفولته | ١٦ |
| داروين بين الكيمياء والطب واللاهوت | |
| داروين بين الدراسة والطواف حول العالم | ٢٢ |
| داروين مؤمناً | ٣٤ |
| داروين وارثاً وليس خالقاً | ٣٦ |
| **الباب الثانى** | |
| **نظريات النشوء والارتقاء بين الافتراض والاعتقاد** | |
| **أولاً : العرض العام لنظريات النشوء والارتقاء** | ٤٢ |
| نظرية الكوارث لكوفييه | ٤٢ |
| نظرية التطور العام للامارك | ٤٢ |
| نظرية التطور العام عند داروين | ٤٤ |
| نظرية الطفرة | ٤٧ |
| **ثانياً : النقد العام لنظريات التطور** | |
| نقد نظرية التطور العضوى | ٤٩ |
| نقد نظرية الكوارث | ٥٠ |
| نقد نظرية التطور للامارك | ٥٠ |




http://al-maktabeh.com

**الباب الثالث**

**بطلان نظرية التطور العام لداروين**


أولاً : هذه النظرية لاتخضع لتجربة أو مشاهدة ٥٤
ثانياً : الحلقة المفقودة وكيف اختفت بأنصار داروين ؟ ٦٣
ثالثاً : لماذا وقف التطور عند الشكل الانسانى ؟ ٧٩
رابعاً : نظرية داروين والحفريات ٩٦
خامساً : المشاهدات الانسانية لم ترصد أى ارتقاء أو أدنى اعتلاء ١٢٠
سادساً : الوراثة تهدم نظرية داروين ١٣٤
سابعاً : لماذا هذه اللمسة الجمالية في المخلوقات ؟ ١٣٦
ثامناً : التنوع الهائل فى الخلق ليس له تفسير عند داروين ١٤١
تاسعاً : وحدة الخلق تنطق بوحدانية الخالق ١٤١


**الباب الرابع :**


اسس البحث العلمى ١٥٠
موقف علماء الغرب من نظرية داروين ١٥٧
موقف علماء العرب والمسلمين ومفكريهم من نظرية التطور ١٦٥
العقاد .. ونظرية التطور ١٦٩
د . ركى نجيب محمود ... ونظرية التطور ١٧٠
د . عبد المحسن صالح ... ونظرية التطور ١٧٥
د . مصطفى محمود ... ونظرية التطور ١٨٤


**الباب الخامس :**


**التفكير العلمى فى إطار الإيمان بالله تعالى** ١٩٢
اولاً : كيفية الوصول إلى الحقيقة
ثانياً : المفهوم الصحيح للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ٢٠٠


**الباب السادس :**

**نحن والأجيال القادمة**


الداروينية وأثرها السيىء فى العلوم الانسانية ٢١٤


http://al-maktabeh.com

الداروية والسياسة ٢١٥
الداروية والالحاد ٢٢٠
الطبخة البائته ٢٢٦
بماذا يجب أن نؤمن ؟ ٢٣٨

**الباب السابع :**

**خاتمة** ٢٤٨
ماذا يضر حين نبث أفكار داروين ومؤيديه فى عقول أبنائنا ؟ ٢٤٩
علماؤنا إلى أيمن ؟ ٢٥٣

http://al-maktabeh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

# مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

**لاتنسونا من صالح الدعاء**

**Make Du’a for us.**